دار المعرفة السنية
للنشر والتوزيع

لماذا تأخر المسلمون..؟! ولماذا تقدم غيرهم..؟!

تأليف

الأمير شكيب أرسلان
أمير البيان عضو المجمع العلمي العربي
(١٢٨٦هـ - ١٣٦٦هـ)

قرظه وأثنى عليه الإمام المجاهد
عبد الحميد بن باديس
(١٣٠٧هـ - ١٣٥٨هـ)

نشره وقدم له وعلق عليه
الإمام السيد محمد رشيد رضا
(١٢٨٢هـ - ١٣٥٣هـ)
صاحب المنار

أوصى بطبعه مصححاً مضبوطاً
الإمام العلامة محمد تقي الدين الهلالي
(١٣١١هـ - ١٤٠٧هـ)

قرأه وصححه وكتب حواشيه ووضع فهارسه
فضيلة الشيخ المحدث الدكتور
أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي السلفي
كان الله له وعفا عنه برحمته وكرمه

دار ابن عفان
للنشر والتوزيع

لماذا تأخر المسلمون ..؟!
ولماذا تقدم غيرهم ..؟!

اسـم الكتـاب: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم

تـألـيـــف: الأمير شكيب أرسلان

قياس الكتـاب: 17 × 24 سم

عدد الصفحات: 271 صفحة

رقم الإيداع: 2021/222913 | الترقيم الدولي: 978-977-6861-29-9

الطبعة الأولى
1443هـ - 2022م

حقوق الطبع محفوظة

مؤسسة دار بن عباس للنشر والتوزيع
دار بن عباس للنشر والتوزيع
00201001697676 00201000423549
t.me/darebn
mailto:anas.elsayed93@yahoo.com
DarEbnAbas1991@hotmail.com

دار ابن عباس
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

لماذا تأخر المسلمون ..؟!

ولماذا تقدم غيرهم ..؟!

تأليف

الأمير شكيب أرسلان

أمير البيان، عضو المجمع العلمي العربي

(١٢٨٦ – ١٣٦٦ هـ)

قرظه وأثنى عليه الإمام المجاهد

عبد الحميد بن باديس

أوصى بطبعه مصححاً مضبوطاً

الإمام العلامة محمد تقي الدين الهلالي

نشره، وقدم له، وعلق عليه

الإمام السيد محمد رشيد رضا

(صاحب المنار)

قرأه، وصححه، وكتب حواشيه، وعلق عليه، ووضع فهارسه

وقدمه الشيخ المحدث الأثري

أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي السلفي

كان الله له، وعفا عنه بمنه وكرمه

دار ابن عباس

للنشر والتوزيع

القاهرة - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

❖ مقدمة التحقيق

❖ أسباب إعادة نشر الكتاب محققًا

❖ منهج التحقيق

❖ ترجمة أمير البيان

مُقَدِّمَة

إنَّ الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فعندما يطوي المسلم صفحات التاريخ، ويُقلِّب ذاكرة الأيام: يجد أن سلفه الصالح كانوا سادة العالم، وأساتيذ الأمم؛ حيث كانوا يُصَدِّرون الحضارة إلى جميع بلدان العالم، فقدموا العلم والمعرفة والثقافة والأخلاق، وأَحَلُّوا في الديار التي نزلوا بها الأمن والأمان والإيمان، وصحبوا إلى البلدان التي مَرُّوا بها السلامة والسلام والإسلام.

وبما أنَّ الله -عز وجل- من خلال سُنَّته الجارية التي لا تتبدل ولا تتحول يُداول الأيام بين الناس؛ فإن عوامل الضعف بدأت تدبُّ في أوصال تلك الحضارة التي امتدت ألف سنة أو يزيد، فأخذت العلوم بالانحسار والاندثار، وفتك الفتور بهمم المسلمين في جميع الأمصار، فانصرف أكثر الناس عنها، في حين قام غيرهم بنقل تلك الحضارة والإفادة من تلك العلوم والمعارف، وأخذت روح التقدم والرقي والمدنية تدب في جسد دول الفرنجة وغيرها، وبدأت تلك المدنية الناهضة في الانقضاض على الدولة الواهنة، فمزقتها إلى دول، وصيرتها أُممًا، ولم ينقض القرن التاسع عشر للمسيح حتى استطاع الغزو الإفرنجي من بسط سيطرته على أرجاء العالم الإسلامي،

وظل المسلمون يرزحون تحت وطأة مستعمر مستبد، أو حاكم مستعبد.

ولا شك أنَّ الوهن الذي أصاب العالم الإسلامي، والشيخوخة التي أصابت أوصال حضارته، وجعلت ريحه دبورًا بعدما كانت صبًّا، لم يكن في غفلة من التاريخ، بل لذلك سنن شرعية لا تتحول، ونواميس كونية لا تتبدل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنفال:٥٣].

إن قضية تخلف المسلمين وضعفهم وانحطاط العالم الإسلامي معضلة كبيرة، لم يملك كثير من المسلمين إزاءها إلا الرضا بهذا الواقع الأليم، وزفرات الأسى تملأ صدورهم، وعبرات اليأس تغرق مدامعهم، وهم يمرون على الديار يبكون، ويقفون على الأطلال ينوحون، ويتمثلون بقول أحمد شوقي عندما وقف أمام قصر الحمراء بغرناطة؛ لينقل ما يختلج في نفسه، ويشعر به كل المسلمين في العالم:

أناجي الرَّسم لو ملك الجوابا وأجزيه بدمعي لو أثابا

لقد عمل المستعمر المستبد بكل ما أوتي من قوة على إذابة شخصية المسلم، وتحطيم عنفوانه، وغرس الذل والمهانة في نفسه؛ حتى بات الكثيرون يعتقدون أن المسلمين لن يفيقوا من غفوتهم، ولن ينهضوا من كبوتهم، وكأن الانحطاط والتخلف هو قدرهم المحتوم.

وأما الحاكم المستعبد؛ فأوغل في تجهيل المسلمين، وأعلن الحرب الضروس على العلم النافع، والعلماء المخلصين، ونشر ثقافة التبعية للدول الإفرنجية، حتى صار المثل الدارج: «كل فرنجي برنجي!».

ومن وسط هذا الركام من النفوس المحطمة، ومن خلال هذا الزحام من العزائم المهدمة، وقف مصلحون كثيرون، حاولوا إنقاذ الأمة من كبوتها، وإيقاظها من غفوتها، وهم يطرحون السؤال الموجع، والذي لا نزال ندور في فلكه:

كيف حصل التخلف؟

ولماذا حصل؟

وكيف ننهض؟

منذ مائة سنة طُرحت هذه الأسئلة -ولا زالت تُطرح- وردَّدتها -ولا تزال ترددها- الألسنة... لقد أصبح للمسلمين قضية عبَّر عنها أحدهم من أقاصي العالم الإسلامي -من جزيرة بورنيو في جاوة الأندونيسية- بسؤال مريرٍ مقلق، وكلامٍ حزينٍ مُوجِع، وجَّهَهُ إلى أمير البيان شكيب أرسلان؛ ليجيبه عليه من خلال أستاذه السيد محمد رشيد رضا، صاحب «المنار»: «لماذا تأخر المسلمون؟.. ولماذا تقدم غيرهم؟».

لقد عَرَف العالم الإسلامي «شكيب أرسلان» أميرًا للبيان، ولسانًا ينقل بصفاء ودقة كلمة الإسلام، وجنديًّا مدافعًا بإخلاص عن العربية، وذلك من خلال مقالاته، ومؤلفاته، ومساجلاته، وترجماته، وتحقيقاته؛ فاشرأبت إليه الأعناق في كل معضلة، وافتقده المصلحون الاجتماعيون، والزعماء السياسيون أمام كل مشكلة، وفي شهر ربيع الآخر سنة (١٣٤٨هـ = ١٩٢٩م)، أرسل الشيخ محمد بسيوني عمران من «جاوة» إلى صاحب «مجلة المنار» السيد رشيد رضا رسالة يوفي فيها الأمير شكيب حقَّه من الثناء والتقدير على خدمته للإسلام والمسلمين، ويقترح عليه: أن يبين لقراء «المنار» أسبابَ ما صار إليه المسلمون من الضعف والانحطاط والذُّلِّ، وأن يُبيِّن أسباب رقي أهل أوروبا وأمريكا واليابان، وما إذا كان يمكن للمسلمين مجاراة هؤلاء في سباق المدنية مع المحافظة على دينهم الحنيف؛ فأحال السيد محمد رشيد رضا الرسالة إلى أمير البيان، ويظهر أنَّ الرسالة حرَّكت في نفس الأمير كوامن، وأثارت في ذهنه شؤونًا، وفي قلبه شجونًا، وأنَّ السؤال كان يلح في خاطره، والإجابة كانت مضمرة في تلافيف ذهنه الوقاد، والمنشغل أبدًا بالشؤون الإسلامية.

ولم يكد ينتهي الأمير من رحلته إلى الديار الأندلسية؛ حتى انكبَّ على إعداد الجواب خلال ثلاثة أيام، وانفعالات الزيارة إلى بلاد المجد المفقود وعواطفها ما زالت مشتعلة في نفسه.

ونُشر الكتاب أول ما نشر في «مجلة المنار»، ثم طبعه في كُتيب على حدة، وقدَّم له السيد محمد رشيد رضا في أواخر سنة (١٩٤٠م) بمطبعة المنار، وحلَّاه ببعض العناوين، وأعيد طبع الكتاب مرات ومرات، وتناقله العالم الإسلامي بلهفة وشوق وتقدير؛ لأنه وجد فيه إجابات صريحة واضحة على تساؤلات كانت تلح في العقول، وتعتلج في الخواطر.

ويقول السيد رشيد رضا عن الكتيب الرسالة:

سارت بها الركبان تطوي نفنفًا فنفنفًا وسبسبًا فسبسبًا

فجاءت الإجابة ضمن نظرة شمولية، حيث رصد مظاهر التخلف الداخلية وأسبابها والخارجية وعواملها؛ لذلك كانت إجابته أقرب إلى الصواب، وأدنى إلى الحقيقة؛ لأنَّ عدم إغفال ذلك هو المقدمة لمعرفة الأسباب الحقيقية التي أدت إلى هذا الواقع المزري الذي تعيشه أمة الإسلام.

وكانت هذه الإجابة الموفقة في جملتها بمثابة مرافعة تاريخية لتبرئة الإسلام كعقيدة ومنهج وشريعة من جميع الشبهات التي أثارها الجاحدون، والأغاليط التي أوجدها الجامدون من مسؤولية ما لحق بالمسلمين من تخلف في واقعهم، وانحطاط في حالهم، وما كان من تقدم في دنيا غيرهم.

لقد وضع الأمير يده على أدواء العالم الإسلامي بعقل الحكيم، وتجربة الخبير، وبقلم الأديب، فجاءت رسالته في جملتها على هدى من الشرع، وبصيرة من الواقع،

فصارت للدعاة الإسلاميين إمامًا؛ لما أسَّسه من منهج مستنير رافض للتبعية، وكاشف للظلامية، وقاتل للعصبية المذهبية والحزبية، وقامع للغوغائية؛ آخذًا بعالمية العلم، وداعيًا إلى واقع مشرف، وحاديًا إلى مستقبل مشرق، برؤية واثقة قوية عادلة ومتوازنة في ضوء مرجعية الإسلام، وضوابط الشرع الحنيف.

لو دققنا النظر في تلك الرسالة؛ لرأينا أن الأمير لم يركز على الجانب النظري فحسب في تحليله العميق لأسباب انحطاط المسلمين، ولكنه اتبع في ذلك منهجًا علميًّا دقيقًا، مما يجعل كتابه -بحق- تأريخًا -بصدق- لهذه الفترة التي مرت -وتمرُّ- بها الأمة الإسلامية.

لقد ذكر أسبابًا كثيرة: أهمها في نظري -والذي يعدّ بيت القصيد-: ما صرح به الأمير من ضياع الدين بين جامد وجاحد.

فمن الجمود: أن نرفض ما قدَّمه العلم الحديث من مخترعات؛ بحجة: أن السلف الصالح لم يكونوا يعرفونها..!

لقد أكد الأمير: أن هذا كذب على الله، وافتراء على دينه القيم؛ لأن العلماء وضَّحوا وجوب التفريق بين ما كان يفعله النبي ﷺ على سبيل العبادة، فلا يجوز فيه نقص ولا زيادة، وبين ما كان يفعله على سبيل العادة؛ فلا حرج على الناس في تكييفه حسب أحوالهم، فهم أعلم بأمور دنياهم.

ومن الجحود: ما زعمه مفكرو الفرنجة وأذنابهم: من أنَّ العلم الذي حض عليه القرآن والسنة ينصرف إلى العلوم الشرعية دون المادية!

لقد برهن الأمير بحجة ناهضة أزهقت هذه الفرية الداحضة: أن العلم في القرآن والسنة يشمل العلوم الدينية، وكل ما ينتفع به بنو آدم من علوم مادية، ومعارف إنسانية.

ثم لخص الأمير الجواب بشكل واضح وصريح على هذا السؤال الموجع: أن ما حدث: حدث، وما وقع: وقع؛ حيث وضعت ركائز الضعف في جسد الأمة الإسلامية، ورسخت عوامل الانحطاط في فكرها، ولذا لا ينفع البكاء على الأطلال، والنواح على المجد المفقود؛ فبإمكان المسلمين أن ينهضوا بمثل ما نهض غيرهم في مراقي المدنية، ويتعرجوا في مصاعد المجد والإنسانية، إذا أرادوا بعث العزائم، وعملوا بما حضهم عليه كتابهم من العلم النافع، والعمل الصالح، والجهاد بالمال والنفس، ويبقوا على إسلامهم كما أُنزل في عهد أسلافهم الصالحين؛ كما بقي الأوربيون والأمريكيون واليابانيون على أديانهم التي ورثوها من آبائهم الأقدمين، بل المسلمون أولى بذلك وأحرى، فإن أولئك رجال ونحن رجال، وإنما الذي يعوزنا الأعمال، وإنما يضرنا التشاؤم، والاستخذاء وانقطاع الأعمال؛ فلننفض غبار اليأس، ولنتقدم إلى الأمام، ولنعلم أننا بالغوا كل أمنية بالعمل والدأب والإقدام، وتحقيق شروط الإيمان التي بينها القرآن: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩].

لقد طارت هذه الرسالة يوم صدورها في أرجاء العالم الإسلامي بجناحي التوفيق، وحلقت في سماوات الإجادة بأدلة التحقيق، وبراهين التوثيق، وكانت زلزالًا شديدًا: زلزل الجاحد والجامد والمسلم الجغرافي الذي يتقرب من الفرنج، ويخضع لهم بالقول، وينشر سياستهم مدعيًا بأنها وحدها طريق الحصول على القوة، وسُلَّم الوصول إلى التقدم، ولذلك قال عنها السيد محمد رشيد رضا رحمه الله: «اضطربت بها بعض دول الاستعمار، وزلزلت زلزالًا شديدًا: حتى قيل لنا: إنها أغرت حكومة سوريا بمنع نشرها فيها، وهي أحق بها وأهلها، فانفردت بهذه العداوة للإسلام دون من أغروها»... بل إن دولة الاستعمار الفرنسي قابلت الرسالة بحماقة صارخة،

وجنون فاضح، فمنعت دخولها إلى الديار الجزائرية، وحظرت على الناس قراءتها كأنما هي وباء، وجعلت عقوبة لمن يطالعها[1].

ولذلك كان الأمير شكيب شديد العناية بهذه الرسالة، حتى أنه طلب من الشيخ مصطفى صبري شيخ الإسلام في الدولة العثمانية -سابقًا- أن يترجم هذه الرسالة إلى اللغة التركية؛ لكي تزول عن عيون الأتراك الغشاوة التي وضعها كمال أتاتورك، بحيث زعم زورًا وبهتانًا: أن الإسلام هو سبب تخلف الأتراك؛ فابتدع لتركيا المسلمة النظام العلماني، والذي تسير على خطاه الدولة التركية إلى يوم الناس هذا.

❀ ❀ ❀

(١) انظر: «مجلة الشهاب» (م.ج ٩ / ج٢/ ص٩١).

أسباب إعادة نشر الكتاب محققًا

١- إن هذا الكتاب يمثل أوثق رباط، وأشد وثاق؛ جمع بين النظرية والتطبيق في الإجابة على سؤال المسلمين القديم والجديد، وشخص داءهم يومئذ، والذي لا يزال هو داؤنا إلى يومنا هذا؛ «إذ لم يبق من الإيمان إلا اسمه، ومن الإسلام إلا رسمه، ومن القرآن إلا الترنم دون العمل بأوامره ونواهيه.. إلى غير ذلك مما كان في صدر الملة وعنجهية الشريعة»... وأن الأمة اليوم: «أمة بدون عمل، وفاقدة كلَّ ثقة بنفسها؛ فهي تريد عزة دون استحقاق، وغلة دون حرث ولا زرع، وفوز دون سعي ولا كسب، وتأييد دون أدنى سبب يوجب التأييد».

ويبقى السؤال هو السؤال، والجواب هو الجواب، على الرغم من امتداد المسافة الزمنية التي طال عليها الأمد.

ولذلك؛ فالكتاب بما تضمنه من نظرات عميقة ثاقبة، وآراء حصيفة صائبة لا يزال يمثل خارطةَ طريقٍ يمكن اتباعها في دراسة ملف التخلف والانحطاط الذي يزداد كلَّ يوم تعقيدًا، ويحتاج إلى جهود لا يطيقها فردٌ مهما أوتي من علم وخبرة، ولذلك لا بدَّ أن تنتهض بها دول إسلامية، ومؤسسات رسمية متخصصة.

٢- على الرغم من أهمية الكتاب وقيمته العلمية والتاريخية؛ فإن كتاب الشيخ أبي الحسن الندوي: «**ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟**» غطَّى على كتابنا هذا؛

لصغر حجمه، ودقة معانيه، وسمو بلاغته، ولذلك كان لا بُدَّ من بذل جهد -ولو كان متواضعًا- لإعادة كتابنا هذا إلى منصة الحدث؛ ليجد فيه المسلمون المعاصرون ما وجد فيه أسلافهم من نصح وإرشاد لا يحركها إلا ابتغاء مرضاة الله، وإخراج الأمة الإسلامية من غفلتها، وإيقاظها من غفوتها.

٣- تحقيق أمنية شيخنا العلامة الدكتور أبي شكيب محمد تقي الدين الهلالي تغمده الله الذي اقترح في «كلية ندوة العلماء» بالهند تعميم نشر الكتاب: مصححًا، مضبوطًا، مشكولًا؛ ليستوي في مطالعته الخاصة والعامة، وأن يسهم الأغنياء في توزيع نسخه، وأن يدرسه المدرسون للطلبة، وأن يخطب به الخطباء مدة طويلة، وأن يترجم إلى اللغات الأخرى.

ولم أر في طبعات الكتاب رغم كثرتها ما يحقق ذلك، ولا يَقْرُب منه، بل جلّها تصوير عن سابقتها دون أدنى نظر، ولو بإعادة صفِّها وتنضيدها، وإخراجها إخراجًا يناسب ذوق القراء في هذا العصر.

٤- وقوفنا على تقريض الشيخ الإمام المجاهد العلامة عبد الحميد بن باديس للكتاب؛ حيث أشاد به، ودعا إلى ترجمته؛ لتعمَّ فائدته[1] مما يزيد ثقتنا بالكتاب ومنهج مؤلفه.

٥- وقوفنا على بعض الملاحظات العلمية المهمة التي أرسلها الشيخ السيد محمد رشا رضا إلى الأمير شكيب أرسلان بعد طباعة الكتاب، ولم تنشر في أماكنها من الكتاب، وإنما ذكرها الأمير شكيب في كتابه الفذ عن صديقه الوفي السيد محمد رشيد رضا: «السيد رشيد رضا»، أو: «إخاء أربعين سنة» (ص٤٥٦-٤٦١).

هذه أهم الأسباب التي دفعتني للاعتناء بهذا الكتاب المستطاب، وتقديمه

---

(١) انظر: «مجلة الشهاب» (م.ج ٧/ ج٣/ ص٢١١).

للقارئ المسلم في شتى أصقاع المعمورة بحلة جديدة يستحقها، وتعينه على الإفادة منه؛ فإن أصبت في اختياري وعملي؛ فمن الله وحده، وله الحمد في الأولى والآخرة، وإن أخطأت؛ فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله بريئان من ذلك، والله الموعد.

منهج التحقيق

١- مراجعة الكتاب مراجعة لغوية دقيقة، وتضمنت هذه المراجعة:

أ- شرح الكلمات الغريبة بما يناسب أفهام بني زماننا.

ب- ضبط الكلمات المشكلة.

ت- تصحيح الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية التي وقعت في طبعات الكتاب.

ث- الاعتناء بعلامات الترقيم مما يساعد على فهم مراد المصنف بسهولة ويسر.

٢- تخريج الآيات القرآنية بعزوها إلى سورها، وتقييد أرقام الآيات إثر الآية، وليس في حواشي الكتاب.

٣- تخريج الأحاديث الواردة في الكتاب تخريجًا من رأس القلم ببيان درجتها، وذكر من خرَّجها.

٤- الاستدراك على ما ذكره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في بعض المواضع، حيث زلَّ قلمه، فخالف القرآن والسنة، أو وقع في مغالطة تاريخية، أو كيَّف وقائع معينة على خلفية سياسية، أو موقف سابق.

٥- ترجمت للأمير ترجمة موجزة تدل الجيل المعاصر على منزلته العلمية، ومكانته

العالمية العالية، وأنه من أهل السنة والجماعة، وإن نسب إلى الطائفة الدرزية الباطنية.

٦- صنعت فهارس تحليلية تعين القارئ على الوصول لما يريد بسهولة ويسر.

والله ولي التوفيق، وعليه قصد السبيل

وكتبه

حامدًا لربه، ومصليًا ومسلمًا على رسول الله ﷺ

سليم بن عيد الهلالي

أبو أسامة

ضحى يوم الثلاثاء / ١٥ رجب الفرد / ١٤٣٣ هـ

الموافق ٥ / ٦ / ٢٠١٢ م

في عمان البلقاء عاصمة جند الأردن من بلاد الشام المحمية

بإذن رب البرية، من كل سوء وشر وبلية

❁ ❁ ❁

ترجمة المصنف[1]

ولد شكيب بن حمود بن حسن بن يونس بن فخر الدين بن حيدر بن سليمان بقرية «الشويفات» قرب بيروت، (ليلة الاثنين غرَّة رمضان/ ١٢٨٦هـ = الموافق (٢٥/ ديسمبر/ ١٨٦٩م)، في بيت عريق يعود نسبه إلى الملك (المنذر بن النعمان) أشهر ملوك الحيرة.

ويرجع اسم (شكيب) لأصول فارسيَّة؛ ويعني: «الصابر».

قام بتعلم مبادئ القراءة والكتابة، وقراءة القرءان الكريم في بلدته، وهو في الخامسة من عمره، ثم التحق بعد ذلك بمدرسة «الأمريكان» ببلدته، ثم انتقل إلى بيروت عام (١٨٧٩م)، فقام بالالتحاق بمدرسة عصرية «مارونية»، كانت مشهورة بتعليم أصول اللغات، تعلم فيها شكيب الفرنسية والعربية على يد متخصصين، ثم قام باستكمال دراسته بمدرسة «الحكمة»، والتي قام بتأسيسها مسلمون، وتلقى فيها دروسًا في اللغة العربية على يد الشيخ عبد الله البستاني، وقام بتعلم اللغة التركية والفقه، وذلك بعد أن ضمتها الحكومة العثمانية للمدارس الأميرية.

وقد تأثر شكيب بعدد كبير من أعلام عصره: الشيخ عبد الله البستاني الذي علّمه في مدرسة «الحكمة»، وحضر درس «مجلة الأحكام العدلية» للشيخ محمد عبده، ولازمه في مجالسه الخاصة، فكان للشيخ محمد عبده أثر كبير في حياة شكيب، وفي تكوينه وتوجيهه؛ فرأى في أدبه وسيرته ودعوته للإصلاح وعمله طريقًا يسلكها،

(١) ملخصة من مقال: «شكيب أرسلان.. أمير البيان» لخالد سعد النجار.

وشعارًا يرمي إليه، ونهجًا يسير فيه، حتى غدا يقلده في خطابه وفي آثاره ومقالاته.

سافر شكيب إلى مصر سنة (١٨٩٠م) وعمره إحدى وعشرون، ولازم أستاذه محمد عبده، وتعرف من خلاله إلى أرقى الشخصيات في مصر منهم: الشيخ علي يوسف صاحب جريدة «المؤيد»، وكذلك أحمد زكي باشا الذي أصبح شيخ العروبة في تحقيقاته وكتبه وأدبه، واتصل بالشاعر محمود سامي البارودي، وعبد الله فكري، وإبراهيم اليازجي، وتعرف إلى إسماعيل صبري وغيرهم من أعلام الفكر والأدب والشعر في عصره؛ فكانت لهذه البيئة أثرًا في حياته، فزادته يقينًا برسالته التي راحت تراود أحلامه وأمانيه؛ وهي: رسالة الدعوة إلى الإسلام، والدفاع عن الخلافة، والذود عن العرب، ومناضلة الاستعمار.

سافر شكيب إلى باريس وتعرف على الشاعر الكبير (أحمد شوقي)، واتصل بالشيخ محمد رشيد رضا، وامتدت صداقتهما حتى وفاة الشيخ.

كذلك تأثر بعدد من المفكرين والعلماء مثل: أحمد فارس الشدياق؛ الذي كان شديد الحماس والتأييد للخلافة الإسلامية، والدولة العثمانية.

شغل أرسلان عدد من المناصب الإدارية، فتم تعينه مديرًا للشويفات سنتين، ثم قائم مقام -محافظ- على الشوف عام (١٩٠٢م)، وظل بهذا العمل ثلاث سنوات، ثم استقال، وتم انتخابه نائبًا عن منطقة حوران بالجنوب السوري، في مجلس المبعوثان -البرلمان العثماني-، وعُين مفتشًا لجمعية الهلال العثماني، وسافر تحت لوائه إلى طرابلس الغرب للدفاع عن إخوانه هناك، فكان يحث الهمم، ويؤمن المؤن، ويضمد الجرحى، كما وقف في خطوط القتال مؤمنًا بأنه: «إن لم ندافع عن صحارى ليبيا، لا نستطيع الحفاظ على جنان الشام».

وبالرغم من دفاع شكيب عن الخلافة العثمانية؛ إلا أنه استاء من سياسة القائد

العثماني جمال السفاح، الذي طغى وبغى وقتل ونفى وهجر حتى طفح الكيل، حيث أنقذ الأمير شكيب من مظالم جمال السفاح العديد من الشخصيات السورية واللبنانية.

ثم توترت علاقات الأمير بجمال السفاح لتكاثر تدخلاته، وهُدد مرارًا بعدم التدخل، وقد نصحه الكثيرون ألاّ يتمادى في التدخل حرصًا على حياته، فهاجر من سورية إلى استانبول سنة (١٩١٧م)، وقرر ألا يعود إلى سورية ما دام جمال السفاح فيها.

دعته الحكومة الألمانية في العام نفسه لزيارة عواصمها، فلبى الدعوة، وهناك وُفِّق في إقناع الألمان وساسة الأتراك في إرجاع جمال السفاح إلى الآستانة، وبهذا خدم شكيب قومه، وأنقذ البقية الباقية من الزعماء السوريين من حبل المشنقة، كما خدم بلاده في إعادة منفيي سورية إلى أوطانهم.

ولما انتهت الحرب الكونية الأولى بإخفاق الألمان والأتراك، انتقل شكيب إلى برلين، وأقام هناك حيث أسس العديد من الجمعيات، وانتخب رئيسًا لـ «النادي الشرقي» الذي هو مؤسسه.

وكانت تغلب على مبادئ الأمير شكيب الصبغة السياسية؛ لأنه كان يرى أنه بإصلاح السياسة يصلح كلّ شيء، وهذا الإصلاح في السياسة قد انحصر عنده منذ بدأ مساهمته في الدعوة للجامعة الإسلامية حتى انتهاء الحرب الكونية الأولى في نقطتين:

الأولى: إصلاح الحكم الاستبدادي في الدولة العثمانية، وفي سائر الدول الإسلامية الأخرى، وتقويم المعوج في شؤونها الداخلية.

الثانية: تخليص الشعوب الإسلامية الواقعة تحت الحكم الأجنبي.

وقد ظلت هذه النقطة الثانية مدار عمله في هذا الميدان حتى آخر أيام حياته.

وقد انتخب شكيب سكرتيرًا أولًا للوفد المنبثق عن المؤتمر السوري الفلسطيني عام (١٩٢١م)، وعضوًا في لجنته التنفيذية؛ ليكون سفيرًا لهم في الغرب، يدافع عن سورية وفلسطين، ويسعى لتحرير هذين القطرين من براثن الاستعمار، ويسعى لاستقلالهما أمام جمعية الأمم المتحدة بجنيف.

لذلك انتقل شكيب عام (١٩٢٥م) إلى سويسرا مقر عمله، وأقام في «الوزان» أولًا حتى عام (١٩٣٠م) قبل انتقاله إلى جنيف، وقد نجح وفد المؤتمر السوري الفلسطيني في إفهام القضية السورية الفلسطينية، وأثارها في العواصم الأوروبية، ونبه أنظار الأمم إلى جرائم فرنسا في بلده، وجرها إلى مراقبة أعمالها، وتحذيرها من مغبة فسادها.

ذاع صيت شكيب في العالم العربي من مشرقه إلى مغربه، وأصبح موضع ثقة العرب جميعًا، ومحل احترامهم وإكبارهم، وزال عنه كثير من التهم التي كانت تلصق به في العهد العثماني بسبب وقوفه في وجه العرب المعادين للخلافة العثمانية، ولقي في سبيل هذه الشهرة عناء كبيرًا، إذ راح العرب والمسلمون يكاتبونه ويسألونه ويشتكون إليه، وكان عليه أن يجيب من يعرف ومن لا يعرف، بقلمه السيال، وبيانه الفياض، فأصبح في كل ناحية له رسالة من خطه تنير أو تفيد في فتوى سياسية أو تعين في مشورة.

انتخب شكيب أرسلان سكرتيرًا لمؤتمر الشعوب المقهورة في «جنوى»، وفي عام (١٩٢٣ ـ ١٩٢٥م) أقام في «مرسين» بتركيا؛ ليكون على مقربة من سورية، وفي عام (١٩٢٦م) نال شكيب أرسلان الجنسية الحجازية -السعودية لاحقًا-.

كما انتخب شكيب (١٩٢٦م) في لجنة رئاسة «مؤتمر الخلافة»، وحركة مؤتمر الخلافة حركة إسلامية عارمة ثارت بعد قرار كمال أتاتورك إلغاء الخلافة الإسلامية

في (١٩٢٤م)، وقطع روابط تركيا بالعرب والمسلمين.

دعاه عرب المهجر في أمريكا الشمالية إلى ترؤس مؤتمرهم المنعقد في «ديترويت»؛ فلبى الدعوة عام (١٩٢٧م)، وسافر إلى أمريكا بعد أن طاف في روسيا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا، وأخذ يغذي الصحف العربية في كل مكان، وراح ينشر مذكراته في جريدة «مرآة الغرب» بنيويورك، تحدث فيها عن جمال السفاح، ومقاومته له، وردعه إياه عن فظائعه المنكرة في قتل الأحرار من العرب، وتحذيره لهذا الضابط المتكبر من نتائج أعماله على الدولة العثمانية وعلى رابطة العرب والترك.

في سنة (١٩٢٩م) ترك شكيب سويسرا؛ ليحج إلى بيت الله الحرام، وفي سنة (١٩٣٠م) قام برحلة إلى أسبانيا، فجاس خلالها مدنها وقراها، وصافحت عيناه جدران الأندلس الحلوة، فنقلها صورًا بارعة، ورسومًا باكية ضاحكة إلى كتابه: «الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية».

كما أنشأ في هذه السنة مجلة باللغة الفرنسية سماها «الأمة العربية – La Nation Arabe» بجنيف بسويسرا، وسعى من خلال هذه المجلة للدفاع عن قضايا أمته، غير مبال بغضب الإنجليز والفرنسيين.

وللأمير شكيب جهود في محو كثير من أسباب سوء التفاهم الذي ينشأ أحيانًا بين ملوك العرب، أو بين أمرائهم، أو سائر رجالاتهم، وغالبًا ما تكللت مساعيه بالنجاح؛ ففي سنة (١٩٣٤م) اختير شكيب في الوفد الذي شكلته لجنة المؤتمر الإسلامي في القدس؛ لحل الخلاف بين عاهل السعودية ابن سعود والإمام يحيى باليمن، فكان سببًا في جمع الشمل.

وقابل مع صديقه إحسان الجابري موسوليني زعيم إيطاليا، وباحثه في موضوع القضية الطرابلسية، وأقنعه بإعادة (٨٠) ألف عربي لوطنهم في ليبيا، وإعادة أراضيهم.

في عام (١٩٣٥م) ترأس الأمير شكيب أرسلان المؤتمر الإسلامي الأوروبي الذي عقد في «جنيف»، وفي عام (١٩٣٧م) سمح للأمير شكيب بزيارة سورية، فطاف مدنها وخطب في قومه، وحاضر في أندية علمية مختلفة، واختاره «المجمع العلمي العربي» بدمشق رئيسًا له، تكريمًا لجهاده.

عني شكيب أرسلان بقضية الوحدة العربية عناية شديدة، وأولاها كلَّ اهتمامه، وأوقف عليها حياته كلها، وكانت مقالاته دعوة متجددة إلى قيام تلك الوحدة الكبرى، التي كان يرى فيها الخلاص من حالة الضعف والاستكانة التي سادت الأقطار العربية، وجعلتهم فريسة للمستعمر الأجنبي.

كذلك اهتم بأحوال المسلمين في أنحاء العالم المختلفة، ففي عام (١٣٤٤هـ = ١٩٢٤م) أسس جمعية «هيئة الشعائر الإسلامية» في «برلين»، وكانت تهدف إلى الاهتمام بأمور المسلمين في «ألمانيا»، وقد تشكلت هذه الجمعية من أعضاء يمثلون معظم الشعوب الإسلامية، وأهم ما يميزها أنها نحت منحى دينيًا بعيدًا عن الشؤون السياسية، وذلك لتلافي أسباب الخلاف والشقاق التي قد تنجم عن الاختلافات السياسية بين الشعوب والدول المختلفة.

وتعرض شكيب أرسلان -بسبب مواقفه- للكثير من الاضطهاد من المستعمرين، وحيكت ضده المؤامرات العديدة من الاستعمار، كما تعرض لحملات شرسة من التشويه والافتراءات والأكاذيب.

عاش شكيب أرسلان نحو ثمانين عامًا، قضى منها نحو ستين عامًا في القراءة والكتابة والخطابة والتأليف والنظم، وكتب في عشرات الدوريات من المجلات والصحف في مختلف أنحاء الوطن العربي والإسلامي.

نظم الشعر وهو في منتصف العقد الثاني من عمره، وظهر نبوغه في الكتابة

وغطت على شعره، فبدأ يراسل جريدة الأهرام المصرية بتوقيع (ش)، وظل على ذلك سنين؛ فاستفاضت شهرته، وفي عام (١٨٨٧م) نشر ديوان شعره الأول: «الباكورة».

ولكنه سرعان ما انصرف إلى النثر بمختلف فنونه، فحقق بعض كتب التراث، وترجم رواية «آخر بني سراج» عن الفرنسية، وألَّف عددًا من الكتب عن الإسلام وحضارته.

وبلغت بحوثه ومقالاته المئات، فضلًا عن آلاف الرسائل، ومئات الخطب، كما نظم عشرات القصائد في مختلف المناسبات.

وقد اتسم أسلوبه بالفصاحة، والرصانة، وقوة البيان، والتمكن من الأداة اللغوية، مع دقة التعبير، والبراعة في التصوير، حتى أطلق عليه «أمير البيان».

وقد أصدر عددًا كبيرًا من الكتب ما بين تأليف، وشرح، وتحقيق، ومن أهم تلك الكتب:

١- «لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم؟».

٢- «تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط».

٣- «الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية».

٤- رواية «آخر بني سراج».

٥- «السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة».

٦- «شوقي، وصداقة أربعين سنة».

٧- «الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف».

٨- «الباكورة».

٩- «القول الفصل في رد العامي إلى الأصل».

١٠- «مطالعات في اللغة والأدب».

١١- «روض الشقيق في الجزل الرقيق».

١٢- «محاسن المساعي في مناقب أبي عمرو الأوزاعي».

١٣- تعليقاته على كتاب «حاضر العالم الإسلامي».

١٤- رسالة تاريخية للأمير شكيب حول محاولة فرنسا إخراج البربر من الإسلام.

١٥- مختارات نقدية في اللغة والأدب والتاريخ.

١٦- «تاريخ ابن خلدون» تعليقات الأمير على الجزء الأول والثاني منه.

١٧- كتاب «لا يمكن لأية دعاية في العالم أن تشوه صورة إنسان»، وهو بالفرنسية.

١٨- محاضرة «النهضة العربية في العصر الحاضر».

١٩- محاضرة «الوحدة العربية».

٢٠- مذكرات باللغة الفرنسية تصل إلى (٢٠) ألف صفحة، و(٣٠) ألف رسالة أو يزيد.

٢١- المئات من المقالات في الجرائد والمجلات منذ أول مقالة له في الأهرام (١٨٨٧م) حتى آخر مقالة في جريد الاستقلال في الأرجنتين في (١٠/ تشرين ثاني/ ١٩٤٦م).

٢٢- في عام (١٩٣٧م) أهدى الأمير مجموعة من عشرين ألف ورقة إلى نظارة الخارجية السورية؛ وهي: حصيلة مراسلاته ومرافعاته أمام عصبة الأمم في جنيف خلال سنوات (١٩٢٣ ـ ١٩٣٦).

مؤلفاته المخطوطة

١- رحلة إلى ألمانيا.

٢- بيوتات العرب في لبنان.

٣- مذكرات الأمير شكيب أرسلان، وقد أودعها مكتب المؤتمر الإسلامي في القدس لتنشر بعد وفاته.

وله العديد من المخطوطات معظمها موجود في المكتبة الخاصة بالملك المغربي الحسن الثاني، أو موزعة لدى العديد من أبناء الجبل في لبنان وحوران.

من مصادر الترجمة:

١- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

٢- «شكيب أرسلان العارف بالأمة أينما كانت» سمير حلبي.

٣- «شكيب أرسلان.. داعية العروبة والإسلام» أحمد الشرباصي.

٤- «شكيب أرسلان.. من رواد الوحدة العربية».

٥- «شكيب أرسلان والقضية الفلسطينية» خليل الصمادي.

وفي (١٥/ محرم/ ١٣٦٦هـ = الموافق ٩/ ٩/ ١٩٤٦م) انتقل إلى جوار ربه، وصليّ عليه بمسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بيروت/ ودفن في قرية الشويفات.

عقيدة المصنف -رحمه الله- ومذهبه

يعتقد كثير من الباحثين: أن أمير البيان درزيّ بحكم انتماء عائلة أرسلان الدرزية، وهذا ظنٌّ خطأ، وقياس فاسد، ودونك بيانه وتفصيله:

١- محافظة أمير البيان على شعائر الإسلام الظاهرة وأركانه الأساسية:

- قالت زوجته سليمى الخاص بك حاتوغو، وهي شركسية سنية، تزوجها أمير البيان سنة (١٩١٦م): «إن الأمير شكيب كان متدينًا محافظًا على الصلاة»[١].

- ومما ذكره أمير البيان: أنه في زيارته لموسكو صلّى الجمعة مرتين في مساجدها، ووصف المساجد، والأئمة، والمصلين[٢].

أدى فريضة الحج، ووثّق رحلته في كتاب: «الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف»، ومما قاله في مقدمته: « مضت علي حجج كثيرة وأنا أهمّ بفريضة الحج، والعوائق تعيق، والموانع من حول إلى حول تحول، إلى أن يسَّر الله بلطفه وحسن توفيقه لي أداء هذا الفرض في سنة ١٣٤٨هـ»[٣].

ومما قاله الدكتور أحمد الشرباحي: «لقد سبق أن الأمير يعدّ من الناحية الشكلية درزيًا، ولكنه في الاعتقاد كان شيئًا، وكان يتعبد على مذهب أهل السنة؛ فهو يصوم، ويصلي، ويزكي، ويحج؛ كما يفعل جمهور المسلمين، ودفاعه عن الدروز كان سياسة، وبقصد تجميع الكلمة، وعدم التفرقة بين الأمة»[٤].

---

(١) «شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام» (ص٤٧).

(٢) «السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة» (ص٤٠٣).

(٣) «الارتسامات اللطاف» (ص٣٥).

(٤) «شكيب إرسلان داعية العروبة والإسلام» (ص٢٠).

٢- لقد قبل أهل السنة والجماعة بأمير البيان شكيب أرسلان، وقَبِلَ هو بهم، ولذلك أثنوا عليه، ودافعوا عنه:

- ذكر الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله: «أن الأمير كان يصلي معهم الصلوات جماعة في مطبعته، وأنه لا يعلم عنه إلا الإسلام والسنة».

- قال الشيخ علي الطنطاوي عن الأمير: أنه تبرأ من درزيته، وعاد إلى الدين الحق، وظلّ عمره كلّه يحامي عنه بقلمه ولسانه، ويؤدي فرائضه وسننه، ويجتنب محرماته ومكروهاته[1].

- وسمعت الأستاذ زهير الشاويش يخبر عن شكيب أرسلان، فقال: كنا معه قبل وفاته بشهرين، وكان في المجلس محمد بهجه البيطار وغيره، فقال له عبد القادر عاني: يا أمير أسني أنت أم درزي ؟ فقال الأمير: نحن مسلمون سنيون، ولنا الإمارة على الدروز، وصلي عليه في مسجد أهل السنة في بيروت مسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٣- كانت لأمير البيان صلات قوية مع أبرز علماء أهل السنة والجماعة في عصره، مثل شيخنا الدكتور العلامة محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله، والذي كان يحبه حبًّا جمًّا حتى أنه سمى ابنه البكر على اسمه: شكيب.

وكانت له صلات قوية مع الشيخ مجد الدين الخطيب رحمه الله.

وعلاقته مع الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله؛ لا تخفى كما سطرها الأمير في كتابه: «إخاء أربعين سنة».

وكان على تواصل مع الشيخ الامام عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله.

وأما علامة الشام جمال الدين القاسمي رحمه الله فجعله يكتب مقدمة لكتابه « قواعد

---

(١) «مذكراته» (٢/ ٨٥).

التحديث »، ومما قاله الأمير: «وإني لأوصي جميع الناشئة الإسلامية التي تريد أن تفهم الشرع فهمًا ترتاح إليه ضمائرها، وتنعقد عليه خناصرها ألا تقدم شيئًا على تصانيف المرحوم جمال الدين القاسمي، الذي قسم الله له من اكتناه الشرع ما لم يقسمه إلا لكبار الأئمة، وأحبار الأمة، والله ينفع المسلمين بآثاره، ويهديهم في ظلمات هذه الحياة بزاخر أنواره»[1].

هذه خلاصة سيرة أمير البيان، ومجمل حياته، ولب عقيدته، وكلها تدل على حبّه الجمّ للإسلام، ودفاعه عنه ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وحرصه على وحده المسلمين، ودحض مفتريات خصومهم في كل ميدان، وكتابه الذي بين يديك شاهد بحق وناطق بصدق على ذلك كله.

وإن كان هذا لا يعفيه -في نظري - من انتقادات في الاعتقاد، وأخطاء وقع فيها، لكن عذره أنه ليس بعالم فقيه، أو محدث نبيه، وإنما كاتب بارع، وأديب مدافع، عاش طيلة حياته مطارد من أعداء الأمة، فنسأل الله أن يتجاوز عنا وعنه

وهذا ما غلب على ظني في أمير البيان متسأنسًا بعلاقاته الطيبة مع علماء أهل السنة ودفاعهم عنه[2]، وحبه الشديد لدينه، وحرصه الأكيد على قومه العرب: الذين هم مادة الإسلام وحملته؛ فإن أصبت؛ فمن الله وحده، وإن أخطأت؛ فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله بريئان من ذلك.

❁ ❁ ❁

---

(١) «الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمد شكري الألوسي» محمد ناصر العجمي (ص٢١)

(٢) حتى عدّوه أعظم رجالات العالم الإسلامي في عصره.
وانظر -غير مأمور- «السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة» (ص ٦١٩).

المقدمة على هذه الرسالة،

وتتضمن:

- مقدمة الأستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا -رحمه الله-.
- كتاب الشيخ محمد بسيوني -رحمه الله-.

خارطة جزيرة سمبس برنيو

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾

[الرعد: ١١]

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾

[الأنفال: ٥٣]

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾

[غافر: ٥١]

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾

[الحجرات: ١٥]

كتب إليَّ تلميذي المرشد: الشيخ محمد بسيوني عمران: إمام مهراجا جزيرة سمبس برنيو (جاوه) كتابًا يقترح فيه على أخينا المجاهد، أمير البيان: أن يكتب للمنار مقالًا بقلمِه السيَّال في أسباب ضعف المسلمين في هذا العصر، وأسباب قُوَّة الإفرنج واليابان، وعزتهم بالملك والسيادة والقوة والثروة.

وقال في كتاب آخر:

أنَّه قرأ ما كتبناه في «المنار»[1]، و«تفسيره»[2] من بيان الأسباب في الأمرين، وما كتبه الأستاذ الإمام[3] في مقالات: «الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية»[4] في

---

(١) أي: مجلة المنار، وهي مجلة أنشأها الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله عام (١٨٩٨م)، حرص فيها على الإصلاح الديني والاجتماعي للأمة الإسلامية، وبيان أن الإسلام يتفق والعقل والعلم ومصالح البشر، وإبطال الشبهات الواردة على الإسلام، وتفنيد ما يعزى إليه من تخلف وانحطاط.

وقد أفردت المجلة إلى جانب المقالات التي تعالج الإصلاح في ميادينه المختلفة بابًا لنشر تفسير الشيخ محمد عبده، إلى جانب باب لنشر الفتاوى والإجابة على ما يرد للمجلة من أسئلة في أمور اعتقادية وأخرى فقهية، وأفردت «المنار» أقسامًا لأخبار الأمم الإسلامية في جميع أقطار العالم الإسلامي، والتعريف بأعلام الفكر والحكم والسياسة في العالم العربي والإسلامي، وتناول قضايا الحرية في المغرب والجزائر والشام والهند.

لم تمض خمس سنوات على صدور المجلة حتى أقبل عليها الناس، وانتشرت انتشارًا واسعًا في العالم الإسلامي، واشتهر اسم صاحبها حتى عُرف بصاحب «المنار»، وعرف الناس قدرَه وعلمه، وصار ملجأهم فيما يعرض لهم من مشكلات، وأصبحت مجلته هي المجلة الإسلامية الأولى في العالم الإسلامي، وموئل الفتيا في التأليف بين الشريعة والعصر.

وقد كان الشيخ محمد رشيد رضا يحرِّر معظم مادة مجلته على مدى عمرها المديد، يمده زاد واسع من العلم، فهو عالم موسوعي محيط بالتراث الإسلامي، راسخ في علوم القرآن، على دراية واسعة بالفقه الإسلامي والسنة النبوية، عارف بأحوال المجتمع والأدوار التي مر بها التاريخ الإسلامي، شديد الإحاطة بما في العصر الذي يعيش فيه، خبير بأحوال المسلمين في الأقطار الإسلامية.

(٢) هو تفسيره المسمى بـ: «تفسير القرآن الحكيم»، والذي اشتهر باسم: «تفسير المنار»، وهو مطبوع متداول معروف، وقد توفي الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله قبل إتمامه.

(٣) هو الشيخ محمد عبده بن حسن خيرة الله التركماني، ولد سنه (١٢٦٦هـ-١٨٤٩م)؛ وهو: شيخ السيد محمد رشيد رضا؛ الذي أطلق عليه لقب: الأستاذ الإمام؛ وتوفي بالاسكندرية (١٣٢٣هـ-١٩٠٥م)

(٤) مقالات نشرت في «المنار» ردًّا على المفكر الماروني اللبناني (فرح أنطون) سنة (١٩٠٢م)؛ حيث زعم هذا الماروني في مجلة «الجامعة العثمانية»: أن النصرانية أكثر تسامحًا في العلم، =

الموضوع، وإنما غرضه: أن يكتب في ذلك أمير البيان بقلمه المؤثر المعبِّر عن معارفه الواسعة، وآرائه الناضجة؛ لتجديد التأثير في أنفس المسلمين بما يناسب حالهم الآن؛ لتنبيه غافلهم، وتعليم جاهلهم، وكبت خاملهم، وتنشيط عاملهم.

وبنى الاقتراح على الأسئلة الآتية -التي صارت مثار شبهه على الدين عند غير علمائه؛ فهو يعلم مما سمعه من دروسنا في «مدرسة الدعوة والإرشاد»[1]، ومما كتبناه مرارًا في «المنار» و«التفسير»: أنَّ كتاب الله -تعالى- حُجَّة على أدعياء الإسلام والإيمان، وليسوا هم حجَّة عليه-.

اقترحت هذا الاقتراح لحمل أخي ووليي: الأمير شكيب على كتابه شيء مثل هذا للمنار، وأنا الذي أنصح له دائمًا بتخفيف أحمال الكتابة عن عاتقه؛ لكثرة ما يكتب لصحف الشرق والغرب وللأصدقاء غيرهم، فأرسلت إليه كتاب الشيخ محمد بسيوني عقب وصوله إليَّ؛ فأرجأ الجواب عنه؛ لكثرة الشواغل إلى أن عاد من رحلته

= وأسبق تقدمًا في المدنية من الإسلام، ولذلك نهضت أوروبة، وتخلفت حضارة الإسلام!
فرد عليه الشيخ محمد عبده ردًّا مُفحمًا مبينًا عظمةَ الإسلام وعراقه حضارته.
ثم نشرت هذه المقالات في كتاب مستقل عنوانه: «الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية».
وقد طبع هذا الكتاب مرتين في حياة مؤلفه.
وقد تعرض الكتاب للتزوير والتحريف في بعض طبعاته.

(١) إحدى المدارس الدعوية التي أسسها الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله سنة (١٩١٣م)، ومقرها القاهرة.
كانت المدرسة تُعنى بتخريج الدعاة المأهلين لنشر الدين الإسلامي، وكانت تختار طلابها من طلاب العلم الصالحين من الأقطار الإسلامية، ويُفضل من كانوا في حاجة شديدة إلى العلم؛ كأهل جاوه والصين، وكفلت المدرسةَ لطلابها جميع ما يحتاجون إليه من مسكن وغذاء، واعتنت بتدريس طلابها آداب الإسلام وأخلاقه وعبادته، كما كانت تُعنى بتعليم التفسير والفقه والحديث، فلا خير في علم لا يصحبه خلق وسلوك رفيع، وكانت المدرسة لا تشغل بالسياسة، وتُرسل الدعاة المتخرجين إلى أشد البلاد حاجة إلى العلم والدعوة الإسلامية.

الأخيرة إلى أسبانية، وقد أثَّرت في نفسه مشاهدُ حضارة قومنا العرب في الأندلس والمغرب الأقصى، وشاهد تأثير محاولة فرنسة تنصير شعب البربر في المغرب؛ تمهيدًا لتنصير عرب إفريقية المرزوئين باستعبادها لهم؛ كما فعلت إسبانية في سلفهم في الأندلس، فكتب الجواب منفعلًا بهذه المؤثرات، فكان آية من آيات بلاغته، وحجة من حجج حكمته، لعلها أنفع ما تفجر من ينبوع غيرته، وانبجس من معين خبرته، فسال من أنبوب يراعته، جزاه الله خير ما جزى المجاهدين الصادقين.

محمد رشيد رضا

كتاب الشيخ محمد بسيوني عمران

حضرة مولاي الأستاذ المصلح الكبير: السيد محمد شيد رضا؛ صاحب «المنار» -نفعني الله والمسلمين بوجوده العزيز آمين-.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أما بعد:

فإن من قرأ ما كتبه في «المنار»، وفي الجرائد العربية العلامة السياسي الكبير أمير البيان: الأمير شكيب أرسلان، من مقالاته الرنانة المختلفة المواضيع، عرف أنه من أكبر كتاب المسلمين المدافعين عن الإسلام، وأنه أقوى ضلع للمنار وصاحبه في خدمه الإسلام والمسلمين، وإني أرجو من الله -تعالى- أن يطيل بقاءهما الشريف في خير وعافية، كما أرجو من مولاي الأستاذ صاحب «المنار»: أن يطلب من هذا الأمير الكاتب الكبير: أن يتفضل عليَّ بالجواب عن أسئلتي الآتية؛ وهي:

١- ما أسباب ما صار إليه المسلمون -ولاسيما نحن مسلمو جاوة وملايو- من الضعف والانحطاط في الأمور الدنيوية والدينية معًا، وصرنا أذلاء لا حول لنا ولا قوة، وقد قال الله -تعالى- في كتابه العزيز: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]؟!

فأين عزَّة المؤمنين -الآن-؟

وهل يصحُّ لمؤمن أن يَدَّعي: أنه عزيز، وإن كان ذليلًا مهانًا ليس عنده شيء من أسباب العزة: إلا؛ لأنَّ الله -تعالى- قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾؟!

٢- ما الأسباب التي ارتقى بها الأوروبيون والأمريكانيون واليابانيون ارتقاءً هائلًا؟

وهل يمكن أن يصير المسلمون أمثالهم في هذا الارتقاء إذا اتبعوهم في أسبابه، مع المحافظة على دينهم «الإسلام» أم لا؟

هذا والمرجو من فضيلة الأمير: أن يبسط الجواب في «المنار» عن هذه الأسئلة، وله وللأستاذ صاحب «المنار» من الله الأجر الجزيل.

محمد بسيوني عمران

سنبس بورنيو الغربية

في (٢١/ ربيع الآخر / سنة ١٣٤٨هـ)[١]

❀ ❀ ❀

---

(١) هذا نص كتاب السائل، ويتلوه جواب الأمير، وقد وضعنا له بعض العناوين؛ لأنها كمحطات الطريق للسالكين، وعلقنا عليه قليلًا من الحواشي المفيدة للقارئين، كما فعلنا ذلك في كتاب: «الإسلام النصرانية» لشيخنا الأستاذ الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ.

ملاحظة: الحواشي التي من قلم العلامة السيد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ عليها التوقيع بحرف (ر).

والحواشي المضافة إلى الطبعة من قلم المؤلف عليها التوقيع بحرف (ش)[أ].

(أ) قال أبو أسامة الهلالي -عفا الله عنه-: والحواشي الغفل من قلمي، والله الموفق.

جواب الأمير شكيب أرسلان

إندونيسية
ماليزيا
الفلبين
الارتفاعات (بالأمتار)
فوق ٢٠٠٠
٢٠٠٠ - ١٠٠٠
١٠٠٠ - ٥٠٠
٥٠٠ - ٢٠٠
٢٠٠ - ٠
١٢٠
١١٠
١٠٠
٩٠
٦٠٠
١٢٠٠
١٥٠٠كم

جواب الأمير شكيب أرسلان

إن الانحطاط والضعف اللذين عليهما المسلمون شيء عام في المشارق والمغارب لم ينحصر في جاوة وملايو، ولا في مكان آخر، وإنما هو متفاوت في دركاته.

فمنه: ما هو شديد العمق!

ومنه: ما هو قريب الغور!

ومنه: ما هو عظيم الخطر!

ومنه: ما هو أقل خطرًا!

وبالإجمال حالة المسلمين الحاضرة -ولا سيما مسلمي القرن الرابع عشر للهجرة أو العشرين للمسيح-، لا ترضي أشد الناس تحمسًا بالإسلام وفرحًا بحزبه، فضلًا عن غير الأحمسي[1] من أهله.

إن حالتهم الحاضرة لا ترضي لا من جهة الدين، ولا من جهة الدنيا، ولا من جهة المادة ولا من المعنى.

وإنك لتجد المسلمين في البلاد التي يساكنهم فيها غيرهم متأخرين عن هؤلاء الأغيار، لا يساكنهم في شيء إلا ما نَزَرَ[2]، ولم أعلم من المسلمين من ساكنهم أمم أخرى في هذا العصر، ولم يكونوا متأخرين عنهم؛ إلا بعض أقوام منهم، وذلك

---

(١) الشجاع المقدام.

(٢) نزر: قلَّ وندر.

كمسلمي بوسنة[1] -مثلًا-؛ فإنهم ليسوا في سوي مادي ولا معنوي أدنى من سوي[2] النصارى الكاثولكيين، أو النصارى الأرثوذكسيين الذين يحيطون بهم، بل هم أعلى

---

(١) من مناطق البلقان: تقع جنوب شرق أوروبة؛ وهي: أحدى جمهوريات الاتحاد اليوغسلافي -السابق-، وقد أُعلن عن قيام دولة البوسنة والهرسك عام (١٩٩١م)، وأعقبه إعلان الاستقلال سنة (١٩٩٢م)؛ حيث دخلت على إثره في حرب طائفية صليبية، قادها الصرب النصارى؛ حيث مارسوا خلالها إبادة جماعية، وبخاصة في سراييفو، واستمرت حتى سنه (١٩٩٥م)، وهي -الآن- دولة مستقلة.

(٢) مستوى.

مستوى من الفريقين[1].

وككثير من مسلمي الروسية الذين ليس المسيحيون الذين يجاورونهم أرقى من الطوائف المسيحية التي تساكنهم.

ولا خلاف في أنَّ مسلمي الصين إجمالًا على تأخرهم هم أرقى من الصينيين البوذيين، هذا إذا كانت النسبة بين الفريقين باقية؛ كما كانت قبل الحرب العامة[2]، وفيما عدا هذه الأماكن نجد تأخر المسلمين عن مسايرة جيرانهم عامًّا مع تفاوت في

---

(١) كانوا أعلى مستوى من الكاثوليكيين والارثوذكسيين من الجهة المادية بسبب أن (٨٠٪) من أراضي بوسنة كانت ملكًا للمسلمين، وكان الفلاحون فيها جميعًا من الصربيين، فمنذ بضع عشرة سنة سنت حكومة بلغراد قانونًا صدقه مجلس نوابها؛ نزعت بموجبه هذه الأملاك من أيدي مالكيها المسلمين، وسلمتها إلى الفلاحين الصربيين غير معوضة على المسلمين إلا ببدل بخس، فأصبحوا لا يملكون في بوسنة إلا (٢٥٪)من الأراضي، فسقطت أهميتهم المادية من ذلك الوقت، أما حالتهم الأدبية؛ فَمُرْضِية إلى اليوم لا يقال إنها دنيا بالقياس إلى جيرانهم (ش).

(٢) أي: الحرب الكونية الأولى.

دركات التأخر.

ويقال: إن العرب في جزيرة سنغافورة هم أعظم ثروة من جميع الأجناس التي تساكنهم، حتى من الإنكليز أنفسهم بالنسبة إلى العدد، ولا أعلم مبلغ هذا الخبر من الصحة، ولكنه على فرض صحَّته ليس بشيء يقدم أو يؤخر في ميزانية المسلمين العامة[1].

(١) لقد كان هناك الكثير من الهجرات العربية إلى دول آسيا وإفريقيا وأوروبا، ومن ضمن هذه الهجرات قد دخل الحضارم إلى سنغافورة، بغرض التجارة، فقاموا بإيصال الدين الإسلامي واللغة العربية لأصقاع هذه البلاد عن طريق تعاملهم وأسلوبهم الحسن مع أهل تلك البلاد، مما أدى إلى زرع الثقة في نفوسهم، واندماجهم مع العرب المهاجرين، وبخاصة الحضارمة منهم تحديدًا.

نعم؛ لقد كان العرب المهاجرون إلى سنغافورة أشد الناس غناءً وثروة، وأخص منهم الحضارمة المهاجرون، فقد كانوا تجار البلاد ومعمروها.

أما اليوم؛ فقد ضعفت أحوال العرب المسلمين في سنغافورة بسبب القوانين الصارمة من قبل الحكومة.

ولا إنكار أن في العالم الإسلامي حركة شديدة، ومخاضًا عظيمًا شاملًا للأمور المادية والمعنوية، ويقظة جديرة بالإعجاب، قد انتبه لها الأوروبيون وقدَّروها قَدْرَها، ومنهم من هو متوجسٌ خِيْفَةَ مَغَبَّتِها[1]، لا يخفي هذا الخوف من تضاعيف كتاباتهم؛ إلا أن هذه الحركة إلى الأمام لم تصل بالمسلمين حتى اليوم إلى درجة يساوون بها أمة من الأمم الأوروبية، أو الأميركية، أو اليابان.

فبعد أن تقرر هذا: وجب أن نبحث في الأسباب التي أوجدت هذا التقهقر في العالم الإسلامي، بعد أن كان منذ ألف سنة هو الصدر المقدَّم، وهو السيد المرهوب المطاع بين الأمم شرقًا وغربًا، فقبل أن نبحث في أسباب الارتقاء؛ فنقول:

❁ ❁ ❁

(١) أي: عاقبتها وآخرها.

أسباب ارتقاء المسلمين الماضي

الجزيرة
بادية الجزيرة
بادية الشام
الشام
العراق
بادية العراق
فارس
مصر
النفود
البحرين
الدهناء (علج)
نجد
الحجاز
السماة
عمان
الربع الخالي
الأحقاف
الشحر المهرة
حضرموت
مهيد
اليمن
الحبشة

أسباب ارتقاء المسلمين الماضي

إنَّ أسبابَ الارتقاء كانت عائدة في مجملها إلى الديانة الإسلامية التي كانت قد ظهرت جديدًا في الجزيرة العربية؛ فَدَانَ[1] بها قبائل العرب، وتحوَّلوا بهدايتها من الفرقة إلى الوحدة، ومن الجاهلية إلى المدنية، ومن القسوة إلى الرحمة، ومن عبادة الأصنام إلى عبادة الواحد الأحد، وتبدلوا بأرواحهم الأولى أرواحًا جديدة، صيَّرتهم إلى ما صاروا إليه من عزة ومنعه، ومجد وعرفان وثروة، وفتحوا نصف كرة الأرض في نصف قرن، ولولا الخلاف الذي عاد فَدَبَّ بينهم منذ أواخر خلافة عثمان وفي خلافة عليٍّ ﷺ؛ لكانوا أكملوا فتح العالم، ولم يقف في وجههم واقف[2].

على أن تلك الفتوحات التي فتحوها في نصف قرن -أو: ثلثي قرن-، برغم الحروب التي تسببت بها مشاقة معاوية لعلي، والحروب التي وقعت بين بني أمية وابن الزبير؛ قد أدهشت عقول العقلاء والمؤرخين والمفكرين، وحيَّرت الفاتحين الكبار،

---

(١) خضع وذلَّ.

(٢) كتب السيد رشيد رضا إلى الأمير شكيب أرسلان -رحمهما الله- ببعض الاستدراكات على كتابه هذا بعد طباعته، وقد أوردها الأمير في كتابه: «السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة» (ص٤٥٦-٤٦١)، وسنضعها في مواضعها، ومما يتعلق بهذا الموضع:
«وهناك عبارات لا خلاف في مفرداتها ولا في جملها، ولكن قد توهم غير مراد الكاتب؛ كقول الأمير -أيد الله به العربية في لغتها وتاريخها وسياستها-: «ولولا الخلاف الذي عاد؛ فدب بينهم في أواخر خلافة عثمان وفي خلافة علي ﷺ؛ لكانوا أكملوا فتح العالم».
فهذا التعبير يوهم أن الذين كان المانع من فتح العالم؛ هو: الخلاف الذي دبَّ بينهم في زمن الخليفتين فقط، وهو غير مراد، وأظن أنه لو قيل: «منذ أواخر خلافة عثمان؛ لزال هذا الإيهام، وإنه أولى، وإن كان تأويل الأول ممكنًا».

وأذهلت نابليون بونابرت[1] أعظمهم، وله تصريح في ذلك نقله عنه «لاكاس» الذي رافقه إلى جزيرة «سانت هيلانة»، وغيره من المُقَيِّدين لحوادث نابليون، المتبعين لأقواله، فقد ثبت ثبوتًا قطعيًّا من أقوال ذلك الفاتح العظيم وسيرته أيام كان بمصر: أنه كان معجبًا بمحمد وعمر، وبكثير من أبطال الإسلام، وأن نفسه حدثته لما كان بمصر أن يتخذ الإسلام دينًا له[2].

---

(١) هو إمبراطور فرنسا (١٧٦٩-١٨٢١م) الذي شنَّ حروبًا كثيرة؛ لكنه سنة (١٨١٥م) هُزِم في معركة (واترلو) أمام الحلفاء، ونفاه الإنجليز إلى المستعمرة البريطانية (سانت هيلانة) حيث أمضى فيها بقية حياته.

(٢) اختلف المؤرخون في اعتناق نابليون للإسلام، ولكن الأكثر: أن ما أظهر في مصر (١٧٩٩م-١٨٠١م) إنما كان خدعة حربية، ومناورة سياسية، لكن هذا لا ينفي ما جاء في كثير من الوثائق؛ وبخاصة ما ذكره الكاتب الفرنسي (كريستان شيرفين) في كتابه: «نابليون والإسلام»: أنه كان متأثرًا شديدًا بالإسلام، معجبًا كل الإعجاب بحضارته؛ لكن هذا الإعجاب نظري لم يرق إلى حدِّ دخول الإسلام والالتزام بمبادئه العملية.
ويضاف إلى هذا نظرة نابليون إلى الكنيسة التي اعتبرته مرتدًّا، وعلاقته السيئة جدًّا مع بابا الفاتيكان.

فالقرآن قد أنشأ إذًا العرب نشأة مستأنفة، وخلقهم خلقًا جديدًا، وأخرجهم من جزيرتهم والسيف في إحدى اليدين، والكتاب في الأخرى: يفتحون، ويسودون، ويتمكنون في الأرض بطولها وعرضها[1].

ولا عبرة بما يقال في شأن العرب قبل الإسلام، وما يُروى من فتوحات لهم ومدنيات أثيلة[2]، وما ينوِّه به من أخلاق عظام في الجاهلية، فهذه -ولا جدال- قد كانت ولا تزال آثارها ظاهرة.

ولا شك في مدنية العرب القديمة، وأنها من أقدم مدنيات العالم على الإطلاق، ومما يرجح أن الكتابة قد بدأت عندهم، وأنه لو فُرِضَ أن الفينيقيين الذين اخترعوا الكتابة في العالم؛ فالفينيقيون في الحقيقة أمة سامية عربية، ولكن دائرة تلك المدنية كانت محدودة مقصورة على الجزيرة وما جاورها.

وقد أتى على العرب حين من الدهر سادهم الغرباء في أرضهم، وأذلَّهم الأجانب في عقر دارهم[3]، كالفرس في اليمن وعُمان والحيرة، وكالحبشة في اليمن، وكالروم في أطراف الحجاز ومشارف الشام.

والحقيقة: أنهم لم يستقلوا استقلالًا حقيقيًّا واسعًا إلا بالإسلام، ولم تعرفهم الأمم البعيدة، وتخنع لهم الممالك العظام والقياصرة والأكاسرة، وتتحدث بصولتهم الناس، ولم يقعدوا من التاريخ المقعد الذي أحلَّهم في الصف الأول من الأمم الفاتحة

---

(١) وهذا ما يقره علماء الإسلام: أن دين الإسلام قام بالكتاب الهادي، ونفذه بالسيف الناصر.

فما هو إلا الوحي أوحد مرهف ... يقيم ضياء أخدعي كل مائل

فهذا شفاء الداء من كل عاقل ... وهذا دواء الداء من كل جاهل

وانظر: «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» لابن قيم الجوزية (ص٢٣٢-٢٣٣).

(٢) قديمة وأصيلة.

(٣) وسطها.

إلا بمحمد ﷺ[1].

فالسبب الذي به نهضوا وفتحوا، وسادوا وشادوا، وبلغوا هذا المبالغ كلها من المجد والرقي، يجب علينا أن نبحث عنه وننشده، ونحفي المسألة[2]، ونمعن في النشدان: أهو باق في العرب وهم قد تأخروا برغم وجوده، وتأخر معهم تلاميذهم

---

(١) وهذا ما يقر به الغربيون، ويشهد له ما سطروه عن محمد ﷺ في كتبهم، وانظر مثالاً ما كتبه (جوستاف لوبون) في كتابه الفذ: «حضارة العرب»، وتأمل ما قاله (ص١١٥): «إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد ﷺ من أعظم من عرفهم التاريخ، وقد أخذ علماء الغرب ينصفون محمدًا ﷺ من أن التعصب أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله».

ويقول (إدوارد جيبون وسيمون أوكلي) في كتاب: «تاريخ امبراطورية الشرق» الذي صدر في لندن (١٨٧٠م) (ص٥٤): «ليس انتشار الدعوة الإسلامية هو ما يستحق الانبهار، وإنما استمراريتها وثباتها على مر العصور، فما زال الانطباع الرائع الذي حضره محمد في مكة والمدينة له نفس الروعة والقوة في نفوس الهنود والأفارقة والأتراك حديثي العهد بالقرآن رغم مرور أثني عشر قرنًا من الزمان.

لقد استطاع المسلمون الصمود يدًا واحدة في مواجهة فتنة الإيمان بالله رغم أنهم لم يعرفوه إلا من خلال العقل والمشاعر الإنسانية؛ فقوله: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله»، هي ببساطة شهادة الإسلام، ولم يتأثر إحساسهم بألوهية الله -عز وجل- بوجود أي شيء من الأشياء المنظورة التي كانت تتخذ آلهة من دون الله، ولم يتجاوز شرف النبي ﷺ وفضائله حدود الفضيلة المعروفة لدى البشر، كما أن منهجه في الحياة جعل مظاهر امتنان الصحابة له منحصرة في نطاق العقل والدين».

ويقول (سنرستن الأسوجي) وهو مستشرق وأستاذ اللغة السامية ومحرر مجلة (العالم الشرقي) في كتابه «تاريخ حياة محمد»: «إننا لم ننصف محمدًا إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات، وحميد المزايا، فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية مصرًا على مبدئه، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع، وهو فوق عظماء التاريخ».

(٢) أي: نرددها ونستقصيها.

الذين هم سائر المسلمين، أم قد ارتفع هذا السبب من بينهم، ولم يبق من الإيمان إلا اسمه، ومن الإسلام إلا رسمه، ومن القرآن إلا الترنّم به[1]، دون العمل بأوامره ونواهيه، إلى غير ذلك مما كان في صدر الملة وعنجهية الشريعة[2].

❁ ❁ ❁

(١) التغني به.

(٢) أي: عظمة الشريعة وسيادتها.

فقد المسلمين السبب الذي ساد به سلفهم

إذا فحصنا عن ذلك: وجدنا أن السبب الذي به استقام هذا الأمر قد أصبح مفقودًا بلا نزاع، وإن كان بقي منه شيء كباقي الوشم[1] في ظاهر اليد[2]، فلو كان الله -تعالى- وعد المؤمنين بالعزة بمجرد الاسم دون الفعل؛ لكان يحق لنا أن نقول: أين عزة المؤمنين؟ من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

ولو كان الله قد قال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]؛ بمعنى: أنه ينصرهم بدون أدنى مزية[3] فيهم؛ سوى: أنهم يعلنون كونهم مسلمين؛ لكان ثمة محل للتعجب من هذا الخذلان بعد ذلك الوعد الصريح بالنصر.

ولكن النصوص التي في القرآن هي غير هذا، فالله غير مخلفٍ وعدَه، والقرآن لم يتغيَّر، وإنما المسلمون هم تغيَّروا، والله أنذرَ بهذا؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

فلما كان المسلمون قد غيَّروا ما بأنفسهم: كان من العجب أن لا يُغيِّر اللهُ ما بهم، وأن لا يبدلهم الذُّلَّ والضعة، من ذلك العز وتلك الرفعة، بل كان ذلك يعد منافيًا للعدل الإلهي، والله -عز وجل-؛ هو: العدل المحض.

كيف ترى في أمة ينصرها الله بدون عمل، ويفيض عليها الخيرات التي كان

---

(١) أثر الوشم.

(٢) اقتباس من مطلع معلَّقة طرفة بن العبد، وانظر: «ديوانه» (ص٥).

(٣) خاصية.

يفيضها على أبائها؛ وهي: قد قعدت عن جميع العزائم التي قد كان يقوم بها آبائها؟ وذلك يكون -أيضًا- مخالفًا للحكمة الإلهية، والله هو العزيز الحكيم، وما قولك في عزة دون استحقاق، وفي غلة دون حرث ولا زرع، وفي فوز دون سعي ولا كسب، وفي تأييد دون أدنى سبب يوجب التأييد؟

لا جرم أن هذا مما يغري الناس بالكسل، ويحول بينهم وبين العمل، بل مما يخالف النواميس[1] التي أقام الله الكون عليها، وهو مما يستوي[2] به الحق والباطل، والضار والنافع، والموجب والسالب، وحاشا الله أن يفعل ذلك.

ولو أيَّد الله مخلوقًا بدون عمل؛ لأيَّد من دون عمل محمدًا رسولَه، ولم يحوجه إلى القتال والنزال والنضال، واتباع سنن الكون الطبيعية للوصول إلى الغاية.

وتَصوَّر أُمَّةً لله عندها مائة، وهي تؤدي من المائة خمسة فقط[3]، أتعدُّ نفسها قد أدَّت ما عليها، وهي تطمع في أن يكافئها الله كما يكافىء أجدادها الذين كانوا يؤدون المائة مائة، وإن قصَّروا عن المائة أدوا بالأقل تسعين أو ثمانين منها؟

كل هذا مخالف لما وعد الله على رسله، ومخالف للعقل والمنطق، ومخالف لحكمة التشريع، وليس هذا هو الشرط الذي شرطه الله على المؤمنين، وليس هذا هو البيع الذي يستبشر به المؤمنون، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ

---

(١) القوانين والسنن.

(٢) يتساوى.

(٣) ولو أدى المسلمون في زمان الانحطاط هذا عُشْرَ ما أُمِروا به؛ لنجوا، وسعدوا، وفازوا.
ومصداق ذلك في حديث أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ؛ قال: «إنكم في زمان كثير علماؤه، قليل خطباؤه، من ترك عُشْرَ ما يعرف؛ فقدى هوى، ويأتي من بعد زمان كثير خطباؤه، قليل علماؤه، من استمسك بعُشْر ما يعرف؛ فقد نجا».
«السلسلة الصحيحة» (٢٥١٠) لشيخنا الإمام الألباني رحمه الله، وانظر -أيضًا- (٣١٨٩).

﴿وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

فأين حالة المسلمين اليوم من هذا الوصف الذي في كتاب الله؟

وأين حالتهم من سلفهم الذين كانوا يتهافتون على الموت الأحمر؛ لإحراز الشهادة، وكثيرًا ما كانوا ينشدون الموت ولا يجدونه؟ وكان فارسهم يكرُّ؛ وهو يقول: إنِّي لأشمُّ ريحَ الجنة[1]، ثم لا يزال يكرُّ ويخوض غمرات الحرب حتى إذا استشهد؟ قال: هذا يوم الفرح[2]، وإذا فاتته الشهادةُ برغم حرصه عليها: عاد إلى قومه حزينًا كئيبًا.

---

(١) أخرج البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣) من حديث أنس ﷺ؛ قال: غاب عمّي أنس بن النَّضر عن قتالِ بدر، فقال: يا رسول الله! غبتُ عن أوَّلِ قتالٍ قاتلت المشركين، لئن الله أشهَدَني قتالَ المشركين لَيَرَيَنَّ اللهُ ما أصنع، فلما كان يوم أُحد، وانكشف المسلمون، قال: اللَّهم إنِّي أعتذرُ إليك مما صنعَ هؤلاء -يعني: أصحابه-، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء -يعني: المشركين-، ثم تقدم، فاستقبله سعدُ بن معاذ، فقال: يا سعدُ بنَ معاذٍ! الجنَّةَ وربَّ النضرِ؛ إني أجد ريحَها دون أُحد، قال سعد: فما استطعتُ يا رسول الله! ما صنع، قال أنسٌ: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربةً بالسيف، أو طعنةً برمح، أو رميةً بسهم، ووجدناه قد قُتل، وقد مَثَّل به المشركون، فما عرفه أحدٌ إلا أُختُه ببَنانِه، قال أنس: كنا نرى -أو: نظن- أنَّ هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] إلى آخر الآية.

(٢) كما ثبت عن الصحابي الجليل: حرام بن ملحان عند البخاري (١٠٠٢)، ومسلم (٦٧٧)، واللفظ له: عن أنس بن مالك ﷺ؛ قال: جاء ناس إلى النبي ﷺ، فقالوا: أنِ ابعث معنا رجالًا يُعَلِّمونا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلًا من الأنصار، يقال لهم: القُرَّاء، فيهم خالي حرام، يقرءون القرآن، ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد، ويحتطبون فيبيعونه، ويشترون به الطعام لأهل الصُّفَّة وللفقراء، فبعثهم النبي ﷺ إليهم، فعرضوا لهم، فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان، فقالوا: اللهم، بلغ عنا نبيَّنا أنَّا قد لقيناك فرضينا عنك، ورضيت عنا، قال: وأتى رجل حرامًا -خال أنس- من خلفه، فطعنه برمح حتى أنفذَه، فقال حرام: فزتُ ورب الكعبة، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: **«إن إخوانكم قد قُتلوا، وإنهم قالوا: اللهم بلِّغ عنَّا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك، ورضيت عنا»**.

الحرب الكونية الأولى

المقابلة بين حالي المسلمين والإفرنج اليوم

اليوم فَقَدَ المسلمون -أو: أكثرُهم- هذه الحماسة التي كانت عند آبائهم، وإنما تَخَلَّق بها أعداء الإسلام الذين لم يوصهم كتابهم بها، فتجد أجنادهم تتوارد على حياض المنايا سباقًا، وتتلقى الأسنة والحراب عناقًا، ولقد كان مبلغ مفاداتهم بالنفائس وتضحيتهم للنفوس في الحرب العامة فوق تصور عقول البشر؛ كما يعلم ذلك كل أحد؛ فالألمان فقدوا نحو مليوني قتيل، والفرنسيون فقدوا مليونًا وأربعمائة ألف قتيل، والإنكليز فقدوا ستمائة ألف قتيل، والطليان فقدوا أربعمائة وستين ألف قتيل، والروس هلك منهم ما يفوق الإحصاء، وهلم جرًّا؛ هذا من جهة النفوس.

وإنكلترا بذلت سبعة مليارات من الذهب -أي سبعة آلاف مليون جنيه-، وفرنسة بذلت نحو مليارين، وألمانيا أنفقت ثلاثة، وإيطالية أنفقت خمسمائة مليون، وروسية أنفقت ما أوقع فيها المجاعة التي آلت[1] إلى الثورة، ثم إلى البلشفة[2]، وهلمَّ جرًّا.

فليقل لي قائل: أيَّة أُمَّةٍ مسلمةٍ اليوم تُقْدِم على ما أَقْدَمَ عليه هؤلاء النصارى: من بيع النفوس، وإنفاق الأموال بدون حساب في سبيل أوطانهم ودولهم؛ حتى نعجب

---

(١) عادت وأنتجت.

(٢) البلشفة تعني بالروسية: الأكثرية، وقد أطلقت على الجناح اليساري من أنصار لينين في حزب العمل الاشتراكي الروسي عام (١٩٠٣م)؛ حيث كانوا الأكثرية في الحزب، وأما البقية فسموا بـ«المونشفيك»؛ لأنهم أقليَّة.
وفي عام (١٩١٧م) صار مصطلحًا يطلق على غلاة الشيوعية الذين يطالبون بالحق الأقصى من المطالب الاجتماعية، وأما في لسان المسلمين -اليوم-؛ فهو: مصطلح يعني: الإلحاد، والزندقة، والشيوعية.

نحن لماذا آتاهم الله النعمة والعظمة والثروة وحرم المسلمين اليوم أقلَّ جزء منها؟

وقد يقال: إن المسلمين فقراء ليس عندهم الأموال؛ لينفقوا هذا الإنفاق كلَّه.

فنجيب: بأننا نوزع هذه النفقات على الأوروبيين بنسبة رأس المال، لا نُكلِّف المسلمين إلا الإنفاق مثل الأوروبيين على هذه النسبة، فهل تسخو الأمم الإسلامية الحاضرة بما تسخو الأمم الأوروبية التي منها من قد أنفقت في الحرب العامة أكثر من نصف ثروتها؟

الجواب: لا، ليس المسلمون اليوم من يفعل ذلك لا فردًا ولا أقوامًا، وندر[1] في المسلمين من ينفق الزكاة الشرعيَّة[2].

وقد يقال: إن الأمة التركية؛ وهي: أمة مسلمة قد أنفقت كلَّ ما تقدر عليه في حرب اليونان، ولم تقصر عن شأو[3] الأوروبيين في المفاداة بالأنفس والنفائس.

والجواب: نعم قد كان ذلك.

ومن التُّرك: من بذل ثلث ثروته.

ومنهم: مَن بذل نصف ثروته في هذه الحرب.

ولكنهم لما فعلوا ذلك انقلبوا بنعمةٍ من الله وفازوا، وحرَّروا أنفسهم واستقلوا، وارتفعوا بعد أن كانوا هووا[4]، وعزُّوا بعد أن كانوا ذلُّوا.

إذًا الأمم الإسلامية إذا ائتمرت في المعاداة بما أمرها به كتابُها كما كان يفعل آباؤها، أو افتدت على الأقل بما هو دأب[5] الأوروبيين اليوم من بذل النفوس والنفائس في

---

(١) قلَّ.

(٢) انظر ما سيأتي (ص٦٢).

(٣) الهمة، والغاية، والشوط.

(٤) سقطوا وخسروا.

(٥) عادة.

سبيل حفظ بيضتها[1]، وذود المعتدين عنها، لم تقطف من ثمرات التضحية إلا مثل ما قطفه غيرها، وانقلبت بنعمة من الله وفضلٍ لم يَمَسَّها سوء.

ولكن الأمم الإسلامية تريد حفظ استقلالها بدون مفاداة ولا تضحية، ولا بيع أنفس، ولا مسابقة إلى الموت، ولا مجاهدة بالمال، وتطالب الله بالنصر على غير الشرط الذي اشترطه في النصر[2].

فإن الله -سبحانه- يقول: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠]، ويقول: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

ومن المعلوم: أنَّ الله -تعالى- غير محتاج إلى نصرة أحدٍ، وإنما يريد بنصرته -تعالى- إطاعة أوامره، واجتناب نواهيه[3].

ولكنَّ المسلمين أهملوا جميع ما أمرهم به كتابهم (في ذلك) أو أكثره، واعتمدوا في استحقاق النصرة على كونهم مسلمين موحدين، وظنوا: أنَّ هذا يغنيهم عن الجهاد بالأنفس والأموال.

ومنهم: من اعتمد على الدعاء والابتهال لربِّ العزَّة؛ لأنَّه يجده أيسر عليه من القتل والبذل.

---

(١) حوزتهم وحماهم.

(٢) المنار: يراجع تفصيل هذه المسألة في أجزاء تفسير المنار، تجده بدلالة الفهارس في مواضيع من أكثرها، منها: (١٣) موضعًا في الجزء الرابع، ومنه (٧) مواضع في الجزء الثاني، وآخرها في آخر الجزء التاسع، ولها مزيد في بضع مواضع من الجزء العاشر (ر).

(٣) أخرج الإمام أحمد في «مسنده» (٢٦٦٩)، والترمذي في «السنن» (٢٥١٦) بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال: كنت خلفَ رسول الله ﷺ يومًا، فقال: «**يا غلام! إنِّي أُعَلِّمُكَ كلماتٍ، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت؛ فاسأل الله، وإذا استعنت؛ فاستعن بالله، واعلم أنَّ الأمةَ لو اجتمعت على أن ينفعوكَ بشيء لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبَه اللهُ لك، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيءٍ: لم يضروك إلا بشيء قد كتبَه اللهُ عليك، رُفِعَت الأقلامُ، وجفَّت الصُّحف**».

ولو كان مجرد الدعاء يغني عن الجهاد؛ لاستغنى به النبي ﷺ وصحابته وسلف هذه الأمة[1]؛ فإنهم الطبقة التي هي أولى بأن يَسمع اللهُ دعاءها، ولو كانت الآمالُ تُبلغ بالأدعية والأذكار، دون الأعمال والآثار؛ لانتقضت سنن الكون، وبطل التشريع، ولم يقل الله -تعالى-: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩].

ولم يقل: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ١٠٥].

ولم يقل للمعتذرين عن القتال: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٩٤].

ولم يقل: ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم﴾ [آل عمران: ١٩٥].

لقد ظنَّ كثير من المسلمين أنهم مسلمون بمجرد الصلاة والصيام، وكل ما لا يكلفهم بذلَ دمٍ ولا مالٍ، وانتظروا على ذلك النصرَ من الله، وليس الأمر كذلك؛ فإن عزائم الإسلام لا تنحصر في الصلاة والصيام، ولا في الدعاء والاستغفار، وكيف يقبل الله الدعاء ممن قعدوا وتخلفوا، وقد كان في وسعهم أن ينهضوا ويبذلوا[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) هذا من المواطن التي تدل على أن الأمير على منهج أهل السنة والجماعة في حب رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ﷺ، والاقتداء بسلف الأمة الأول.

(٢) يظهر أن الأمير لم يقرن الزكاة بالصلاة والصيام؛ لعلمه بأن أكثرهم تركها؛ وهي: ركن الإسلام الدنيوي المادي، والصلاة ركنه الروحي، وهم يطلبون الدنيا ويتركون من الإسلام أهم أركانها -الزكاة والجهاد بالمال والنفس في سبيل الله-، وقد وصف الله المؤمنين الصادقين بالجهاد بأموالهم وأنفسهم فقد ذكر المال، وقال في سياق آيات القتال: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥]؛ أي: بعدم الإنفاق، وقد قاتل الصحابة ﷺ من منع الزكاة، ولم يعتدوا بإسلامهم بدونها (ر).
قال أبو أسامة الهلالي: سبق هذا واضحًا في كلام الأمير؛ حيث قال (ص٦٠): «وندر في المسلمين من ينفق الزكاة الشرعية».

اعتذار المسلمين عن أنفسهم وردُّه

يقولون: ليس عند المسلمين ما عند الإفرنج من الثروة والسعة؛ لينفقوا في أعمال الخير، وفي مساعدة بعضهم بعضًا[1].

فنقول لمن يحتج بهذه الحجة: إننا نرضى منهم أن ينفقوا على نسبة رؤوس أموالهم؛ كما تقدم الكلام عند ذكر الجهاد بالمال[2]..

فهل المسلمون فاعلون؟

إننا نراهم قد محوا رسوم الأوقاف والمؤسسات الخيرية التي تركها آباؤهم، فضلًا عن كونهم لا يتبرعون بأموالهم الخاصة، ولا يجرون مع الأوروبيين في ميدان من جهة التبرع لأجل المشروعات العامة، فكيف يطمع المسلمون أن تكون لهم منزلة

---

(١) قد يكون هذا الكلام مقبولاً في عصر المؤلف، وذلك قبل ظهور الثروة النفطية، واستخراج خيرات العالم العربي من باطن الأرض؛ حيث أصبحت الثروة العربية فقط -دون ثروات العالم الإسلامي- أرقامًا فلكيَّة، وأرصدة خيالية، وأصبح أغنياء العرب يتصدرون قوائم أغنياء العالم، وأما ثروات الحكام؛ فحدِّث عنها بكل حرج، فلو أخرج المسلمون العرب فقط زكاة أموالهم، والتي تقدر بمئات المليارات لما بقي في العالم الإسلامي سائلًا ولا محرومًا، ولأصبحت الصحارى مروجًا وأنهارًا، ومع ذلك؛ فإن أكثر المسلمين حتى هذه الأيام لا ينفقون إلا وهم كارهون.. فالله المستعان.
وإن أنفق بعضهم بسخاء؛ فإنك تجد هذا الإنفاق لا يتعدى المشاريع الإغاثية، وغالبه يقع في أيدي أهل البدع والأهواء؛ فيحاربون أهل السنة والجماعة بأموالهم، كما يحارب الكفار المسلمين بأموالهم؛ فاعتبروا يا أولي الأبصار!

(٢) انظر ما تقدم (ص٦٠ و٦٢).

الأوروبيين في البسطة والقوة والسلطان، وهم مقصرون عنهم بمراحل في الإيثار والتضحية؟ فإن العمل لأجل السلطان في الأرض أشبه بالحرث في الأرض، فبقدر ما تشتغل فيها هي تعطيك، وإن قصَّرت في العمل قصَّرت هي في الثمر، والمسلمون يريدون سلطانًا يُشبه سلطان الأوروبيين بدون إيثار ولا بذل، ولا فقد شيء من لذائذهم، وينسون أنَّ الله تعالى يقول: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٥].

وقد يقولون: إننا جرَّبنا البذل والتضحية، وابتلينا بالنقص من الأموال والأنفس والثمرات، وصبرنا ولم يفدنا ذلك شيئًا، وبقي الأوروبيون مسلَّطين علينا؛ إني أنقل هذا القول عن بعضهم؛ لأني قد سمعته كثيرًا.

والجواب: هل يقدرون أن يقولوا لنا: إن ما يدَّعونه من البذل والتضحية يشبه شيئًا مما يقوم به النصارى واليهود من هذا القبيل؟

أو أنه إذا نُسب إليه تكون نسبته نسبة الواحد إلى المائة؟

عندنا مثال حديث العهد؛ هو: مسألة فلسطين:

حدثت وقائع دموية بين العرب واليهود في فلسطين؛ فأصيب بها أناس من الفريقين؛ فأخذ اليهود في جميع أقطار الدنيا يساعدون المصابين من يهود فلسطين، وأراد العالم الإسلامي أن يساعد عرب فلسطين؛ كما هو طبيعي؛ فبلغت تبرعات اليهود لأبناء ملَّتهم من فلسطين مليون جنيه، وبلغت تبرعات المسلمين كلها (١٣) ألف جنيه؛ أي: نحو جزء من المائة[1].

---

(١) عنيت بهذه الواقعة الفتنة التي جرت سنة (١٩٢٩م)، وكان مجموع ما أعان به العرب إخوانهم في فلسطين ثلاثة عشر ألف جنيه لا غير؛ إلا أن حوادث الدهر علمت المسلمين وأيقظتهم، ونيران المصائب والخطوب أحسنت سبكهم؛ ففي هذه السنوات العشر الأخيرة بدأوا يقتدون باليهود والأوروبيين في البذل، وساروا فيه على أثرهم، وإن كانوا لا يزالون في أول الطريق.
ولقد أحصيت إعانات العرب لإخوانهم في فلسطين بين سنتي (١٩٣٧ و١٩٣٨)، فزادت على ما كان يحصل من قبل، ولكن هذه الإعانات أثمرت ثمرها، وثبتت أقدام العرب في وجه الإنكليز واليهود، حتى اضطر الإنكليز إلى سوق (٣٠) ألف جندي هم في نضال مستمر من سنتين إلى الآن مع العرب، ووراءهم قوى عظيمة من البوليس واليهود المسلحين، والخائنين من العرب أنفسهم، ومن قوة شرقي الأردن، ولم يتمكنوا =

فسيقولون: إن المسلمين لا يملكون مثل ثروة اليهود، ونعود فنجيبهم: نرضى منهم بأن ينفقوا في مساعدة ملّتهم على قدر اليهود والإفرنج بالنسبة إلى رؤوس أموالهم، ولا نطالب منهم الفقراء الذين لا يملكون ما يزيد على كفاية عائلاتهم.

= من إخماد الثورة، ولا حصلوا وفود الدول العربية لمساعدتها على حل المعضلة الفلسطينية، ورجعت عن برنامجها الأول؛ وهو: إعطاء فلسطين لليهود راضية بأن يكون هؤلاء ثلث البذل والسماح واستصغار الدنيا، ومن استصغر الدنيا كبرت لديه، ومن هانت عليه الحياة جاءته تسعى على رجليها، سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلًا (ش).

قال أبو أسامة الهلالي -عفا الله عنه-:

لقد كانت قضية فلسطين تشغل فكر الأمير، حتى إنها كانت وصيته الأخيرة للأستاذ عبدالله المشنوق، فقال الأمير حينما التقى به قبل موته بأيام: أحمد الله -عز وجل- الذي سهل لي أن أفارق الحياة على أرض هذا الوطن الذي أحببته، وأنا سعيد أن أدفن في تربة طاهرة لا ترفرف فوقها راية أجنبية، وأنا سعيد أن ألاقي وجه ربي الكريم، فأعيد هذه الأمانة إلى بارئها بعد أن تحققت أحلام طفولتي في هذه الجامعة العربية -حرسها الله-، وسأخبر رفاقي في الجهاد بأن تضحياتهم لم تكن عبثًا.

وتحدرت من عيني الأمير دمعتان، ونهض واقفًا، وجذب يد الأستاذ المشنوق، وقال له: لي وصية واحدة أود أن أوصي بها، فهل تعدني بأن تنقلها إلى العالم العربي بعد وفاتي؟

فأجابه: لك العمر الطويل -إن شاء الله-.

فقال شكيب: لا بل تعدني بنقل الوصية.

فقال: نعم.

وهنا طوقه شكيب بذراعيه المرتجفتين، وقال بصوت كادت تخنقه العبرات: أوصيكم بفلسطين.

ومع كل الأسف؛ فقد أضاع حكام العرب فلسطين، ولم يحافظوا عليها، ولم تصنع الجامعة العربية ما يشفي العليل، ولا يروي الغليل؛ فابتلع اليهود فلسطين إلى يومنا هذا... ولكنها ستعود -بإذن الله تعالى-: يوم نرجع إلى ديننا، ونتمسك بكتاب ربنا، وننصر سنة رسولنا ﷺ، ونتبع منهج سلفنا الصالح، ونصير أُمَّة واحدة من دون الناس: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء:٥١].

قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١].

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ [التوبة: ٩٣].

ونجيب -أيضًا-:

إنه وإن كان اليهود أغنى بالأموال من المسلمين، فالمسلمون أكثر جدًّا بالعدد، لأنَّ اليهود عشرون مليونًا، والمسلمين نحو من أربعمائة مليون[1].

---

(١) بعد أن ثبت بالإحصاء الرسمي: أن مسلمي الصين خمسين مليون نسمة: تحقق أن مسلمي المعمور كله لا يقلون عن أربعمائة مليون، منهم (٢٤) مليونًا من العرب في آسية، و(١٧) مليونًا من الترك في الأناضول، و(١٦) مليونًا في إيران، و(١٠) ملايين في أفغانستان، و(٨٥) مليونًا في الهند، و(٥٦) مليونًا في الجاوي، و(٢٥) مليونًا في الروسية، وثلاثة ملايين في أوربة، و(٥٠) مليونًا في الصين، ومائة مليون في إفريقية.

قال أبو أسامة الهلالي:

تضاعف عدد المسلمين أضعافًا كثيرة، فقد أصدر منتدى (بيو) حول الدين والحياة العامة تقريرًا حول عدد المسلمين في العالم، وأنه (١,٧٥) مليار نسمة.

ولقد أظهر هذا التقرير حقائق لم تكن في الحسبان؛ منها:

١- انتهاء فكرة أن العرب هم المسلمون، والمسلمون هم العرب فقط -وإن كان العرب هم مادة الإسلام-.

٢- مدى حجم وانتشار المسلمين في قارات العالم، وأنه لا تخلو منهم دولة من دول العالم، حيث تحت عملية الإحصاء للمسلمين في (٢٣٢) دولة، وإقليمًا.

٣- أن الإسلام أكثر الأديان انتشارًا في العالم، حيث تصل نسبة المسلمين (٢٥٪) من سكان الأرض، وهذا يعني: أن كل واحد من أربعة أشخاص مسلم.

٤- أن معدل نمو المسلمين هو الأكثر بين شعوب الأرض، وهذا يؤهلهم حسب الدراسات الاستراتيجية لمراكز البحث العالمية في الاستمرار، ويعطيهم القدرة في المستقبل على سيادة العالم من جديد. =

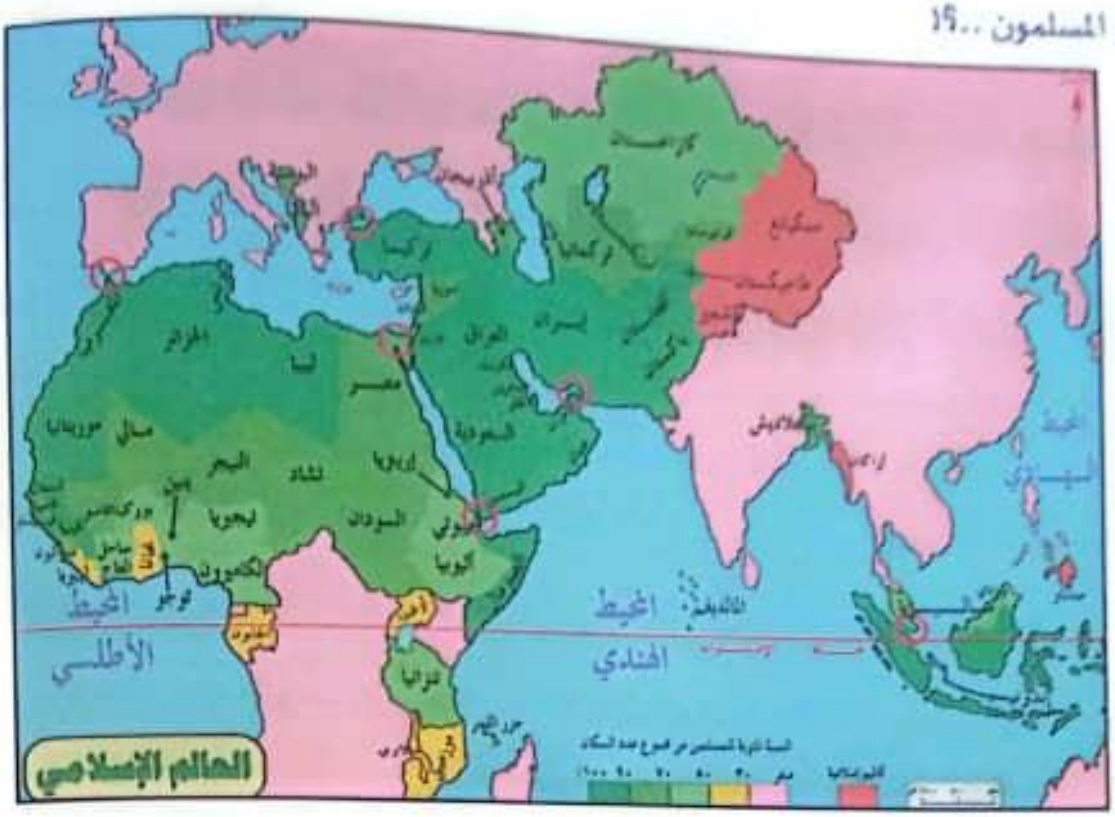

فلو أن كلًّا من المسلمين تبرع لفلسطين بقرش واحد -وهو الذي لا يعجز عنه أحد في العالم مهما اشتد فقره- لاجتمع من ذلك ثلاثة ملايين جنيه ونصف.

فلنترك تسعة أعشار المسلمين، ونفرض هذه الإعانة لفلسطين على عشر واحد منهم؛ أي: على (٣٥) مليون نسمة لا غير، وهؤلاء الخمسة والثلاثون مليون نسمة نجدهم حول فلسطين في لمحة بصر، فإن مسلمي مصر، وسورية، وفلسطين، والعراق، ونجد، والحجاز، واليمن، وعمان هم (٣٥) مليونًا، ولنتقاض من هؤلاء أداة قرش واحد عن كل جمجمة، فماذا يجتمع لنا من ذلك؟

الجواب: يجتمع ثلاثمائة وخمسون ألف جنيه.

فالمسلمون قد تبرعوا عن هذه الأعداد كلها بثلاثة عشر ألف جنيه؛ أي: بما

= ٥- هذه الكثرة الإسلامية على الرغم من وهنها وضعفها وتفرقها؛ فإنها تشكل مصدر قلق وإزعاج لكثير من الأمم... وهذا يفسر كثرة الحروب في بلاد المسلمين، وانتشار الفتن الداخلية التي تجر إلى حروب أهلية، ونشر الأوبئة الفتاكة بين المسلمين، وذلك كله لقتل أكبر عدد منهم.

زد على ذلك: نشر ثقافة تحديد النسل، وتنظيم الأسرة؛ لتقليل نسبة المسلمين في العالم.

يساوي نحو ثلثي عشر القرش عن كل نسمة من عشر عددهم.

أهذا ما تريدون أن تسموه: «تضحية»؟

أو بمثل هذا تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم؟

أو هذه درجة نجدتكم لإخوانكم في الدين، وجيرانكم في الوطن، والقائمين عنكم بالدفاع عن المسجد الأقصى الذي هو ثالث الحرمين[1]، وأول القبلتين؟ أفلم يقل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

أفهذه نجدةُ الأخ لأخيه؟

يقولون: لماذا سادت الأمة الإنكليزية هذه السيادة كلها في العالم؟

نجيبهم: إنها سادت بالأخلاق والمبادئ الوطنية العالية.

حدثني رجل ثقة: أنه يعرف إنكليزيًّا ذا منصب في الشرق كان يأمر خادمه أن يشتري له الحوائج اللازمة لبيته يوميًّا من دكان رجل إنكليزي في البلدة التي هم فيها.

فجاءه الخادم مرة بجدول حساب، وفَّر عليه به (٢٠) جنيهًا في شهر، فسأله الإنكليزي: كيف أمكنك هذا التوفير؟

فقال الخادم: تركنا دكان الإنكليزي الذي كنا نشتري منه، وصرنا نشتري من دكان أحد الأهالي من العرب.

فقال له الإنكليزي: ارجع إلى دكان الانكليزي الذي الذي كنا نشتري منه.

---

(١) هذا خطأ شائع في وصف المسجد الأقصى، فالمسجد الأقصى ليس حرمًا؛ لأن ذلك لم يثبت في فقه صريح، ولا نقل صحيح، وإنما المساجد الحرام؛ هي: مسجد الكعبة، والمسجد النبوي.
والصواب: ثالث المسجدين؛ فهو ثالث المساجد التي تشد إليها الرحال.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن المسجد الأقصى في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٣٤٦): «وهو الذي يُسميه كثير من العامَّة اليوم: الأقصى، والأقصى: اسم للمسجد كلِّه، ولا يُسمَّى هو ولا غيره حرمًا، وإنما الحرمُ بمكة والمدينة خاصة».

فقال الخادم: أولو كان ذلك يستلزم إنفاق (٢٠) جنيهًا زيادة؟

قال الإنكليزي: ولو كان ذلك يستلزم إنفاق (٢٠) جنيهًا زيادة!

وسمعت أن كثيرين من الإنكليز الذين في الأقطار لا يشترون شيئًا ذا قيمة إلا من بلادهم، ويرسلون إلى (لندرة)[١]، فيوصون على كلّ ما يحتاجون إليه حتى لا يذهب مالهم إلى الخروج[٢].

أفنقيس هذا بأعمال المسلمين الذين مهما أوصيتهم بالشراء من أبناء جلدتهم أو أوطانهم، وعلموا أنهم يقدرون أن يوفروا في السلعة الواحدة نصف قرش إذا أخذوها من الإفرنجي تركوا ابن جلدتهم أو ملتهم، ورجحوا الإفرنجي؟

أفلم يكن سبب حبوط[٣] مقاطعة العرب لليهود في فلسطين أشياء كهذه[٤]؟ حرموا أنفسهم أمضى سلاح في يدهم؛ وهو: المقاطعة في الأخذ والعطاء مع اليهود، هو أعظم ألف مرة من ضرر هاتيك الفروق الزهيدة[٥].

---

(١) من أسماء مدينة لندن، عاصمة المملكة المتحدة، وأكبر مدنها، تقع على نهر التايمز في جنوب بريطانيا.

(٢) وهكذا يفعل أكثر السياح الفرنجة عندما يأتون إلى الديار الإسلامية؛ فإنهم لا ينفقون إلا وهم كارهون! ويأتون بأغلب حوائجهم من بلادهم!! مما يدل على أن الهدف السياحي المعلن استثنائي، وأن وراء الأكمة ما وراءها.

(٣) بطلان.

(٤) أما الآن؛ فقد أصبح السواد الأعظم منهم يبذلون النفوس والنفائس في الدفاع عن وطنهم فلسطين، وأتوا في هذه السبيل بما ارتفعت له رؤوس العرب جميعًا، ولو أن هذه المناداة ظهرت منهم من أول الأمر ما وصلت المصيبة إلى هذا الحد (ش).

(٥) لو طبق العرب: دولهم وشعوبهم وحكامهم نظام المقاطعة الذي أقروه ضد دولة اليهود اللقيطة في فلسطين؛ لما استطاعت أن تستمر في اغتصابها لفلسطين المسلمة حتى يوم الناس هذا... ولكن الكثير للأسف يقرُّون ذلك علنًا، ولكنهم يسارعون فيهم سرًّا وخفية: ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة:٥٢].

نتائج إعانة مصر لمجاهدي طرابلس وبرقة[1]

وكنت مرَّة أشكو إلى أحد كبار المصريين إهمال إخواننا المصريين لمجاهدي طرابلس وبُرقة، الذين إن لم تجب نجدتهم قيامًا بواجب الأخوة الإسلامية والجوار، وجبت عليهم احتياطًا من وراء استقلال مصر واستقبال مصر؛ لأنه كما أن وجود

---

(١) شارك الأمير في الدفاع عن ليبيا ضد الطليان؛ فإنه لما عينَّ مفتشًا لجمعية الهلال العثماني: سافر إلى طرابلس الغرب سنة (١٩١١م) للدفاع عن إخوانه هناك، ووقف في خطوط القتال، وكان شعاره: «إن لم ندافع عن صحارى ليبيا، لا نستطيع الحفاظ على جنان الشام»، وبقي في مواطن الجهاد ثمانية أشهر، وقاد (٦٠٠) جملًا تحمل المعونات من مصر إلى برقة.
قال الزعيم الليبي سليمان الباروني: «لو أخذت الحكومة العثمانية بتفاصيل الخطة التي رسمها الأمير شكيب، ونفذتها بحذافيرها لما ضاع الأمل في إنقاذ طرابلس وبرقة».
وفي سنة (١٩٣٤م) قابل صديقه إحسان الجابري الزعيم الإيطالي موسوليني، وباحثه في القضية الطرابلسية، وأقنعه بإعادة (٨٠) ألف عربي مسلم لوطنهم في ليبيا، وإعادة أراضيهم.
وكتب إليه المجاهد الكبير عمر المختار رسالة معترفًا بفضله ودوره العظيم في دفاعه عن الجهاد الليبي، وتوضيحه للعالم؛ قال فيها: «إنه من خادم المسلمين عمر المختار إلى أخينا في الله الأمير شكيب أرسلان -حفظه الله-: قد قرأنا ما دبجته يراعكم السيال عن فضائح الطليان، وما اقترفته الأيدي الأثيمة من الظلم والعدوان بهذه الديار، فإنني وعموم إخواني المجاهدين نقدم لمقامكم السامي خالص الشكر وعظيم المنونة.
كل ما ذكرتموه مما اقترفته أيدي الإيطاليين هو قليل من كثير، وقد اقتصدتم وحفظتم كثيرًا، ولو يذكر للعالم كل ما يقع من الإيطاليين! لا توجد أذن تصغى لما يروى من استحالة وقوعه، والحقيقة -والله وملائكته شهود- أنه صحيح، وإننا في الدفاع عن ديننا ووطننا صامدون، وعلى الله في نصرنا متوكلون، وقد قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. في (٢٠) ذي الحجة سنة (١٣٤٩هـ)».
وانظر: «قصة الأدب العربي في ليبيا» لمحمد عبد المنعم الخفاجي (ص١٤١)، و«الأمير شكيب أرسلان: القضية الليبية» محمد رجل الزاندي (ص١٢).

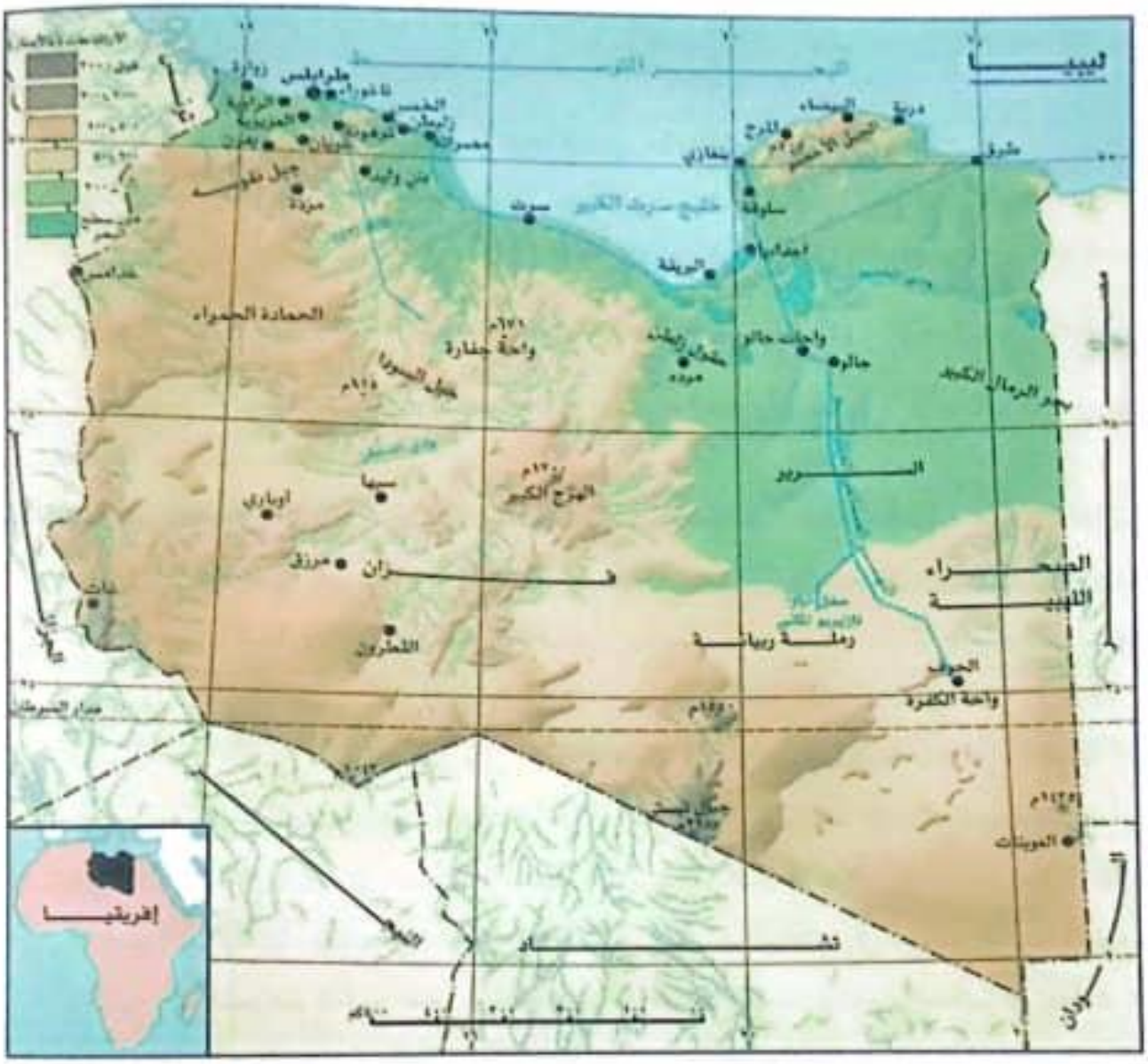

الإنكليز في السودان هو تهديد دائم لمصر، فوجود الطليان في بُرقة هو تهديد دائم لها -أيضًا-.

فكان جواب ذلك السيِّد لي: لقد بذل المصريون مبالغ وفيرة يوم شنت إيطالية الغارة على طرابلس، ولم يستفيدوا شيئًا؛ فإن إيطالية لم تلبث أن أخذتها.

فقلت له: إن المصريين قد نهضوا في الحرب الطرابلسية نهضة هي دون شك ترضي كل مسلم، بل ترضي كل إنسان يقدر قدر الحمية، ولكن المبلغ الذي تبرعوا به يومئذ معلوم، وهو (١٥٠) ألف جنيه.

فهل يطمع المسلمون في أنحاء المعمورة أن ينقذوا طرابلس من براثن إيطالية بمائة وخمسين ألف جنيه؟

وهل هذه التضحية تقاس في كثير أو قليل إلى التضحيات التي قامت بها إيطالية بالمال والرجال؟

كانت إعانة مصر في الحرب الطرابلسية (١٥٠) ألف جنيه، وأنفقت الدولة العثمانية على تلك الحرب نحو مليون جنيه.

فانظر إلى ما كان لذلك من النتائج.

النتيجة الأولى -وهي أهم شيء-: حفظ شرف الإسلام، وإفهام الأوروبيين أن الإسلام لم يمت، وأن المسلمين لا يُسَلِّمون بلدانهم بلا حرب، وفي ذلك من الفائدة المادية والمعنوية للإسلام ما لا ينكره إلا كلُّ مكابر.

النتيجة الثانية: أن هذا المبلغ الضئيل بالنسبة إلى نفقات الدول الحربية قد كان السبب في توطين الطرابلسيين أنفسهم على المقاومة والمجاهدة بما رأوا من نجدة إخوانهم لهم، فكانت هذه المقاومة سببًا لتجشم إيطالية المعتدية من المشاق والخسائر ما هو فوق الوصف، إلى أن صار كثير من ساسة الطليان يصرحون بندمهم على هذه الغارة الطرابلسية.

النتيجة الثالثة: مهما يكن من عدد القتلى الذين فقدهم العرب في هذه الحرب؛ فإن مجموع قتلى الطليان إلى اليوم يفوق مجموع قتلى العرب أضعافًا مضاعفة.

فلقد لقي الطليان في هذه الحرب من الأهوال ما لا يتسع لوصفه مقالة، أو رسالة، وفي واقعة واحدة هي واقعة «الفويهات»[1] على باب بنغازي ثبت فيها (١٥٠) مجاهدًا

(١) منطقة تقع في جنوب مدينة بنغازي؛ سميت بذلك نسبة إلى (الفوهة)؛ وهي: حفرة في الأرض، حيث حفر الطليان إبان فترة استعمارهم آبارًا للمياه، وتقسم إلى الفويهات الغربية والفويهات الشرقية.

عربيًّا لثلاثة آلاف جندي طلياني من الفجر إلى غروب الشمس، إلى أن انقرضوا جميعًا؛ إلا أفذاذًا أتى عليهم الليل، ورجع العدو ولما يموتوا، وبينما كان العرب في حزن عظيم على من فقدوهم في تلك المعركة، إذ جاءهم الخبر البرقي من الأستانة عن برقية وردت سرًّا من برلين عن برقية رقمية جاءت من سفارة الألمان في رومية بأنه سقط في هذه المعركة ألف وخمسمائة جندي من الطليان، وأصاب الجنون سبعة من ضباطهم.

وهذه وقعة من خمسين وقعة بالأقل تضاهيها[1]، فالمسلمون قد قاتلوا في هذه المعركة جيشًا يفوقهم في العدد عشرين ضعفًا وقتلوا نصفه؛ أي: قتلوا عشرة أضعافهم، والله تعالى قد قدَّر لهم في حال القوة أن يغلبوا عشرة أضعافهم، وفي حال الضعف أن يغلبوا ضعفيهم فقط؛ كما قال في سورة الأنفال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٥-٦٦].

النتيجة الرابعة: أنه قد كانت نفقات إيطاليا في الحرب الطرابلسية في السنة الأولى منها -أي من سنة (١٩١١) إلى سنة (١٩١٢)- نحو مائة مليون جنيه، ويظن أنها من عشرين سنة إلى اليوم -إذ المقاومة لم تنقطع حتى هذه الساعة- قد بلغت ثلاثمائة مليون جنيه[2].

---

(١) توازيها وتشبهها.

(٢) أما في هذا العهد؛ فقد انقطعت المقاومة بالسلاح، وكان آخر من قاوم الطليان بالسلاح: الشهيد والمجاهد الكبير عمر المختار رحمه الله، إلا أن الطرابلسيين لا يزالون يقاومون الاستعمار الطلياني؛ كما يقاوم التونسيون وسائر المغاربة الاستعمار الفرنسي، ومن العبث أن تظن دول الاستعمال إخماد الحركات الوطنية بالعسف والقهر والقتل والنفي والحبس؛ فكل هذا لا يزيد المسلمين إلا عداء، وما استصلح عدو بمثل العدل (ش).

فهذا كان كله نتيجة تلك الإعانات القليلة، والنفقات الضئيلة التي قام بها المسلمون في تلك الحرب، ولكن المسلمين ينتظرون أن تنهزم إيطالية الدولة الكبيرة التي أهلها (٤٤) مليون نسمة، ودخلها السنوي (٢٠٠) مليون جنيه في صدمة واحدة، أو في السنة الأولى من الحرب[1]، وإن لم يتحقق أملهم هذا انقطع منهم كل

---

(١) أي هذا عددها، وهذا دخلها، وهذا إنفاقها على الحرب، وأما عصبيتها وضراوتها في سفك دماء المسلمين، فحسب المسلم الذي لم يفسده التفرنج والإلحاد أن يقرأ النشيد الطلياني الذي ننقل ترجمته عن جريدة «الفتح» نقلًا عن جريدة «الشرق» عدد (٥٤٣)، وهو:

النشيد الطلياني في التحريض على قتال المسلمين ومحو القرآن:

إن من أعظم الآلام لشاب في العشرين من عمره: أن لا يحارب في سبيل وطنه مع دوام القتال في طرابلس، والراية المثلثة الألوان، والموسيقى الحربية تنبهان النفس المقدامة.

يا أماه! أتمي صلاتك، ولا تبكي، بل اضحكي وتأملي؛ ألا تعلمين أن إيطالية تدعوني، وأنا ذاهب إلى (طرابلس) فرحًا مسرورًا؛ لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة (كذا)، ولأحارب الديانة الإسلامية التي تجيز البنات الأبكار للسلطان[أ].

سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن (كذا).

ليس بأهل للمجد من لم يمت إيطاليا حقًّا.

تحمسي أيتها الوالدة، تذكري (كاروني) التي جادت بأولادها في سبيل وطنها:

يا أماه: أنا مسافر؛ ألا تعلمين أن على الأمواج الزرقاء الصافية من بحرنا ستلقي سفائننا المراسي؟

أنا ذاهب إلى طرابلس مسرورًا؛ لأن رايتنا المثلثة الألوان تدعوني، وذلك القطر تحت ظلها.

لا تموتي؛ لأننا في طريق الحياة، وإن لم أرجع فلا تبكي على ولدك، ولكن اذهبي في كل مساء وزوري المقبرة، ونسائم الأصيل تحمل إلى طرابلس وداعك الذي لا يأبى الحداد على قبره فلذة كبدك، وإن سألك أحد عن عدم حدادك عليَّ؛ فأجيبيه: إنه مات في محاربة الإسلام.

الطبل يقرع يا أماه، أنا ذاهب -أيضًا-؛ ألا تسمعين هزج الحرب، دعيني أعانقك وأذهب! (ر).

(أ) الديانة الإسلامية لا تجيز للسلطان إلا ما تجيزه لغيره من المسلمين؛ وهو: تزوج البكر والثيب، ولكن الإفرنج تبيح لهم نصرانيتهم الافتراء على الإسلام، وتبيح لهم مدنيتهم الزنا حتى أفسدوا كل قطر دخلوه ببغاياهم لا سيما الطيلان منهم (ر).

رجاء، وبطلت كل حركة، وأصاب بعضهم اليأس الذي هو مرادف الكفر بصريح الذكر الحكيم: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

ولنضرب مثلًا ثالثًا، ونُمسك بعده عن ضرب الأمثال؛ لأنَّها لا تُعَدُّ، ولا تُحصى:

قام أهل الريف المغربي في وجه الدولة الإسبانية مدة بضع سنين إلى أن تغلبوا عليها، وطردوا جيوشها بعد أن أبادوا منهم في واقعة واحدة (٢٦) ألف جندي، وغنموا (١٧٠) مدفعًا، مع أن جميع أهل الريف بقضِّهم وقضيضهم[١] ثمانمائة ألف نسمة، وعدد أهالي إسبانية (٢٢) مليون نسمة، وأراضي الريف أكثرها قاحل[٢]، والأهالي فيه فقراء يعيشون من كسب أيديهم، ولقد قاموا بعمل أدهش أهل الأرض بالطول والعرض.

فلو كان أهل الريف نصارى؛ لانثالت[٣] عليهم الملايين من الجنيهات من كل الجهات؛ إما بطريقة خفية، وإما بواسطة جمعية الصليب الأحمر في سبيل مداواة جرحاهم.

فليقل لنا المسلمون: كم جنيهًا قدموا للريف في ذلك الوقت؟

ثم تألب[٤] الفرنسيس مع الأسبانيين، وحشدوا لحرب الريفيين (٣٠٠) ألف مقاتل، وحصروا الريف من كلِّ جانب، من البر والبحر، وكانت طياراتهم القاذفة بالديناميت على قرى الريفيين تحصى بالمئات لا بالعشرات، ولم تكف طيارات الفرنسيين والأسبانيول حتى جاء سرب طيارات أميركية من نيويورك نجدة لفرنسة

---

(١) القض: الحصى الكبار، والقضيض: الحصى الصغار.
والمراد: جميعهم ينقض آخرهم على أولهم؛ أي: يندفع فلا يتخلف منهم أحد.

(٢) مجدب.

(٣) انصبت عليهم.

(٤) تجمعوا وتظافروا.

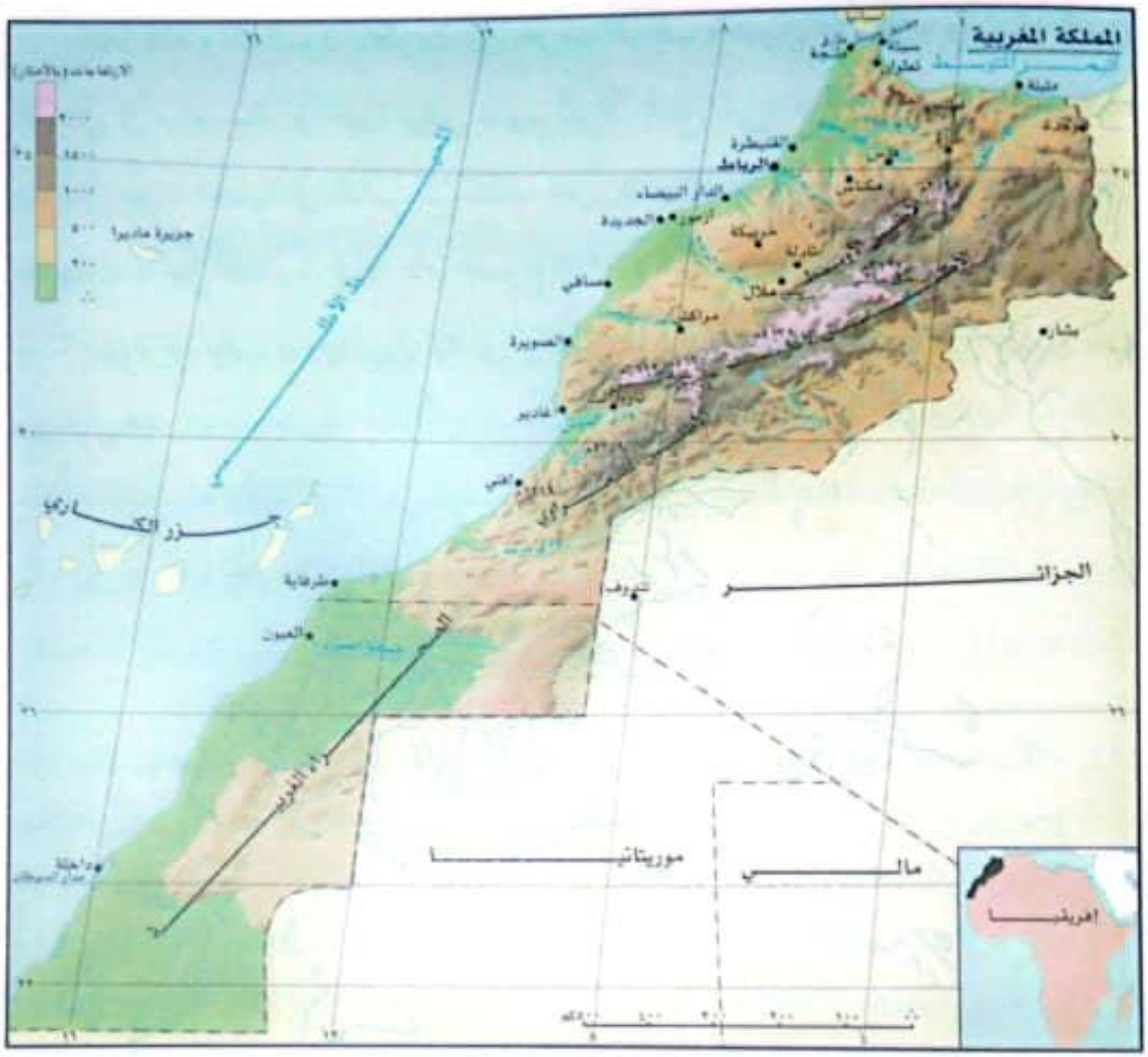

وأسبانية (النصرانيتين على المسلمين؛ لأنهم مسلمون)[1].

(١) إن الحروب التي يشنها الغرب على المسلمين في كل مكان، هي حروب صليبية بامتياز، وقادة الغرب لا يستخفون من ذلك، بل يرفعون عقيرتهم بذلك؛ منهم: الجنرال الإنجليزي (اللنبي) -أحد قادة جيوش الحلفاء في الحرب الكونية الأولى-، عندما دخل بجيوشه القدس الشريف عام (١٩١٩)؛ حيث قال مؤكدًا هذه الحقيقة: «الآن انتهت الحروب الصليبية».

والرئيس الأمريكي السابق (جورج بوش) اعترف بأن حروب الأمريكان القادمة ضد العالم الإسلامي صليبية، وذلك بعد أحداث (١١/ ٩/ ٢٠٠١)؛ فقال: «الآن بدأت الحروب الصليبية».

وتصريحات مفكري وقادته السياسيين في هذا الباب لا تُعدُّ ولا تُحصى.

هذا كله والمسلمون ينظرون إلى حرب الريف مكتوفي الأيدي، ولبثوا مكتوفي الأيدي في مدة سنة، وأخيرًا نهض منهم أفرادٌ لجمع شيء من أجل جرحى الريف، ولأجل بعث الحمية في الناس لم يكتف محرر هذه السطور بالكتابة، بل تبرع بأربعة جنيهات لأجل القدوة، فماذا كان مجموع تلك الإعانات من كل العالم الإسلامي؟

الجواب: (١٥٠٠) جنيه لا غير، فهل من خذلان بين المسلمين يفوق هذا الخذلان؟!

خيانة بعض المسلمين لدينهم ووطنهم واعتذارهم الباطل

ويا ليت المسلمين وقفوا عند هذا الحدِّ في خذلان الريفيين، بل قامت منهم فئات يقاتلون الريفيين بأشد مما يقاتلون به الأجانب، وتألبت على محمد بن عبد الكريم قبائل وافرة العدد، شديدة البأس، مالؤوا الفرنسيس والأسبانيول على أبناء ملَّتهم ووطنهم؛ تزلفًا إلى الفرنسيس والإسبانيول، وابتغاء الحظوة لديهم، وقد جرى مثل ذلك عندنا في سورية يوم الثورة على فرنسة، وجرى في بلاد إسلامية كثيرة[1]، أفبمثل

---

(١) والآن عساكر شرقي الأردن وهم من العرب يقاتلون بكل شدة مجاهدي فلسطين الذين هم إخوانهم في النسب والمذهب، وهم يعلمون: أن هؤلاء المجاهدين إنما يذودون عن حياض العروبة والإسلام، ويجودون بنفوسهم لأجل استحياء قومهم، واستبقاء وطنهم للعرب، وأنه لولا هؤلاء المجاهدون؛ لَتَسَلَّم اليهود جميع فلسطين من زمن طويل تحت ظل حراب الإنكليز، فبينما دماء المجاهدين تسيل لأجل حفظ فلسطين للعرب نجد دماء عساكر عربية في شرق الأردن تسيل لأجل إخراج بلاد فلسطين وشرق الأردن نفسها بعد فلسطين من أيدي العرب.

فهل يبلغ العدو من عدوه أكثر مما يبلغ العرب من أنفسهم؟ لا والله (ش).

قال أبو أسامة الهلالي -كان الله له-:

هذا التعميم من أمير البيان متأثر بوجهة نظر سياسية.. فإذا وجدت فئة قليلة -يومئذ- ممن ذكرهم باعت نفسها للقائد الإنجليزي (الفريق كلوب)... فإن الجيش العربي خاض معارك كثيرة ضد اليهود على ثرى فلسطين، ولقن اليهود دروسًا قاسية، وكبدهم خسائر فادحة في اللُّد، والرملة، وباب الواد، واللطرون، وأسوار القدس، وعلى أرض الكرامة.

وقد شهد بذلك فوزي القاوقجي قائد جيش الإنقاذ في فلسطين عام (١٩٤٨م) في «مذكراته»؛ حيث قال: «إن الجيش العربي الأردني في فلسطين كان يشكل الأمن للمواطنين والطمأنينة الوحيدة التي تثبتهم في قراهم، وتحول دون نزوحهم».

الشكل رقم (٢١)

معركة اللطرون (الهجوم الأول)

٢٣ مايو ١٩٤٨

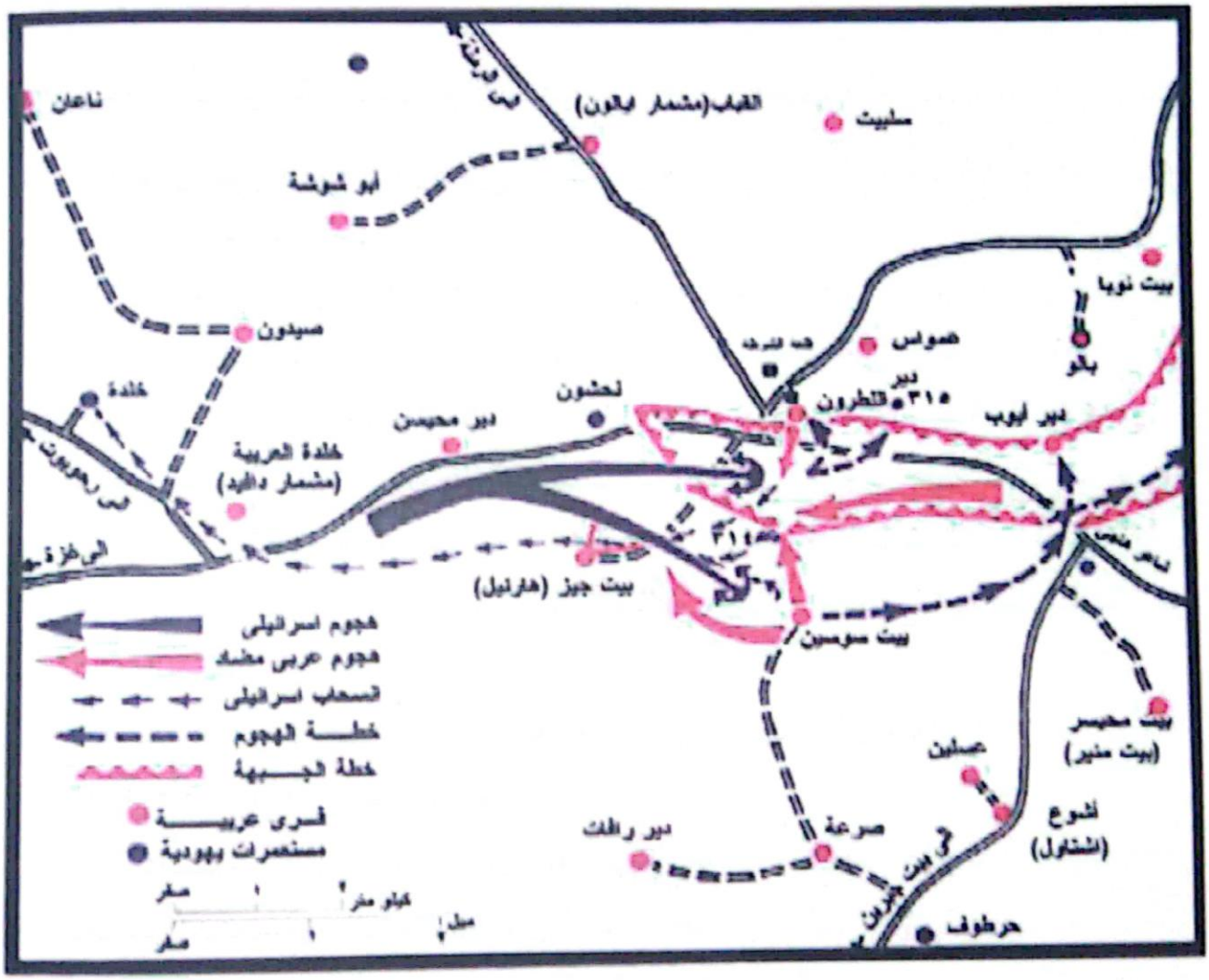

هذه الأعمال يطالب أخونا الشيخ بسيوني عمران ربَّه بما وعد تعالى به من جعل العزة للمؤمنين؟

وإذا سألت هؤلاء المسلمين المهالثين للعدو على إخوانهم: كيف تفعلون مثل هذا، وأنتم تعلمون أنه مخالف للدين وللشرف وللفتوة وللمروءة وللمصلحة وللسياسة؟

أجابوك: كيف نصنع؛ فإن الأجانب انتدبونا، ولو لم نفعل؛ لبطشوا بنا، فاضطررنا إلى القتال في صفوفهم خوفًا منهم، ونسوا قوله تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وكلام مثل هؤلاء في الاعتذار غير صحيح؛ فإن الأجانب قد ندبوا كثيرًا من المسلمين إلى خيانات كهذه؛ فلم يجيبوهم، ولم تنقض عليهم السماء من فوقهم، ولا

= وقال بن غوريون: «لقد خسرنا في معركة باب الواد وحدها أمام الجيش الأردني ضعف قتلانا في الحرب كاملة».

وقال حايم هرتزغ في «مذكراته»: «استولى الجنود الأردنيون على مستعمرات كفار عصيون التي كانت يحميها (٥٠٠) مقاتل لم ينج منهم إلا ثمانية مقاتلين، وهم جرحى، وأخذ ما بقي من المدنيين كأسرى حرب».

وقد كتب اليهودي (اختيار بن تسيوف) في مدونته (غلوبال ريبوت) مقالًا تحت عنوان: «جهنم في الكرامة»، يصف فيه هزيمة جيش اليهود في معركة الكرامة، وأنها جرحت اليهود في الصميم، وبثت الأمل في العرب والمسلمين.

خسفت بهم الأرض من تحتهم.

ثم إنه إن كان الأجانب المحتلون لبلاد المسلمين قد أصبحوا يغضبون على المسلمين الذين لا يلبون دعوتهم إلى الخيانة قومهم، فإنما كان ذلك من أجل كثيرين من المسلمين كانوا يعرضون عليهم خدمتهم في مقاومة إخوانهم، ويقومون بها بكل نشاط ومناصحة، ويبدون كلَّ أمانة لهم في أثناء تلك الخيانة.

ولولا هذا التبرع بالخيانة، والتسرع إلى مظاهرة الأجنبي على ابن الملَّة؛ لما استأسد الأجنبي وصار يتحكم في المسلمين هذا التحكم الفاحش، ويتقاضاهم أن يخالفوا قواعد دينهم، ومقتضى مصلحة دنياهم من أجل مصلحته، بل قام يحملهم على الموت لأجل الموت.

فإن الموت موتان:

أحدهما: الموت لأجل الحياة؛ وهو: الموت الذي حث عليه القرآن الكريم المؤمنين إذا مدَّ العدو يده إليهم؛ وهو: الموت الذي قال عنه الشاعر العربي:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الحَيَاةَ فلم أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّما[1]

وهو الموت الذي يموته الإفرنسي لأجل حياة فرنسة، والألماني لأجل حياة ألمانية، والإنكليزي في سبيل بريطانيا العظمى -وهلم جرًّا-، ويجده على نفسه واجبًا لا يتأخَّر عن أدائه طرفة عين.

وأما الموت الثاني؛ فهو: الموت لأجل استمرار الموت؛ وهو: الموت الذي يموته

---

(١) هو للحصين بن الحمام المري، انظر: «عيون الأخبار» لابن قتيبة الدينوري (١/ ٢٠٧)، و«مجالس العلماء» للزجاجي (ص٢٤٩)، و«أمالي الزجاجي» (ص٢٠٧)، و«الفرج بعد الشدة» للتنوخي (١/ ١٦٦)، و«الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٧/ ٢٥١)، و«الوافي بالوفيات» لابن أيبك الصفدي (١٦/ ٦١).

المسلمون في خدمة الدول التي استولت على بلادهم.

وذلك: أنهم يموتون حتى ينصروها على أعدائها:

كما يموت المغربي -مثلًا- حتى تنتصر فرنسة على ألمانية مثلًا.

ويموت الهندي حتى تتغلب إنكلترا على أيِّ عدوٍّ لها.

ويموت التَّتَري في سبيل ظفر الروسية.

والحال: أنه بانتصار فرنسة على أعدائها تزداد في المغرب غطرسة وظلمًا، وابتزازًا لأملاك المسلمين، وهضمًا لحقوقهم، وذلك كما حصل بعد الحرب العامة؛ إذ ازداد طمع الفرنسيين في أهل المغرب، وحدَّثوا أنفسهم بتنصير البربر؛ ليدمجوهم في الشعب الفرنسي، ويأمنوا على مستقبل المغرب الذي صاروا يطلقون عليه لقب: «إفريقية الإفرنسية».

بالاختصار يموت المغربي على ضفاف الرين، أو في سورية، حتى يزداد موتًا في المغرب؛ لأنَّ كل طائفة تفوز بها فرنسة في الخارج هي زيادة في قهر المغربي وإهانته وإذلاله مما لا سبيل للمناكرة فيه، ومما قد ثبت بالتجربة.

وكذلك موت الهندي في نصرة إنكلترا هو تطويلٌ في أجَل عبودية الهند.

وكذلك موت التتري في خدمة الروسية لا عاقبة له سوى ازدياد قهر الروس للتتر، وهلم جرًّا.

وهذا الموت لأجل الموت هو ما كان بخط منحنٍ -كما يقال-؛ أي: باعتبار النتيجة، ولكن هناك موت لأجل الموت مباشرة بدون واسطة، وهو عندما يموت المغربي في قتال أخيه المغربي الذي قام يحاول أن يزحزح شيئًا من النير[1] الإفرنسي

(١) النير؛ هو: الخشبة المعترضة فوق عنق الثور، أو عنقي الثورين المقرونين؛ لجر المحراث أو غيره.

الذي كاد يدق عنقَه، وإن لم يدق عنقه بتاتًا: استحياه حياةً هي أشبه بالموت منها بالحياة.

ولو انحصرت هذه الأمور في العوام والجهلاء؛ لعذرناهم بجهلهم، وقلنا: إنهم لا يدرون الكتاب، ولا السنة، ولا السياسة الدنيوية، ولا الأحوال العصرية، وإنهم إنما يساقون كما تساق بهيمة الأنعام إلى الذبح.

ولكن الأنكى[1]؛ هو: خيانة الخواص.

مثال ذلك: الوزير المقري الذي هو أشد تعصبًا لقضية رفع الشريعة الإسلامية من بين البربر من الفرنسيس أنفسهم[2].

ومثله: البغدادي -باشا فاس- الذي طرح نحو مائة شخص من شبان فاس، وجلدهم بالسياط؛ لكونهم اجتمعوا في جامع القرويين، وأخذوا يرددون دعاء: «يا لطيف ألطف بنا فيما جرت به المقادر، ولا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابر».

ومفتي فاس الذي أفتى بأن إلغاء الشرع الإسلامي من بين البربر ليس بإخراج البربر من الإسلام، وهلم جرًّا.

وكلٌّ من هؤلاء الخونة المارقين -أخزاهم الله- قد بلغ من الكبر عتيًّا، وانتهى من أموال الأمة شبعًا وريًّا، وهو لا يزال حريصًا على الزلفى[3] إلى فرنسة، وإثبات

---

(١) الأشد.

(٢) ويؤكدون: أنه كلما أرادت فرنسا تحت تأثير سخط العالم الإسلامي أن تعدل عن الظهير البربري المقصود به: إخراج البربر من الإسلام بتاتًا جاء هذا المقري يحذرها عاقبة الرجوع إلى الصواب، ويقول لها: إن أهالي المغرب يعدون هذا منها نكوصًا وضعفًا، وبعد ذلك لا يمكنها أن تثبت أقدامها في شمالي إفريقية؛ فالمقري إذًا هو أكبر مشجع للحكومة الإفرنسية على المضي في سياستها التي ترمي إلى تنصير البربر، وادماجهم في الأمة الإفرنسية (ش).

(٣) التقرب.

صداقته لها، ولو بضياع دينه ودنياه، حتى تُبْقي عليه منصبه وحظوظه في هذه البقية الباقية من حياته التاعسة[1].

وليس واحدًا من هؤلاء، ولا من في ضربهم في المغرب إلا وهو مطلع على نيات فرنسة وعلى مراميها[2] من جهة النظام الجديد لأمة البربر، وليس فيهم إلا من هو عارفٌ بوجودِ جيشٍ من القسوس والرهبان والراهبات يجوس[3] خلال بلاد البربر، ويبني الكنائس، ويصيد اللقطاء والأيتام والفقراء وضعفاء الإيمان[4]، وليس فيهم إلا من هو عالم بمنع فرنسة فقهاء الإسلام والوعاظ من التجوال بين البربر حتى ترتفع الحواجز أمام دعوة المبشرين إلى النصرانية[5].

وقد يكون المقري والبغدادي هذان هما في مقدمة المُوَقِّعين على الأوامر بمنع علماء الإسلام وحملة القرآن من الدخول إلى قرى البربر.

---

(١) الغريب في هذا: أن أمثال هؤلاء الخونة يبيعون بلادهم كلها للأجنبي بثمن خسيس؛ هو: جزء منها لا من مال الأجنبي، ولو أخلصوا في صدِّه عنها؛ لكان لهم منها أكثر مما يعطيهم الأجنبي منها، ثم يكون باقيها لأولادهم وأهليهم وإخوانهم في الدين مع العز والشرف (ر).

(٢) جمع: مرمى؛ وهو: الهدف أو الغاية.

(٣) أي: يتردد بينها بالأخبار، وطلب ما فيها.

(٤) ومما هو جار في المغرب: أن الآذان لصلاة الفجر ممنوع في كثير من القرى التي يقطنها مستعمرو الفرنسيس، وذلك؛ لأنه قد يعكر عليهم صفو رقادهم صباحًا (ش).

(٥) وقد منعوا الوعاظ في شهر رمضان من الذهاب إلى بلاد البربر، وكانوا يحبسون من يخالف هذا الأمر، وقد أقفلوا مئات من الكتاتيب القرآنية في المغرب ومئات من مثلها في الجزائر، وأغلقوا دار الحديث في تلمسان، واحتجت على ذلك جمعية علماء المسلمين في الجزائر، فما سمعوا لها كلامًا، وأصَرَّ بعضُ رجال الدين الإسلامي في الجزائر على تعليم القرآن للأحداث؛ فحاكموهم وحكموا عليهم بالسجن أربعة أشهر بحجة أنهم خالفوا الأوامر الصادرة. وهلم جرًّا (ش).

وقد يكون المقري هذا هو الذي خصّص المبلغ من مال المخزن لجريدة «مراكش الكاثوليكية» التي تطعن في الإسلام، وتقذف محمدًا -عليه الصلاة و السلام-، ولدينا كثير من أعدادها التي تتضمن هذه المطاعن.

وبعد هذا فمن يدري؟ فقد يكون المقري مُصلّيًا وصائمًا وبيده سُبحة[1] يقرأ عليها أورادًا.

ومن يدري؟ فقد يكون البغدادي السيئ الذكر ممن يتمسحون بالقبور، ويستغيثون بالأولياء، ويتظاهرون بهذا الورع الكاذب[2].

وأما المفتي: فهو: المفتي، فلا حاجة إلى تثبيت كونه يُصلي الخمس، ويصوم، ويتهجَّد، ويوتر، ويتنفَّل.. إلخ.

وقد مضى علينا نحن في سورية شيءٌ من هذا لأوائل عهد الاحتلال، لكن لم تكن خيانة هؤلاء المعلمين في قضية دينية مباشرة؛ فقد اقترحت عليهم فرنسة: أن يمضوا برقية إلى جمعية الأمم ينكرون بها عمل المؤتمر السوري الفلسطيني: المطالب

---

(١) الذكر بالسبحة بدعة منكرة، ولا يصح في التسبيح بالنوى، أو الحصى، أو عقد الخيوط حديث ولا أثر، ولا تستقيم من جهة النظر.

(٢) هذا ورع كاذب... وشرك بلا مثنوية.
وأمير البيان يوافق أهل السنة والجماعة، أتباع السلف الصالح، في محاربة بناء القبور والأضرحة، وما يجري حولها من شركيات ومخالفات.
قال في «الإرتسامات اللطاف» (ص٢١٣ - طبعة دار المعارف): «لا إنكار أن الوهابيين يبالغون في الهدم والقطع، والنقد والقلع، كلما مروا بقبة، أو مزار، أو شجرة تُعلَّق عليها خرق، وتقشعرُّ جلودُهم من هذه المناظر، ولكنّي مع اعترافي بغلوّهم في هذا الأمر، لا أراهم حائدين عن سنن الشرع القويم».
وقال (ص٢١٥): «إن كثيرًا من العوام -أو من الخواص أشباه العوام- يجبون الصلاة بجانب القبور، وهذا مما ينفر منه السلفيون أشد النفور، وليسوا في هذا بغالطين».

باستقلال سورية وفلسطين؛ فأمضاه منهم: عمائم مكورة، وطيالس مجررة، ورقاب غليظة، وبطون عظيمة، وإن لم أقل الآن: أخزاهم الله، أخشى عتاب إخواننا المغاربة الذين يرونني خصَّصت بهذا الدعاء صدرهم الأعظم، ومفتيهم الأكبر، وأعفيت معممي سورية، فلذلك يقضي العدل بأن نقول: أخزاهم الله أجمعين، أخزى الله الذين منهم في المشرق، والذين منهم في المغرب؛ ممن يوقعون على اقتراحات الأجانب المضرة بالدين والوطن[1].

ولعل الأخ الشيخ بسيوني عمران يقول: إن هؤلاء أفراد قلائل؛ فلا يجوز أن نجعل الأمة الإسلامية مسؤولة عن مخازيهم وموبقاتهم.

والجواب على ذلك: إن الظلم يَخصُّ، والبلاءُ يَعُمُّ؛ كما لا يخفى، ولكني لا أُسَلِّمُ أنَّ هؤلاء أفراد قلائل، وأنَّ الأمة غير مسؤولة: إذا لو كان وراء هؤلاء أمة يخشونها ما تجاسروا على الاتجار بدينها بعد الاتجار بدنياها، بل كانوا لو اقترح عليهم الفرنسيس اقتراحًا مضرًّا بملَّتِهم وأُمَّتِهم، ولم يقدروا على ردِّه اعتزلوا مناصبهم، ولزموا بيوتهم.

وكان الفرنسيس كلَّفوا بالعمل غيرَهم، فإذا أبى الخلف ما أباه السلف مرَّة بعد مرَّة علم الفرنسيس: أن لا فائدةَ في الإصرار، فعدلوا عن دسيستهم البربرية وما أشبهها، ولكنهم مصرُّون عليها بسبب استظهارهم بأناس ممن يزعمون أنهم «مسلمون»؛ فهم يهدمون الإسلام بمعاول في أيدي أبنائه، ويقولون: لسنا من هذا

---

(١) على أنهم في السنة التالية: أرادوهم على إمضاء بيانات خبيثة؛ كهذه، فامتنعوا، واحتجوا لدى الفرنسيس: بأن عملهم ذاك قد عرضهم للإهانة، واستوجب مقت الشعب السوري لهم؛ فهم لن يكرروا تلك الخيانة.
وهذا دليل على أن الأمة تقدر متى شاءت أن تُقَوِّمَ أَوَدَ هؤلاء المشايخ، وأن الخائنين الخادمين لدول الاستعمار ليس لهم علاج إلا الخوف على جلودهم (ش)

الأمر في قبيل ولا دبير[1].

أفلا ترى كيف قالوا عن الظهير البربري: إنه قد أصدره السلطان وحكومة المخزن[2]؟!

أفهذا هو الإسلام الذي يناشد الله الشيخ بسيوني عمران بتأييد أهله؟

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:١١٧]، ولا شك أن «المسلمين» الذين يبلغون هذه الدرجات من الانحطاط، وتتركهم الأمة الإسلامية وشأنهم يلعبون بحقوقها؛ يستحقون للإسلام التمحيص الذي هو فيه[3]؛ فإنما سمح اللهُ بأن يستولي الأجانب على ديار المسلمين، ويجعلوهم

---

(١) وجميع الدول المستعمرة المتسلطة على ممالك الإسلام طريقتها: الاستظهار على المسلمين بالمسلمين، وقضية شرقي الأردن والخونة من عرب فلسطين من أنصع الشواهد على هذه الحالة (ش).

انظر ما تقدم (ص٧٩).

(٢) أفلا ترى كيف أنهم قتلوا في مكناسة الزيتون (٣٥) مسلماً، وجرحوا (٦٠) من أجل مظاهرة غير مسلحة قام بها الأهالي احتجاجًا على سلب السلطة مياه بساتينهم من أجل إعطائها إلى مستعمرة الفرنسيس، وزعموا: أن فعلهم هذا باسم السلطان.

ألم تر أنهم ألغوا الحزب الوطني المغربي، وحكموا على ألفين وخمسمائة منهم بالحبس ستة وستين، ونفوا علالًا الفاسي إلى بلاد خط الاستواء، ونفوا نخبة رجالات المغرب إلى الصحراء، وضربوا ضربًا مُبرِّحًا عشرات من الأدباء؛ منهم: الأستاذ محمد المقري الذي مات تحت الضرب، وكل هذا باسم السلطان، والسلطان لا يبدي ولا يعيد، ولا يقدر أن يدفع عن رعيته التي مرجعها إلى الجنرال نرغيس: واضع أساس المشروع البربري الأثيم (ش).

(٣) هكذا في الأصل، ومعنى يستحقون هنا: يستوجبون على قول الفارابي، واللام في الاسلام للتقوية، المراد به: المسلمون. والمعنى: يستوجبون بجرائمهم تمحيص المسلمين في جملتهم؛ ليميز الله الخبيث من الطيب، ويفسره ما بعده: وهو: مستنبط من قوله تعالى في سياق غزوة أحد: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤١].

فليراجع السياق من سورة آل عمران وتفسيره المؤثر في الجزء الرابع من تفسير المنار (ر).

خولا[1]، ويغتصبوا جميع حقوقهم تعليمًا لهم وتهذيبًا، وتصفية وتطهيرًا؛ كما يصفي الذهب الإبريز بالنار.

قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

لقد أصبح الفساد إلى حدٍّ: أن أكبر أعداء المسلمين هم المسلمون، وأن المسلم إذا أراد أن يخدم ملَّته أو وطنه، وقد يخشى أن يبوح بالسرِّ من ذلك لأخيه؛ إذ يحتمل أن يذهب هذا إلى الأجانب المحتلين؛ فيقدم لهم بحق أخيه الوشاية التي يرجو بها بعض الزلفى، وقد يكون أملُه بها فارغًا[2].

ولله در الملك ابن سعود حيث يقول: ما أخشى على المسلمين إلا من المسلمين، وما أخشى من الأجانب كما أخشى من المسلمين[3].

وهو كلام أصاب كبد الصواب؛ فإنه ما من فتح فتحه الأجانبُ من بلاد

---

(١) هم: العبيد والإماء وغيرهم من الأتباع والحشم.

(٢) لم يخل بلد من بلدان الإسلام من هؤلاء الخائنين: الذين تجعلهم دول الاستعمار مطايا لها في الاستيلاء على تلك البلدان، وهم يسعون بين أيديها في كل دسيسة، ويدلونها على عورات المسلمين، وما ينكرون أنهم بهذا العمل يخونون أنفسهم، وما يشعرون أنهم أشبه بمن يصعد على الشجرة ويشرع بقطع جذعها من تحته؛ فيسقط هو عنها بما كسبت يداه.
قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٣] (ش).

(٣) وقال في محفل حافل بحجاج الأقطار -وقد طالبه مصري أزهري بمحاربة الإنكليز والفرنسيس المعتدين على المسلمين ذاكرًا عداوتهم لهم-: الإنكليز والفرنسيس معذورون إذا عادونا؛ لأنه لا يجمعنا بهم جنس ولا دين ولا لغة ولا مصلحة، ولكن المصيبة التي لا عذر لأحد فيها: أن المسلمين أصبحوا أعداء أنفسهم، وأنا والله لا أخاف الأجانب، وإنما أخاف المسلمين، فلو حاربت الإنكليز لما حاربوني إلا بجيش من المسلمين (ر).

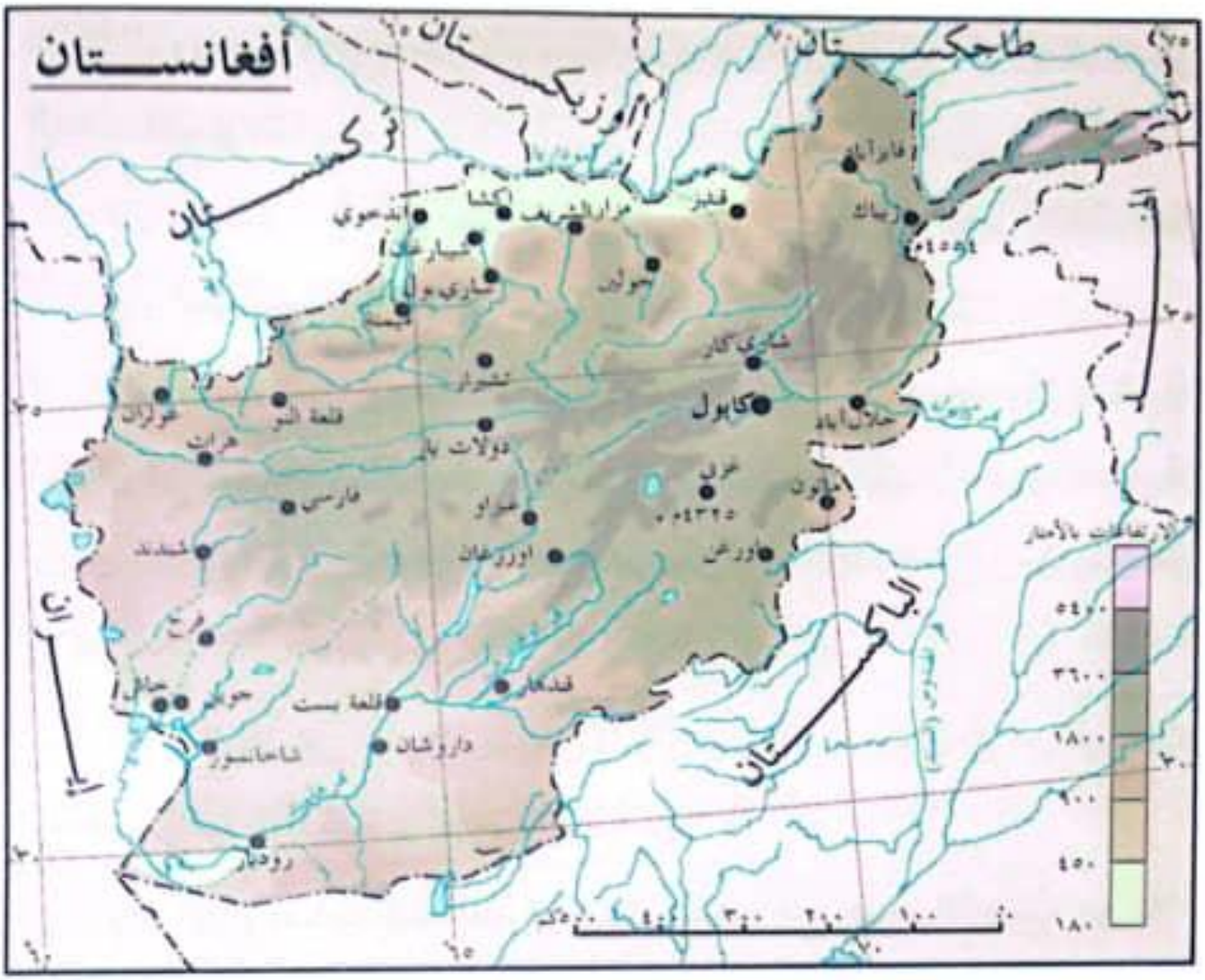

المسلمين إلا كان نصفه -أو قسم منه- على أيدي أناس من المسلمين:

منهم: من تجسس للأجانب على قومه!

ومنهم: من بثَّ لهم الدعاية بين قومه!

ومنهم: من سلَّ لهم السيفَ في وجه قومه، وأسال في خدمتهم دم قومه!

فأين إسلامهم وإيمانهم من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩].

وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

أفبمثل هذا تكون طاعة الله ورسوله؟

أم بمثله تكون أُخوَّة الإيمان، وولايته، وولاية أهله؟

أو لمثل هؤلاء يعدُّ الله العزَّ والنصر والتمكين في الأرض، وهم سعاة بين أيدي الأجانب على ملَّتهم، ووطنهم، وقومهم؟ كلما عاتبهم الإنسانُ على خيانة اعتذروا بعدم إمكان المقاومة، أو باتقاء ظلم الأجنبي، أو بارتكاب أخف الضررين؟

وجميع أعذراهم لا تتكئُ على شيءٍ من الحقّ، ولقد كانوا قادرين أن يخدموا ملَّتهم بسيوفهم؛ فإن لم يستطيعوا؛ فبأقلامهم، فإن لم يستطيعوا؛ فبألسنتهم، فإن لم يستطيعوا، فبقلوبهم[1].

فأبوا إلا أن يكونوا بطانة للأجانب على قومهم!

وأبوا إلا أن يكونوا رُوَّادًا لهم على بلادهم!

وأبوا إلا أن يكونوا مطايا للأجانب على أوطانهم!

وتراهم مع ذلك وافرين ناعمي البال، متمتعين بالهناء وصفاء العيش، وهم يأكلون مما باعوا من تراث المسلمين، وينامون مستريحين!

مثل هؤلاء ليس لهم وجدان يُعذِّبهم من الداخل، ولا نجد من المسلمين من

---

(١) إشارة إلى حديث: «من رأى منكم منكرًا؛ فليغيره بيده، فإن لم يستطع؛ فبلسانه، فإن لم يستطع؛ فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».
رواه أحمد، ومسلم، وأصحاب «السنن» كلهم.
وهذا في وجوب تغيير المنكرات يفعلها المسلم فماذا يقال في مقاومة هدم الإسلام من أساسه؟ (ر).

يجرؤ أن يُعذِّبَهم من الخارج[1].

لم نكن لنطلق الكلام إطلاقًا على العالم الإسلامي في هذا الموضوع، فإن الأمة الأفغانية -مثلًا- لا يمكن أحدًا أن يخطب فيها في حبِّ الأجانب علنًا ويبقى حيًّا، والنجديون لا يوجد فيهم من يجرأ أن يمالىء الأجانب على قومه، والمصريون قد ارتقت تربيتهم السياسية كثيرًا عن ذي قبل؛ فأصبحت مجاهرة أحدهم بالميل للأجنبي أو تفضيل حكم الأجنبي خطرًا عليه، فأما في سائر بلاد الإسلام؛ فمن شاء من المسلمين أن يخلع الرَّسَنَ[2]، ويجاهر بالعصيان لعدوِّ دينه وبلده؛ فلا يخشى شرًّا، ولا يحاذر قلقًا ولا أَرَقًا.

أفلمثل هؤلاء يقول الله -تعالى-: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور:٥٥].

حاشا لله -تعالى- أن يكون عنى بهؤلاء «المسلمين» الذي يخونون ملَّتَهم، ويسعون بين يدي أعدائها، ويناصبون إخوانهم العداوة؛ ابتغاء مرضاة الأجانب، والحصول على دنيا زائلة، وحطام فان، كيف وقد قرن الإيمان بلازمه؛ وهو: عمل الصالحات؟ بئسما شروا به أنفسهم.

وكذلك لا يعني اللهُ بهؤلاء المسلمين الذين إن لم يكونوا خامروا[3] على قومهم، وسعوا بين أيدي الأجانب في خراب أُمَّتهم، وأوطأوا مناكبهم لركوب الغريب

---

(١) أما في فلسطين؛ فقد تجرأ المجاهدون أخيرًا على تعذيب الخائنين، ولقي كثير من هؤلاء جزاءهم الأوفى، وجاء الوقت الذي عرف فيه خائن قومه أنه: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣]؛ فعسى أن يكون في ذلك عظة وعبرة لسائر العالم الإسلامي (ش).

(٢) هو الحبل الذي تُقاد به الدابة.

(٣) حقدوا.

الطامح، فإنهم اكتفوا من الإسلام بالركوع والسجود، والأوراد والأذكار، وإطالة السبحة والتلوم في السجدة، وظنوا: أن هذا هو الإسلام، ولو كان هذا كافيًا في إسلام المرء وفوزه في الدنيا والآخرة لما كان القرآنُ ملآنَ بالتحريض على الجهاد، والإيثار على النفس، والصدق والصبر، ونجدة المؤمن لأخيه، والعدل والإحسان، وجميع مكارم الأخلاق.

ولو كان هذا كافيًا لأجل التحقق بالإسلام؛ لما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤][1].

أفيقدر أخونا الشيخ بسيوني عمران -أو غيره- أن يقول: إن المسلمين اليوم -إلا النادر الأندر، والكبريت الأحمر[2]- يفضلون الله ورسوله على آباءهم وإخوانهم وأزواجهم وتجارتهم وأموالهم ومساكنهم، أو يؤثرون حبَّ الله ورسوله -وإنما حب الله ورسوله إقامة الإسلام- على الجزء اليسير من أموال اقترفوها، وتجارة يخشون كسادها؟

لنعمل هذه التجربة؛ فبضدها تتبين الأشياء:

الموازنة بين المسلمين والنصارى في البذل لنشر الدين:

لنفرض أن مسألة تنصير البربر دخلت في طور النجاح، وانتدب البابا الكاثوليكيين الذين في العالم لبذل الأموال اللازمة لهذا التحويل الذي تتوخاه فرنسة

---

(١) راجع تفسير الآية -وهي في سورة التوبة (٢٤ - وما قبلها) في (ص ٢٢٤ ج ١٠) من تفسير المنار (ر).

(٢) الكبريت الأحمر يضيء ليلاً، ويُرى ضوءُه على بعد فراسخ عدة ما بقي في موضعه، ويسمى الكبريت الأحمر: حجر الفلاسفة، ويدخل في عمل الذهب، وقد كانت العرب تضرب به المثل في ندرته.

في البربر من دين الإسلام إلى دين النصرانية، فكم مليونًا تظن من الجنيهات يدر على المبشرين والرهبان والراهبات لبناء الكنائس والمدارس والملاجىء والمستشفيات ومراكز الأسقفيات، وما أشبه ذلك؛ لإتمام هذا العمل الذي تضم به الكثلكة ثمانية ملايين من البربر إلى الأربعماية مليون كاثوليكي الذين في العالم؟

لا شك أنَّ الجواب يكون: عدة ملايين تجمع في بضعة أشهر.

فإن قيل للبروتستانتيين: تعالوا فقد أَذِنَّا لكم في تنصير البرابرة؛ فابذلوا في هذه السبيل ما أمكنكم؛ فإنها تدر الملايين بقدر ضعفي ما يدر من الكاثوليكيين، وفي مدة أقصر من المدة التي يجمع فيها المال الذي يجود به هؤلاء.

فلنقل للمسلمين: إن البرابرة صاروا على شفا الخروج من الإسلام، وإن الأُسَّ في هذا الصبوء عن دين الإسلام؛ هو: الجهل.

فعلينا أن نُرسل إليهم علماء ووعاظًا؛ ليتفقهوا في الدين، وأن نبني لهم المساجد والمدارس والكتاتيب والملاجىء إلى غير ذلك من الوسائل التي تمسك بحجزاتهم عن مفارقه الإسلام والمسلمين.

فكم تظن المبلغ الذي يجود به المسلمون بعد اللُّتَيَّا والتي لهذا العمل؟

لا أظن أنهم يجودون بما يتجاوز جزءًا من مائة مما يبذله الكاثوليك أو البوتستانت[1].

---

(١) شاع أن المنبوذين من الهنود يريدون فراق مذاهب الهنادك، وأن منهم من شرح الله صدره للإسلام؛ فأرسل الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر وفدًا من علماء الشريعة إلى الهند؛ ليتحقق هل ثمة أمل في هداية المنبوذين هؤلاء أم ذاك نفخ في غير ضرم، وعلم المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها خبر إرسال هذه البعثة الأزهرية إلى الهند، ولم تتحرك همة واحد منهم إلى تخصيص ما يوازي القطمير لأجل هداية هؤلاء المنبوذين الذين يزيد عددهم على ستين مليونًا. هذا بينما المبالغ التي يجمعها المسيحيون في كل عام لأجل تغذية التبشير المسيحي في آسيا وإفريقية تقدر بعشرين إلى ثلاثين مليون جنيه فهل تطمع هذه الأمة أن تجاري تلك الأمة؟ وبينهما كل هذا الفرق (ش).

فهذه هي حمية المسيحيين على دينهم، وهذه هي حمية المسلمين!

ومن الناس من يسأل عن أسباب انحطاط المسلمين وقصورهم عن مباراة سواهم!

فلو تأمل في هذه الفروق في النهضة والحمية؛ لوجد عندها الجواب الكافي.

ومن أغرب الأمور: أن نرى الأوروبيين ودعاتهم وتلاميذهم من الشرقيين بعد هذا كله يتهمون المسلمين بالتعصب الديني، وينبزونهم بلقبه، وينتحلون لأنفسهم التساهل في الدين! إن هذا والله لعجب عجاب!

وها أنذا -الآن- في كتابتي هذه التي معناها: الدفاع لا التجاوز، والأستاذ الأكبر -صاحب «المنار»-، وعبد الحميد بك سعيد -رئيس جمعية الشبان المسلمين- وغيرنا -من المدافعين عن حق الإسلام، والرجال الذين يبغون منع الاعتداء على الإسلام، وينادون المسلمين؛ لينتبهوا للخطر المحدق بهم- متهمون بالتعصب الديني، ومنبوزون بهذه الكلمة، لا بين غير المسلمين فقط، بل بين «المسلمين الجغرافيين» -أيضًا-؛ أعني: الذين يتباهون بأن سياستهم «لا دينية».

وطالما صرَّحوا بأنهم لا يقيمون للدين وزنًا، وطالما تزلَّفوا إلى المسيحيين بكونهم هم لا يدافعون عن الدين الإسلامي كما يدافع زيد وعمرو.. وهؤلاء فئة معروفة يعرفهم الناس، وهم يعرفون أنفسهم.

ولو فكَّر المسيحيون في شأنهم؛ لعلموا أنهم ليسوا على شيء، وأنهم لا يستحقون الاحترام منهم؛ لأنَّ الذي يتزلف إلى الناس بمثل هذه الطرق حري بأن لا يكون أهلًا للثقة ولا للكرامة، وما يزين المرء شيء مثل الاستقامة واستواء الباطن والظاهر.

فالمسلم إذًا لا يخلص من لقب «متعصب»[1]؛ إلا إذا سمع: أن الفرنسيس يحاولون تنصير البربر؛ فمرَّ بذلك كأن لم يسمع شيئًا، وإلا إذا سمع أن الهولانديين نَصَّروا مائة ألف، وقد زعم أحد نواب البرلمان الهولاندي: أنهم فازوا بتنصير مليون مسلم من مسلمي الجاوي، وهزَّ كتفه قائلًا: أنا لا يهمني أكان الجاوي مسلمًا أم مسيحيًّا..، هنالك «المسلم» يصير «راقيًا»، ويعد «عصريًّا»، ويصير «محبوبًا»، ويقال فيه كل خير؟!

وأما الأوروبي؛ فله أن يبذل القناطير المقنطرة على بثِّ الدعاية المسيحية بين المسلمين، وله أن يحميها بالمدافع والطيارات والدبابات، وله أن يحول بين المسلمين ودينهم بالذات وبالواسطة، وله أن يدُسَّ كلَّ دسيسة ممكنة لهدم الإسلام في بلاد الإسلام، وليس عليه حرج في ذلك، ولا يسلبه هذا العمل صفة: «راق»، و«متمدِّن»، و«عصري»، وأغرب من هذا: أنه لا يسلبه نعت: «مدني»، و«لا ديني»، و«متساهل».

وهؤلاء «المسلمون الجغرافيون» برغم هذه الشواهد الباهرة للأعين، وبرغم ما عملته جمهورية فرنسة «اللادينية» في قضية البربر لمآرب دينية كاثوليكية، وبرغم حماية هولاندة لمبشري الإنجيل في الجاوي، وبرغم قرار الحكومة البلجيكية رسميًّا إكمال

---

(١) ما أشبه اليوم بالبارحة، فاليوم لا يخلص المسلم من لقب «أصولي = إرهابي»؛ لأنه يريد تطبيق الشريعة، وتحكيم الإسلام، وإستقلال بلاده من الاستعمار العسكري والسياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي، وأن تكون ثروات بلاده لأبنائها توزع عليهم بعدالة إجتماعية إسلامية، ويهب لنصرة إخوانه المستضعفين، الذين يذبحون في مشارق الأرض ومغاربها، ويريد خلع النير اليهودي والأمريكي الصليبي عن رقبته.. لأنه يريد ذلك كله -أو: جلّه-؛ فهو ينبز بأنه «أصولي = إرهابي»... ومن أجل ذلك سنت هيئة الأمم، ومجلس الأمن ما يسمى بقانون محاربة الإرهاب، هذه العصى الغليظة التي سلطوها على رقاب المسلمين في شتى بقاع العالم.

تنصير أهل الكونغو[1]، وبرغم منع الإنكليز في الأوغاندا، وفي دار السلام -وكذا السودان- من بث الدعاية الإسلامية بين الزنوج، وبرغم أمور كثيرة لا يسعنا الآن شرحها، لا يزالون يخدعون المسلمين قائلين لهم: إن أوروبة قد رفست الدِّين برجلها، وصارت على خطة لا دينية، وبذلك قد اتسق لها الرقي، ونجحت، ونحن لن نفلح ما دمنا سائرين على خطة إسلامية[2].

قد قام ببث هذه السفسطة أناس في تركيا، ووجدوا ممن تلقاها بالقبول عددًا كبيرًا، وترى أُناسًا في مصر والشام والعراق وفارس يقولون بها، ويكابرون في المحسوس ولا يبالون؛ لأنهم يجدون على كلِّ الأحوال من الأغرار من يصدقهم:

---

(١) أهل الكونغو (١٢) مليونًا من النفوس كانوا جميعهم فتيشيين، فلما استولى البلجيكيون على الكونغو قرروا تنصيرهم، ورأيت من عدة سنوات برنامج حكومة بلجيكا؛ فإذا من جملة أركانه تنصير أهل الكونغو، وبالفعل تنصر من زنوج الكونغو نحو من مليون ونصف إلى الآن، ولما كان المسلمون قد دخلوا إلى الكونغو من مدة طويلة؛ فأقبل الأهالي هناك على الإسلام حتى بلغ عدد المسلمين في الكونغو (١٥٠) ألف نسمة؛ خشيت بلجيكا انتشار الإسلام في تلك المستعمرة، وصارت تعارض نموه فيها، وتطرد المسلمين، وتضيق عليهم، ولم تبال بما في ذلك من الخلل بمبدأ الحرية الدينية، ولا سمعت لومة لائم (ش).

(٢) وقد صدَّقوا لكن بمعنى: أننا لن نفلح ما دمنا على هذه الخطة التي نكذب بتسميتها إسلامية، وإننا إنما نفلح إذا قمنا بحقوق إسلامنا؛ كما يقومون بحقوق دينهم أو أشد (ر).

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦](١).

❁ ❁ ❁

(١) جاء هذا التمهيد كالمسمار في الساج؛ حيث وطأ به الأمير لكتابه، فكان القارئ لا يمر إلى دور الكتاب إلا من بوابته؛ فقد بيَّن: أن الانحطاط الذي أصاب المسلمين شيء عام لهم في المشارق والمغارب، فلا يختص بجزر الجاوى والملايو؛ لكنه متفاوت في دركاته، وأن الشعوب الإسلامية متشابهة في ضعفها، فحالهم لا يرضي صديقًا، ولا يغيظ عدوًّا، بل يرضي العدو ويفرحه.

ولذلك إذا كان الأمر عامًّا، فلا بدَّ من البحث عن الأسباب؛ لأن الإقرار بالواقع والشعور به أو خطوات العلاج والدافع لمعرفة أسباب هذا الانحطاط الذي غزا العالم الإسلامي في عقر داره بعدما كان منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان هو الصدر المقدم، والسيد المطاع المعظم، والأستاذ المرهوب بين الأمم شرقًا وغربًا.

مما يدل على أن الأمير بنى كتابه على منهجية علمية محكمة، وخطة أكاديمية، وليس كما زعم بعض الباحثين: أنه حماسة عاصفة وعاطفة طارئة: غلب عليها الأسلوب الخطابي، وباينها الأسلوب العلمي، وفارقها المنهج الأكاديمي.

أهم أسباب تأخر المسلمين

من أعظم أسباب تأخر المسلمين:

الجهل؛ الذي يجعل فيهم من لا يُميِّز بين الخمر والخل، فيتقبل السفسطة قضية مسلمة، ولا يعرف أن يَرُدَّ عليها.

ومن أعظم أسباب تأخر المسلمين:

العلم الناقص؛ الذي هو أشد خطرًا من الجهل البسيط؛ لأن الجاهل إذا قيَّض اللهُ له مرشدًا عالمًا أطاعه، ولم يتفلسف عليه؛ فأما صاحب العلم الناقص؛ فهو لا يدري، ولا يقتنع بأنه لا يدري، وكما قيل:

ابتلاؤكم بمجنون خير من ابتلاؤكم بنصف مجنون.

أقول:

ابتلاؤكم بجاهل خير من ابتلاؤكم بشبه عالم.

ومن أعظم أسباب تأخر المسلمين:

فساد الأخلاق؛ بفقد الفضائل التي حثَّ عليها القرآن، والعزائم التي حمل عليها سلف هذه الأمة، وبها أدركوا ما أدركوا من الفلاح، والأخلاق في تكوين الأمم فوق المعارف[1].

---

(١) ومما سمعته من شيخنا الإمام الألباني رحمه الله قوله: «كنت أعتقد أن مشكلة الأمة الإسلامية في عقيدتها ومنهجها، ثم تبين لي أنها -أيضًا- في أخلاقها».

ولله در شوقي إذ قال:

وَإِنَّما الأُمَمُ الأَخلاقُ ما بَقِيَت فَإِنْ هُمُ ذَهَبَت أخلاقُهم ذَهَبُوا

ومن أكبر عوامل تقهقر المسلمين:

فساد أخلاق أمرائهم بنوع خاص، وظن هؤلاء -إلا من رحم ربك-: أن الأمة خُلِقَت لهم أن يفعلوا بها ما يشاؤون، وقد رسخ فيهم هذا الفكر حتى إذا حاول محاول أن يقيمهم على الجادة بطشوا به عِبْرَةً لغيره.

وجاء العلماء المتزلفون لأولئك الأمراء، المتقلبون في نعمائهم، الضاربون بالملاعق في حلوائهم، وأفتوا لهم بجواز قتل ذلك الناصح؛ بحجة: أنه شقَّ عصا الطاعة، وخرج عن الجماعة[1].

ولقد عهد الإسلام إلى العلماء بتقويم أَوَدِ[2] الأمراء[3]، وكان قديمًا في الدول الإسلامية الفاضلة بمثابة المجالس النيابية في هذا العصر[4]، يسيطرون على الأمة، ويسددون خطوات الملك، ويرفعون أصواتهم عند طغيان الدولة، ويهيبون بالخليفة

---

(١) كما قال الإمام المجاهد المحدث الفقيه عبد الله بن المبارك رحمه الله:

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

(٢) تقويم إعوجاجهم.

(٣) ضمن الأحكام الشرعية، والضوابط السياسية المرعيَّة.

وأفضل كتاب عصري -في نقدي- ضبط فقه التعامل مع الحكام؛ هو: «معاملة الحكام» لصديقنا الدكتور عبد السلام برجس رحمه الله.

(٤) تلك مجالس أهل الحل والعقد، والخبرة والتجربة؛ فشتان ما بينها وبين المجالس النيابيَّة التي لا يصل إليه إلا أهل الدثور، ودعاة الفجور، الذين يقلبون لك الأمور، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، ويزعمون أنهم لا يريدون إلا إحسانًا وتوفيقًا!

وقد نقضت عرى الديمقراطية الخداعة، وكشفت عوار المتهافتين عليها، في كتابي: «نقض الديمقراطية، وتهافت الإسلاميين»، يسره الله نشره على خير وبركة.

فمن بعده إلى الصواب.

وهكذا كانت تستقيم الأمور؛ لأنَّ أكثر أولئك العلماء كانوا متحققين بالزهد، ومتحلين بالورع، متخلين عن حظوظ الدنيا، لا يهمهم: أَغَضِبَ الملكُ الظالم الجبار أم رضي؛ فكان الخلائف والملوك يرهبونهم، ويخشون مخالفتهم؛ لما يعلمون من انقياد العامة لهم، واعتقاد الأمة إمامتهم، إلا أنه بمرور الأيام خَلَفَ من بعد هؤلاء خَلْفٌ اتخذوا العلم مهنة للعيش، وجعلوا الدين مصيدة للدنيا؛ فسوغوا للفاسقين من الأمراء أشنع موبقاتهم، وأباحوا لهم باسم الدين خرق حدود الدين[1].

هذا والعامَّة المساكين مخدوعون بعظمة عمائم هؤلاء العلماء، وعلو مناصبهم، يظنون فتياهم صحيحة، وآراءهم موافقة للشريعة، والفساد بذلك يعظم، ومصالح الأمة تذهب، والإسلام يتقهقر، والعدو يعلو ويتنمَّر، وكل هذا إثمه في رقاب هؤلاء العلماء[2].

ومن أعظم عوامل تقهقر المسلمين:

الجبن والهلع؛ بعد أن كانوا أشهر الأمم في الشجاعة واحتقار الموت، يقوم

---

(١) فكانوا كما قال القاضي عبد الجبار الجرجاني:

ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ... لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرسًا وأجنيه ذلةً ... إذن فاتباع الجهل قد كان أسلما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أذالوه فهان ودنسوا ... محياه بالأطماع حتى تجهما
فإن قلت جد العلم كابٍ فإنما ... كبا حين لم يحرس حماه وأسلما

(٢) وفَّينا هذه المسألة حقها في «المنار»، وأهمّه مقالة في المجلد التاسع (ص٣٥٧) عنوانها: «حال المسلمين في العالمين، ودعوة العلماء إلى نصيحة الملوك والأمراء والسلاطين» أنحينا فيها باللائمة على علماء هذا العصر؛ لتقصيرهم في نصيحة الملوك والأمراء، ويليها آثار عن السلف في ذلك نشرت في عدة أجزاء من هذا المجلد (ر).

واحدهم للعشرة، وربما للمائة من غيرهم، فالآن أصبحوا إلا قبائل منهم يهابون الموت الذي لا يجتمع خوفُه مع الإسلام في قلبٍ واحدٍ.

ومن الغريب: أن الافرنج المعتدين لا يهابون الموت في اعتدائهم، هيبة المسلمين إياه في دفاعهم، وأن المسلمين يرون الغايات البعيدة التي يبلغها الإفرنج في استحقار الحياة، والتهافت على الهلكة في سبيل قوميتهم ووطنهم، ولا تأخذهم من ذلك الغيرة، ولا يقولون: نحن أولى من هؤلاء باستحقار الحياة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

وقد انضم إلى الجبن والهلع اللذين أصابا المسلمين: اليأس والقنوط من رحمة الله؛ فمنهم فئات قد وقر في أنفسهم: أن الإفرنج هم الأعلون على كلِّ حال[1]، وأنه لا سبيل لمغالبتهم بوجه من الوجوه، وأن كلَّ مقاومةٍ عَبَثٌ، وأنَّ كلَّ مناهضةٍ خُرْقٌ في الرأي، ولم يزل هذا التهيب يزداد ويتخمَّر في صدور المسلمين أمام الأوربيين إلى أن صار هؤلاء ينصرون بالرعب، وصار الأقل منهم يقومون للأكثر من المسلمين[2]، وهذا بعكس ما كان في العصر الأول:

---

(١) والله يقول: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩].

(٢) هذا هي (الغثائية) التي يعيشها «المسلمون الجغرافيون» اليوم.. التي أفرزت حالة (الوهن) التي ذكرها رسول الله ﷺ في ثوبان ﷺ مولى رسول الله ﷺ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يوشك أن تداعى عليكم الأمم؛ كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»**، فقال قائل: أوَ مِن قلة نحن يومئذ؟ قال: **«بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم؛ وليقذفن في قلوبكم الوهن»**، قالوا: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: **«حبُّ الدنيا وكراهية الموت»**.

أخرجه أحمد (٢٢٣٩٧)، وأبو داود (٤٢٩٧)، وهو صحيح؛ كما بيَّنتُه في كتابي: «بدائع الحكم في شرح حديث تداعي الأمم»؛ فانظره غير مأمور.

يَرَى الجُبناءُ أنَّ الجُبنَ حَزْمٌ وتلك خديعةُ الطَّبعِ اللَّئيمِ

نسي المسلمون الأيام التي كان فيها العشرون مسلمًا لا غير يأتون من (برشلونة) إلى (فراكسية) من سواحل فرنسة، ويستولون على جبل هناك، ويبنون به حصنًا، ويتزايد عددهم حتى يصيروا مئة رجل؛ فيؤسسون هناك إمارة تعصف ريحُها بجنوبي فرنسة وشمالي إيطالية، وتهادنها ملوك تلك النواحي، وتخطب ولاءها، وتستولي على رؤوس جبال الألب، وعلى المعابر التي عليها الطرق الشهيرة بين فرنسة وإيطالية، لا سيما معبر (سان برنار) الشهير، وتضطر جميع قوافل الإفرنج أن تؤدي للعرب المكوس[1] لأجل المرور، تتقدم هذه الدولة العربية الصغيرة في بلاد (البيامون) مسافات بعيدة إلى أن تبلع سويسرة وبحيرة (كونستانزه) في قلب أوروبة، وتضم القسم العالي من سويسرة إلى أملاكها، وتبقى خمسًا وتسعين سنة مستولية على هذه الديار إلى أن تتألب الأمم الافرنجية عليها، ولا تزال تناجزها إلى أن استأصلتها،

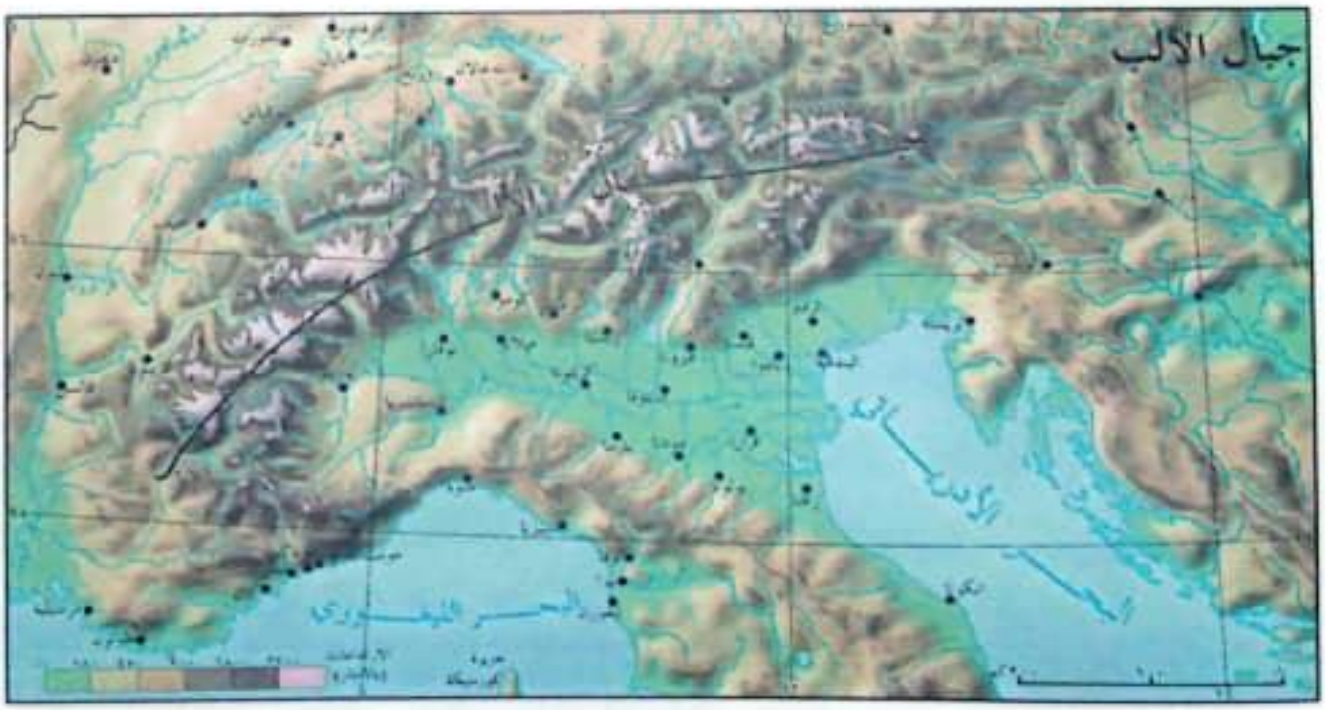

(١) الضرائب.

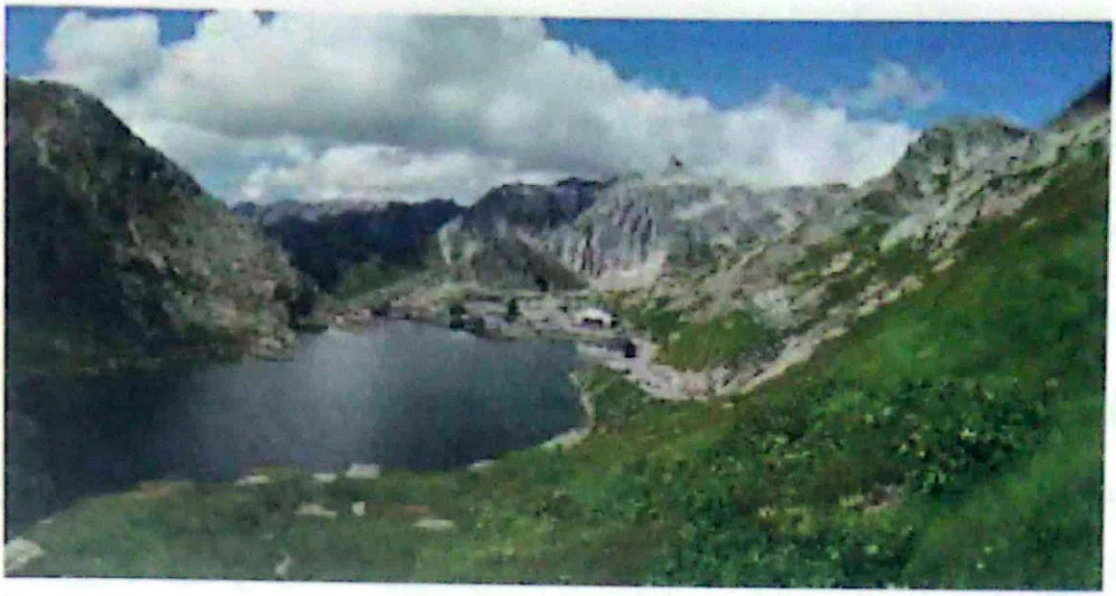

سانت برنارد

وكانت تلك العصابة العربية يوم انقرضت لا تزيد على ألف وخمسمائة رجل[1].

❁ ❁ ❁

(١) يجد القارئ تفاصيل هذه الغزوات في كتابنا: «غزوات العرب في سويسرة وجنوبي فرنسة وشمالي إيطالية وجزائر البحر المتوسط» المطبوع من خمس سنوات (ش).
وقد نشرنا تفصيل خبرها في المجلد (٢٤) من المنار (ر).
قال أبو أسامة الهلالي -كان الله له-: وقد جدَّدنا نشرها بتحقيق فريد، وتوثيق أكيد، وقدمنا لها بمقدمة حول قصة الإسلام في أوروبا: التاريخ، والواقع، والمستقبل، وزيناها بالخرائط الموضحة لتلك المعاني.

شبهات الجهلاء والجبناء وردها

من السُّخفاء من يقول: نعم قد كان ذلك، لكن قبل أن يخترع الإفرنج آلات القتال الحديثة، وقبل المدافع والدبابات والطيَّارات، وقبل أن يصير الإفرنج إلى ما صاروا إليه من القوة المبنية على العلم.

وهذا القول هو منتهى السخف والسفه والحماقة؛ فإن لكلِّ عصر علمًا وصناعة ومدنية تشاكله، وقد كانت في القرون الوسطى علوم تشاكلها كما هي العلوم والصناعات والمدنية الحاضرة في هذا العصر، وأمور الخلق كلها نسبية، ولقد كانت في العصر الذي نتكلم عنه آلات قتال ومنجنيقيات ودبابات ونيران مركبة تركيبًا مجهولًا اليوم، وكانت في ذلك الوقت؛ كما هي المدافع والرشاشات وقنابر الديناميت وما أشبه ذلك في هذه الأيام.

على أنه ليست الدبابات والطيارات والرشاشات هي التي تبعث العزائم، وتوقد نيران الحمية في صفوف البشر، بل الحمية والعزيمة والنجدة هي التي تأتي بالطيارات والدبابات والقنابر، وما هذه إلا مواد صماء لا فرق بينها وبين أي حجر، فالمادة لا تقدر أن تعمل شيئًا من نفسها، وإنما الذي يعمل هو الروح، فإذا هبت أرواح البشر، وتحرَّكت عزائمهم؛ فعند ذلك نجد الدبابات والطيارات والرشاشات والغواصات وكل أداة قتال ونزال على طرف التمام.

يقولون: إلا أن هذا ينبغي له العلم الحديث، وهذا العلم مفقود عند المسلمين، فلذلك أمكن الإفرنج ما لم يمكنهم.

والجواب: أن العلم الحديث -أيضًا- يتوقف على الفكرة والعزيمة، ومتى

وُجدت هاتان: وُجِدَ العلم الحديث، ووُجِدت الصناعة الحديثة!

أفلا ترى: أنَّ اليابان إلى حدِّ سنة (١٨٦٨م) كانوا أمة كسائر الأمم الشرقية الباقية على حالتها القديمة، فلما أرادوا اللحاق بالأمم العزيزة تعلَّموا علوم الأوروبيين، وصنعوا صناعاتهم، واتسق لهم ذلك في خمسين سنة.

وكل أمة من أُمم الإسلام تريد أن تنهض وتلحق بالأمم العزيزة يمكنها ذلك، وتبقى مسلمة ومتمسكة بدينها، كما أن اليابانيين تعلموا علوم الأوروبيين كلها، وضارعوهم، ولم يقتصروا في شيء عنهم، ولبثوا يابانيين، ولبثوا متمسكين بدينهم وأوضاعهم.

وأيضًا: فمتى أرادت أمة مسلمة أدوات أو أسلحة حديثة ولم تجدها؟

إن ملاك الأمر هو الإرادة، فمتى وجدت الإرادة: وجد الشيءُ المراد.

فلو أن أمة من أمم الإسلام أرادت أن تتسلح؛ لوجدت السلاح الحديث اللازم بأنواعه وأشكاله من ثاني يوم، ولكن اقتناء السلاح ينبغي له سخاء بالأموال، وهم لا يريدون أن يبذلوا، ولا أن يقتدوا بالإفرنج واليابان في البذل، بل يريدون النصرة بدون سلاح وعتاد، أو السلاح والعتاد بدون بذل أموال[1]، وإذا تغلب العدو عليهم

---

(١) بل هم اليوم ينفقون المليارات على شراء الأسلحة من الغرب ومن الشرق، فصار العالم العربي والإسلامي سوقًا رائجة، يضاف إلى ذلك: استيراد الخبراء لتشغيل هذه الأسلحة.
والأعجب من ذلك كله: أن هذه الأسلحة لا تستخدم إلا في حروب العرب والمسلمين بعضهم مع بعض، في حين أن عدوهم الصائل يصول مردِّدًا، ويجول معربدًا، وينشر القتل والفتن في ديارهم، حتى لا يبقي أحدًا، فهم محيطون بدولته اللقيطة إحاطة السوار بالمعصم، ومع ذلك لا تحس لهم ذكرًا، ولا تسمع لهم ركزًا، بينما تراهم ليوث الوغى على بعضهم بعضًا، كما حدث في اليمن، وما حدث في لبنان، وما حدث بين الكويت والعراق، أو على شعوبهم؛ كما يجري الآن في بلاد الشام المكلومة.. فإلى الله المشتكى من هذا الخذلان، وعدم التوفيق والحرمان.

من بعد ذلك صاحوا قائلين: أين المواعيد التي وعدنا إياها القرآن في قوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

كأنَّ القرآن ضَمِنَ للمؤمنين النصر بدون عمل، وبلا كسب، ولا جهاد بالأموال والأنفس، بل بمجرد قولنا: إننا مسلمون، أو بمجرد الدعاء والتسبيح؟

وأغرب من ذلك: بمجرد الاستغاثة بالأولياء، فأصبح الكثير من المسلمين وهم عُزَّل من السلاح الحديث، وهم غير مجهزين بالعلم اللازم لاستعماله لا يقومون للقليل من الإفرنج المسلحين المجهزين، وصاروا إذا التقى الجمعان تدور الدوائر في أغلب الأحيان على المسلمين؛ فتوالى هذا الأمرُ عليهم مدة طويلة إلى أن فقدوا كلَّ ثقةٍ بنفوسهم، واستولى عليهم القنوط، ودبَّ فيهم الرعب، وألقوا بأنفسهم إلى العدو، وبعد أن كانوا مسلمين: صاروا مستسلمين، وقد ذهلوا عن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٩-١٤٠].

ونسوا أنَّه لا يجوز أن يتطرق اليأس إلى قلب أحد لا عقلًا ولا شرعًا، ولا سيما المسلم الذي يُخبره دينه بأن اليأس؛ هو: الكفر بعينه، وغفلوا عن قوله تعالى في سلفهم: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا

حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤].

فنجدهم إذا استنهضتهم لمعاونة قوم منهم يقاتلون دولة أجنبية تريد لتمحوهم كان أول جواب لهم: أية فائدة من بذل أموالنا في هذا السبيل، وتلك الدولة غالبة لا محالة؟

ولو تأملوا؛ لوجدوا أنَّ الاستسلام لا يزيدهم إلا ويلًا، ولا يزيد العدو إلا استبدادًا وجبروتًا: سنة الله في خلقه.

ولو فكَّروا قليلًا؛ لرأوا أنَّ هذا الشحَّ بالمال على إخوانهم الذين في مواطن الجهاد لم يكن توفيرًا، وإنما كان هو الفقر بعينه؛ لأنَّ الأمةَ المستضعفةَ لا تعود حُرَّة في تجارتها واقتصادياتها، بل يمتصُّ العدوُّ الغالبُ عليها كلَّ ما فيه علالة[1] رطوبة في أرضها، ولا يترك للأمة المستضعفة إلا عظمًا يتمششونها[2]، من قبيل: «قوت لا يموت»، وكثيرًا ما تحصل مساغب[3]، ويموتون جوعًا؛ كما يقع كثيرًا في جزائر الغرب والهند وغيرهما، ترى المجاعات واقعة في الهند، ولا يموت منها ولا إنكليزي، وتراها تشتد في الجزائر، ولا يموت بها إلا المسلم[4]، وما السبب في ذلك؛ إلا أن

---

(١) أي: بقية من رطوبة.

(٢) يمصونها.

(٣) جمع: مسبغة؛ وهي: المجاعة الشديدة.

(٤) ضَنُّ المسلمين بالأموال على القضايا العامة؛ هو: الذي شلَّ حركتهم السياسية، وفتَّ في عضد قوميتهم إلى أن صارت الأمم الغالبة على أمرهم لا تحسب لهم أدنى حساب، ولو كانت تحسب لهم حسابًا ما كان الفرنسيس انتزعوا منهم أملاكهم في الجزائر حتى صارت (٧٥٪) منها ملكًا للفرنسيس، وصار ثلث أراضي تونس ملكًا لخمسين ألف إفرنسي، مع أن الأهالي هم مليونان ونصف مليون مسلم يملكون الثلثين لا أكثر، وأيضا لما كانت فرنسا ابتزت أهالي المغرب الأقصى ثمانمائة ألف هكتار، وسلمتها للمستعمرين الإفرنسيين. =

الأجانب قد استأثروا بخيرات البلاد، ولم يتركوا للمسلمين إلا الفقر، فقام المسلمون اليوم يعتذرون عن عدم بذل الأموال لمساعدة إخوانهم بعدم وجودها، وهذا صحيح إلى حدٍّ محدود، وذلك أنهم بخلوا بها في الأول؛ فجنوا من بخلهم على الجهاد: الذل، والخنوع أولًا، والفقر والجوع ثانيًا؛ فإن من سُنن الله في أرضه: أنَّ الذُّلَّ يردفه الفقر، وأنَّ العز يردفه الثراء، والمثل العربي يقول: «من عَزَّ بَزَّ»، والشاعر العربي الإيادي يقول:

لا تَذْخِروا المالَ للأعــداءِ إنَّهم ... إن يَظْهَرُوا يأخذُوكم والتِّلادَ معا

= ولما كانت فرنسا تنفق ثلاثة أرباع ميزانية المغرب المالية على (١٩٠) ألف إفرنسي، وتنفق الربع الباقي على مسلمي المغرب مع أنهم سبعة ملايين نسمة، ومع أن (٨٠٪) من ميزانية المغرب هي من أموال المسلمين؛ كما أثبتنا ذلك بالأرقام نقلًا عن جريدة الحماية الرسمية التي لا يقدر الفرنسيس أن يكابروا فيها، وهي ميزانية عدة سنين لا سنة واحدة، وقد نقلنا تلك الميزانيات كلها عن جريدة الحماية الرسمية المطبوعة في الرباط إلى مجلتنا «لاناسيون آراب»، ودعونا الناس إلى تأمل هذا الحيف الفظيع الواقع على المسلمين الذين يتمتع الإفرنسي الواحد من ميزانيتهم أكثر مما يتمتع به ستون مسلمًا.

وأغرب من ذلك: أن الواحد من يهود المغرب فضلا عن الفرنسيس يستفيد من الميزانية المغربية أكثر من أربعين مسلمًا، وأغرب منه: أنه من هذه الميزانية التي أربعة أخماسها من جيوب المسلمين يأخذ المبشرون والقسوس دعاة النصرانية مئات ألوف من الفرنكات؛ لأجل بث المسيحية بين البربر المسلمين، وهذا على نسق إعطاء مُبشّري النصرانية في السودان المصري إعانات من أموال المسلمين، فلولا هوان المسلمين على دول الاستعمار، وكون هذه لا تقيم وزنًا ما كانوا يستخفون بهم إلى هذا الحد الأقصى، ولا كان عند الفرنسيس الأربعون مسلمًا بيهودي واحد، ولا الستون مسلمًا بإفرنسي واحد، ولقد تحديناهم مرارًا أن يجيبونا عن هذا الظلم الفاحش فما أجابونا بغير الطعن والقذف والتهمة لنا بعداوة فرنسا، كأن الإنسان لا يمكن أن يكون صديقًا لفرنسا إلا إذا أهدر في سبيلها جميع حقوق قومه، وهذا من أغرب الغرائب.

ولو تأملوا قليلًا؛ لعلموا أن نصحنا لهم بإنصاف المسلمين هو نصح عائد إلى مصلحتهم، وأن العدو لا يشير عليهم باستجلاب قلوب المسلمين أبدًا، وإنما يريدها حامية بين الفريقين إلى ما شاء الله. (ش).

هيهات لا خَير في مالٍ وفي نِعَمٍ قد احتَفَظْتُم بِها إن أَنْفُكم جُدِعا[1]

والمتنبي يقول:

فلا مجدَ في الدُّنيا لِمَن قَلَّ مالُه ولا مالَ في الدنيا لمن قَلَّ مَجْدُه[2]

فالمسلمون عزَّ عليهم المال؛ ففقدوه، وعزَّت عليهم الحياة؛ ففقدوها، وأبى اللهُ إلا تصديق كلام النبيِّ الموحى إليه حيث يقول: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم؛ كما تداعى الأكلةُ على القصاع**»، قالوا: أَوَ مِنْ قلَّةٍ فينا يومئذٍ يا رسول الله؟! قال: «**لا، ولكنَّكم غُثاء كغثاءِ السيل، يُجعَلُ الوهنُ في قلوبكم، ويُنزع من قلوب أعدائكم، من حبِّكم الدنيا، وكراهيتكم الموت**»[3].

هذا الحديث رواه لي الشيخ محمد بن جعفر الكتاني الفاسي رحمه الله يوم لقيته في المدينة المنورة[4] منذ خمس وعشرين سنة، ثم قرأته في الكتب، واستشهدت به في مقدمة «حاضر العالم الإسلامي»[5]، وألفاظه تختلف في رواية عن رواية، فالأستاذ صاحب

---

(١) انظر: «ديوان لقيط بن يعمر الأيادي» (ص٥)، و«دواوين الشعر العربي على مر العصور» (٢٣/ ٣٧٩).

(٢) انظر: «دواوين الشعر العربي على مر العصور» (٤٧/ ٢٤٥).

(٣) تقدم لفظ هذا الحديث وتخريجه (ص١٠٢).

(٤) هذا المصطلح من رواسب التصوف، وصوابه: المدينة النبوية.

(٥) في أعقاب الحرب الكونية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م)، وهدم الخلافة الإسلامية ظهرت في العالم بوادر يقظة وروح انتفاضة عارمة تنذر المستعمرين بعاقبة السوء، ولرصد هذه الظاهرة أصدر الباحث الأمريكي (ثيودور لوثروب ستودا رد) كتابه: (العالم الإسلامي الجديد - the new world of islam)؛ الذي ذاع صيته في الغرب، وترجم إلى عدة لغات، واهتم به الساسة وصناع القرار؛ لمعرفة طبائع المسلمين.
فقام الأستاذ عادل نويهض بترجمته إلى العربية، وتقدم به بعد تمام الترجمة إلى الأمير شكيب أرسلان؛ ليقرظ الكتاب، فما كان من الأمير إلا أن استرسل في التعليق، وألحق بالكتاب بحوثًا جاوزت حجم الأصل؛ لتصدر الطبعة العربية باسم «حاضر العالم الإسلامي».

«المنار» -أمتع الله بطول حياته- هو الأدرى بأصحّ رواياته[1]، ومعناه ظاهر؛ وهو:

(١) الحديث رواه أبو داود في «سننه»، و«البيهقي» في «دلائل النبوة» عن ثوبان مرفوعًا بلفظ: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم؛ كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال ﷺ: «**بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء؛ كغثاء السيل، وسينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن**». قال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «**حب الدنيا، وكراهية الموت**».

قوله ﷺ: «تداعى»: أصله «تتداعى»؛ أي: تجتمع ويدعو بعضها بعضًا لسلب ملككم. «كما تتداعى الأكلة»؛ وهي: جمع آكل -كالفعلة جمع فاعل- إلى قصعة الطعام. والغثاء -بالضم-: ما يحمله السيل، ويلقيه من الزبد والعيدان ونحوها. ويضرب مثلًا لما لا قيمة له ولا فائدة. والوهن -بالنون-: الضعف، وإنما سأله السائل عن سببه، فأجابه ﷺ بأن سببه: حب الحياة ولذاتها الخسيسة، وإيثارها على الجهاد في الدفاع عن الحقية وإعلاء كلمة الله، وكراهية الموت ولو في سبيل الحق حرصًا على هذا الحياة الخسيسة.

وقد أوردت هذا الحديث في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام:٦٥].

وأوردت قبله حديث ثوبان الآخر الذي رواه مسلم في «صحيحه»؛ قال رسول الله ﷺ: «**إن الله زوى لي الأرض؛ فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي: أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليها عدوًّا من سوى أنفسهم؛ فيستبيح بيضتهم (أي: ملكهم وسلطانهم ومقر قوتهم)، وأن ربي قال لي: يا محمد إذا قضيت قضاء؛ فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة (أي: قحط)، وأن لا أسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها -أو قال: «من بين أقطارها»- حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا**».

ورواه أحمد وأصحاب «السنن»؛ إلا النسائي بزيادة على رواية مسلم هذه.

وكلا الحديثين من أعلام النبوة التي ظهر بها صدقه ﷺ بعد قرون من وفاته ورفع روحه إلى الرفيق الأعلى، فما ذهب شيء من ملك المسلمين إلى أيدي الأجانب إلا بخذلان بعضهم لبعض، ومساعدتهم للأجانب على أنفسهم، وفي الرسالة للأمير شكيب بعض الشواهد من مسلمي هذا العصر على ذلك[1]. =

(أ) انظر ما تقدم (ص١٠٨).

= وراجع الموضوع بتفصيلة في تفسير الآية المشار اليها من (ص ٤٩٠- ٥٠١ ج٧) تفسير (ر).
قال أبو أسامة الهلالي -عفا الله عنه-: وقد خرجت هذا الحديث تخريجًا علميًّا، وشرحته بإسهاب، وقررت حقائق عظيمة من خلال استقراء معانيه، واستيعاب مقاصده، وذلك في كتاب مفرد: «بدائع الحكم شرح حديث تداعي الأمم»، وهو مطبوع متداول، وقد ترجم إلى عدة لغات.

ومما ينبغي التنبيه عليه، وتجدر الإشارة إليه: أن الأمير تغمده الله أحال التحقق من الحديث رواية ودراية إلى السيد محمد رشيد رضا تغمده الله؛ مما يدل على تواضعه ومعرفته بقدرات نفسه، وأنه ليس محدثًا، أو فقيهًا، وهذا مما اعترف به نفسه في مقالة بجريدة الشورى، بتاريخ ٢٥/ ١١/ ١٩٢٦م؛ حيث قال: «أنا لست فقيهًا، ولا قرأت في الأزهر، ولا دارت العمامة في رأسي في يوم من الأيام، وما طالعت الفقه إلا المبادئ الكلية»، ومع ذلك؛ فهو يقدر علم الحديث وأهله، وهذا ما صرح به نفسه في «حاضر العالم الإسلامي» (١/ ٥٠)؛ حيث قال: «وبعض الجهلاء أو المتعنتين من غير الجهلاء يعيبون على علماء الاسلام كثرة الاعتناء بأسانيد حديث الرسول وغيره، والاستقصاء في العنعنة، والعزو إلى فلان عن فلان، والمبالغة في البحث عن رجال الحديث الذين وصل إلى الناس من طرقهم، وغير ذلك مما يمل منه القارئ -بزعمهم- وكان بعضه يجزئ عن كله.

وهذا القول مردود بتمامه؛ لما في الحديث من الأهمية، من حيث أنه منسوب إلى النبي ﷺ أو إلى أصحابه الكرام، ومن حيث أنه هو مناط التشريع والمرجع بعد القرآن في الأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام، فمهما بالغ العلماء في التحري للوصول إلى الحقيقة من جهة صحة صدور الحديث عن صاحب الرسالة عليه السلام فلا يكون كثيرًا.

بل قد رأينا أن العلماء قالوا في الحديث أنه: «علم انطبخ، حتى احترق»، وأنه لم يشتغل طلبة العلم في الإسلام بشيء أكثر من اشتغالهم بالحديث، وأن التحري واستيفاء شروط الثقة قد بلغا فيه الدرجة التي ليس وراءها مطمع لمزيد.

ثم ذكر كلامًا عن المسيو (كرو) في اختراعه طريقة للتثبت من الأخبار في كتاب خاص له هي عينها طريقة المسلمين في الحديث الشريف، ثم قال: «قال صاحب مقالة (جورنال دو جنيف) على هذا الكتاب: إنه وإن كان المسيو (كرو) قد استخلص من تدقيقاته وجوب الحذر والتثبت في نقل الأخبار فقد دلنا على الطريقة الوحيدة الموثوق بها في الأخبار». =

أنَّ المسلمين يأتي عليهم يوم يصيرون فيه مأكلة، وتمتد إليهم الأيدي من كلّ جهة، فهذا العصرُ الذي نحن فيه هو ذلك اليوم، وأن المسلمين لا يكون عيبُهم يومئذٍ قلّةَ، الكثرة بنفسها لا تفيد أن تقترن بجودة النوع والكميَّة التي لا تُغني عن الكيفيَّة[1]، وعلة العلل ضعف المسلمين ذلك اليوم؛ هو: الجبن، والبخل، صريح ذلك في قوله ﷺ: «**مِن حُبِّكم الدُّنيا، وكراهيتكم الموت**»[2].

= قلت (الأمير): وهذه الطريقة هي الطريقة الإسلامية ليس في أحاديث الرسول والصحابة فقط بل في جميع أحاديثهم، وأخبارهم، وتواريخهم، وإنما أتقنها المسلمون إلى حد أن أصبح الناس يملونها مللهم من العمليات الحسابية، ولم يبلغ منها الإفرنج شيئًا من درجة الإتقان التي عند المسلمين فيها».

(١) عدد المسلمين اليوم ما ينيف عن ستمائة مليون؛ فيا لها من قوة لو كان جميعهم رجالًا كالرجال المتغلبين عليهم (ش).

قال أبو أسامة الهلالي -عفا الله عنه-: هم اليوم (١,٧٥) مليار نسمة، وانظر ما تقدم (ص٦٧).

(٢) نعم يخشى المسلمون دول الاستعمار؛ فيطيعونها حتى على أبائهم وأبنائهم، وأعز الناس لديهم، وأغلى الأمور عليهم، وعلى دينهم، ووطنهم، وقوميتهم، وثقافتهم، وإن سألتهم عن أسباب هذه الطاعة العمياء؛ قالوا لك: إننا إن لم نطعهم أهلكونا، ونحن لا قبل لنا بمقاومتهم، ونسوا أنهم عندما تقذف بهم دول الاستعمار في حروبها يلاقون فيها الموت الذي لم يكونوا ليلاقوا أعظم منه لو كانوا عصوها.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة:٨].

ولعمري إن تعليل هذا الحال الروحية التي نجدها عند المسلمين الخاضعين لدول أوروبة المستعمرة؛ ليتعذر على نطس أطباء الاجتماع جميعًا؛ إذ لا يمكن أن يعقل صنفان من الموت:

أحدهما: مرّ المذاق لا تقوى على مواجهته النفس؛ وهو: الموت في مقاومة الأجنبي المتغلب.

والثاني: مقبول الطعم سهل الاقتحام؛ وهو: الموت في مقاتلة عدو ذلك المتغلب.

لا جرم أن هذه حالة روحية شاذة لا تفسر ولا تعلل إلا بالمرض وعدم اعتدال المزاج، وكون الرعب المستمر الذي أوقعه في قلوبهم الأجنبي المتغلب انتهى بأن أوجد في نفوسهم هذه الحالة الغريبة التي لم أجد لها شبيهًا في التاريخ إلا ما كان منهم يوم زحف التتار المغوليين =

ومن المعلوم: أنَّ الإفراط في حبِّ الدنيا؛ يُحرم الإنسانَ التمتعَ بها، وأنَّ الغلو في

= إلى بلاد الإسلام، ونسفوا تلك الحضارات الزاهرة التي كانت في تركستان، وإيران، والعراق، وذبحوا الملايين من أهلها ذبح الشياه، ودمروا بغداد دار الخلافة، وأهلكوا الخليفة المستعصم العباسي تحت أرجل الفيلة، وجعلوا من جماجم القتلة آكامًا عالية؛ فوصل الرعب بقلوب المسلمين إلى أن صار المغولي الواحد يدخل على المائة منهم فيقتلهم جميعًا، وأسلحتهم في أيديهم، ولا تحدثهم نفوسهم بأدنى مقاومة، ولا يقال لمثل هذا: إنه مجرد انكسار قوى معنوية بل هو أبعد مدى من هذا بكثير؛ فإن انكسار القوى المعنوية لا يسلب المغلوب كل آثار النشاط للمقاومة، وإنما كان ذاك مرضًا زاغت به الطبائع البشرية عن مركزها، وقتها استولى على العقول وجردها من خواص الإدراك. وقد حدَّث أحد المؤرخين برواية غريبة عن رجل شهد تلك الوقائع بعينه؛ فقال ما معناه: فررت من التتار؛ فساقني القدر إلى بيت وجدت فيه ثمانية عشر رجلًا تخبأوا فيه؛ لعلهم ينجون من الموت، فبينما نحن جالسون إذ دخل علينا أحد التتار فرآنا جميعًا، وعلى وجوهنا غبرة الموت، ولم يكن معه سلاح يقتلنا به، فقال لنا: ابقوا هنا حتى آتي بسكين وأذبحكم، ومضى؛ ليأتي بسكين. فلما ذهب قلت للجماعة: ماذا تنتظرون؟ قالوا: لا ننتظر شيئًا سوى الموت. فقلت لهم: كيف ننتظر الموت من يد رجل واحد ونحن عصبة (١٩) رجلًا؟ قالوا: ماذا تريد أن نصنع؟ قلت: نقتله. قالوا: لا تمتد أيدينا إليه لأننا نخاف. قلت: مم تخافون؟ إن كان خوفكم من الموت، فهو قاتلكم على كل حال. قال: وما زلت أشجعهم إلى أن اقتنع بكلامي اثنان منهم لا غير. فلما رجع المغولي وبيده السكين الذي يريد أن يقتلنا به، هجمنا عليه نحن الثلاثة ونزعنا السكين من يده وقتلناه به، وخرجنا ونجونا. هذا وبقي المسلمون في رعب من التتار غير ممكن التعليل إلى أن خرجت إليهم العساكر المصرية في زمن الملك قطز، فتلاقى الجمعان في (عين جالوت) من فلسطين، وانهزم التتار هزيمة شنعاء ثابت بعدها عزائم المسلمين إليهم، وأخذوا يفتكون بالتتار، وصار هؤلاء عندهم كسائر الناس، ولو لم يدخل التتار في الإسلام؛ لكان المسلمون أبادوهم.

وخلاصة القول: إن المسلمين كلما آثروا في السلامة ازدادوا موتًا، وكلما احتقروا الحياة ازدادوا حياة، إلى هذا أشار الله تعالى في كتابه الكريم حين يقول:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٨-٣٩] (ش).

المحافظة على الحياة تكون عاقبتُه زيادة التعرض للهلاك[1].

هذه هي من سنن الله في خلقه، أو من النواميس الطبيعية -كما يقال في هذا العصر-؛ فالقرآن يأمر المسلم بأن يحتقر الحياة والمال وكل عزيز في سبيل الله، ويأمر المسلم أن يثبت ولا ييأس، وأن يصبر ولا يتزلزل مهما أصيب، وتراه يقول: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

هكذا يريد الله ليكون المسلمون، فإن لم يكونوا هكذا بصريح نص القرآن، فكيف يستنجزون الله عداته بالنصر والتمكين والسعادة والتأمين؟

❀ ❀ ❀

(١) إن الله تعالى يقول: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥].
أي: إن عدم إنفاقكم في سبيل الله التهلكة بعينها، وقد أصابت المسلمين تهلكة عدم الانفاق، وصدق فيهم ما حذرهم الله منه (ش).
قال أبو أسامة الهلالي -كان الله له-: واقرأ فصلًا ماتعًا، وبحثًا رائعًا عن مثل حب الدنيا، وآثاره الخطيرة على الفرد والأمة، في «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» للإمام ابن قيم الجوزية (ص ٣٥٠-٣٨٥ - بتحقيقي).

ضياع الإسلام بين الجامدين والجاحدين

ومن أكبر عوامل انحطاط المسلمين: الجمود على القديم؛ فكما أنَّ آفة الإسلام؛ هي: الفئة التي تريد أن تُلغي كلَّ شيء قديم، بدون نظر فيما هو ضار منه أو نافع، كذلك آفة الإسلام؛ هي: الفئة الجامدة التي لا تريد أن تُغيِّر شيئًا، ولا ترضى بإدخال أقل تعديل على أصول التعليم الإسلامي؛ ظنًّا منهم: بأن الاقتداء بالكفار كفر، وأن نظام التعليم الحديث من وضع الكفار.

فقد أضاع الإسلام: جاحد، وجامد.

أما الجاحد؛ فهو: الذي يأبى إلا أن يُفَرْنِجَ المسلمين وسائر الشرقيين، ويخرجهم عن جميع مقوِّماتهم ومُشَخِّصاتِهم، ويحملهم على إنكار ماضيهم، ويجعلهم أشبه بالجزء الكيماوي الذي يدخل في تركيب جسم آخر كان بعيدًا: فيذوب فيه، ويفقد هويته.

وهذا الميل في النفس إلى إنكار الإنسان لماضيه، واعترافه بإن آباءه كانوا سافلين، وأنه هو يريد أن يبرأ منهم لا يصدر إلا عن الفسل[1] الخسيس، الوضيع النفس، أو عن الذي يشعر أنه في وسط قومه دنيء الأصل، فيسعى هو في إنكار أصل أمته بأسرها؛ لأنه يعلم نفسه منها بمكان خسيس ليس له نصيب من تلك الأصالة، وهو مخالف لسنن الكون الطبيعية التي جعلت في كلِّ أُمَّةٍ ميلًا طبيعيًّا للاحتفاظ بمُقَوِّماتِها

(١) الرجل الجبان الرذيل.

ومُشَخِّصاتها: من لغة، وعقيدة، وعادة، وطعام، وشراب، وسكنى وغير ذلك إلا ما ثبت ضرره [1].

(١) قال المستر (شمبرلين) ناظر خارجية إنكلترا سابقًا: نحن الإنكليز أمة تقليدية محافظة على القديم، لا نرضى بتبديل شيء من أوضاعنا؛ إلا إذا ثبت ضرره، ولم يبق مناص من تغييره (ش).

محافظة الشعوب الإفرنجية على قوميتها

فلننظر إلى أوروبة -لأنها هي اليوم المثل الأعلى في ذلك-، فنجد كلَّ أُمَّة فيها تأبى أن تندمج في أُمَّة أخرى.

فالإنكليز يريدون أن يبقوا إنكليزًا، والإفرنسيس يريدون أن يبقوا فرنسيسًا، والألمان لا يريدون أن يكونوا إلا ألمانًا، والطليان لا يرضون أن يكونوا إلا طليانًا، والروس قصارى همهم أن يكونوا روسًا..، وهَلُمَّ جرًّا.

ومما يزيد هذا المثال تأثيرًا في النفس: أن الإيرلنديين -مثلًا- أمة صغيرة مجاورة للإنكليز، قد بذل هؤلاء جميع ما يتصوره العقلُ من الجهود؛ ليدمجوهم في سوادهم مدة تزيد عن سبعمائة سنة، فأبوا أن يصيروا إنكليزًا، ولبثوا إيرلنديين بلسانهم، وعقيدتهم، وأذواقهم، وعاداتهم!

وفي فرنسة نفسها تأبى أُمَّة «البريتون»[1] إلا أن تحافظ على أصلها، وفي جنوبي فرنسة جيل يقال لهم: «الباشكنس»[2] احتفظوا بقوميتهم تجاه القوط[3]، ثم تجاه

---

(١) إحدى مناطق فرنسا، وهي على شكل شبه جزيرة تقع إلى الشمال الغربي، عاصمتها؛ هي: مدينة رين.

(٢) بلادٌ لها مكانةٌ مهمة في صفحات تاريخ البلاد الأيبيرية (أسبانيا والبرتغال) على الصعيد الجغرافي والسياسي والعسكري، وذلك لما تتمتَّع به من موقع جغرافي مهم، الذي يمتد عبر جبال البرت الغربية الفاصلة بين الحدود الفرنسية الجنوبية والشمال الأسباني، كما أن مساحتها تغطي حيزًا كبيرًا من عموم مساحة شبه الجزيرة، وقد أكسبها موقعها هذا أهمية تجارية، وأصبحت على مرِّ الأزمان مركزًا تجاريًّا مهمًّا، ولا بد للحركة التجارية الأوربية الشمالية أن تمر عبر وديان بلاد البشكنس وسهولها؛ لتصل إلى البلاد الأسبانية، ومن ثم إلى البلدان الأخرى عبر البحر المتوسط، فغدت نقطة ارتباط وارتكاز للتجارة البرية والبحرية لجنوب أوربا وشمالها.
ونتيجة لموقع الإقليم المهم؛ فقد كانت بلاد البشكنس عرضة للتهديدات الخارجية على مر الأزمان، فقد تعرضت إلى غزوات الرومان، وبسطوا سيطرتهم عليها، وأضحت مقاطعة تابعة للإمبراطورية الرومانية، وتدفع الإيجار السنوي لأباطرتها.
وبعد اضمحلال قوة الرومان، تعرَّضت إلى غزو قبائل عدة، منها قبائل القوط الغربيين، كما كانت -أيضًا- نقطةَ صراع ونفوذ بين قبائل القوط الغربيين والإفرنج من جهة، والقوة الإسلامية من جهة أخرى بعد دخول الإسلام إلى شبه الجزيرة الأيبيرية سنة (٩٢هـ / ٧١٠م).

(٣) القوط: قبائل جرمانية شرقية، قدموا من إسكندنافيا إلى وسط وجنوب شرق القارة الأوروبية، وهم يُقسَمون غالبًا إلى قوط شرقيين وقوط غربيين.
وكان للقوط تأثير قوي في تاريخ أوروبا السياسي والثقافي.

العرب، ثم تجاه الأسبان، ثم تجاه الفرنسيس، وجميعهم مليون نسمة، وهم لا يزالون على لغتهم، وزيهم، وعاداتهم، وجميع أوضاعهم.

الفلمنك[1] يأبون أن يجعلوا اللغة الإفرنسية لغتهم، والثقافة الإفرنسية ثقافتهم، ولم يزالوا يصيحون في بلجيكا حتى اضطرت دولة بلجيكا إلى الاعتراف بلغتهم لغة رسمية.

---

(١) يستخدم مصطلح الفلمنك للدلالة على أكثر من ستة ملايين شخص من ساكني منطقة الفلاندرز -الجزء الشمالي من بلجيكا-، وللدلالة -أيضًا- على غالبية البلجيك.

وفي سويسرة ثلاثة أقسام:

القسم الألماني؛ وهو: مليونان وثمانمائة ألف.

والقسم المتكلم بالطليانية؛ وهو: أكثر قليلًا من مائتي ألف.

والقسم المتكلم باللغة الفرنسية.

وكلّ قسم منها محافظ على لغته، وقوانينه، ومنازعته، مع أنهم كلهم متحدون في مصالحهم السياسية؛ وهم: يعيشون في مملكة واحدة.

وإن الدانمرك وبلاد الاسكندیناف[1] وهولاندة فروع من الشجرة الألمانية لا مراء في ذلك، لكنهم لا يريدون الاندماج في الألمان، ولا العدول عن قوميتهم، وبقي «التشيك»[2] مئتين من السنين تحت حكم الألمان، وبقوا تشيكًا، واستأنفوا بعد الحرب العامة استقلالهم السياسي، بعد أن حفظوا لسانهم واستقلالهم الجنسي مدة خمسة قرون.

وقد هذَّب الألمان أُمَّةَ المجر، وعلَّموهم، ورقوهم، ولكنهم لم يتمكنوا من إدماجهم في الألمانية، فتجدهم أحرص الأمم على لغتهم المغولية الأصلية، وعلى قوميتهم المجرية.

ولبثت الروسية العظيمة من مائتين إلى ثلاثمائة سنة تحاول إدخال بولونية في

---

(١) هي المناطق التاريخية والجغرافية الواقعة في شبه الجزيرة الإسكندنافية في الطرف الشمالي من قارة أوروبا، وتتكون من الدنمارك، والنرويج، والسويد، وأحيانًا تشمل دول أخرى مثل فنلندا، وأيسلندا، وجزر فارو؛ وذلك للتقارب التاريخي والعلاقات التي تربط هذه الدول مع الدول الإسكندنافية الأساسية: الدنمارك، والنرويج، والسويد.

(٢) هي دولة تقع في وسط أوروبا، شكلت سويةً مع سلوفاكيا بين أعوام (١٩١٨ - ١٩٣٩ و١٩٤٥ - ١٩٩٢م) جمهورية تشيكوسلوفاكيا، يحدها من الشمال بولندا وألمانيا، ومن الشرق سلوفاكيا، ومن الجنوب النمسا، من الغرب ألمانيا مجددًا.

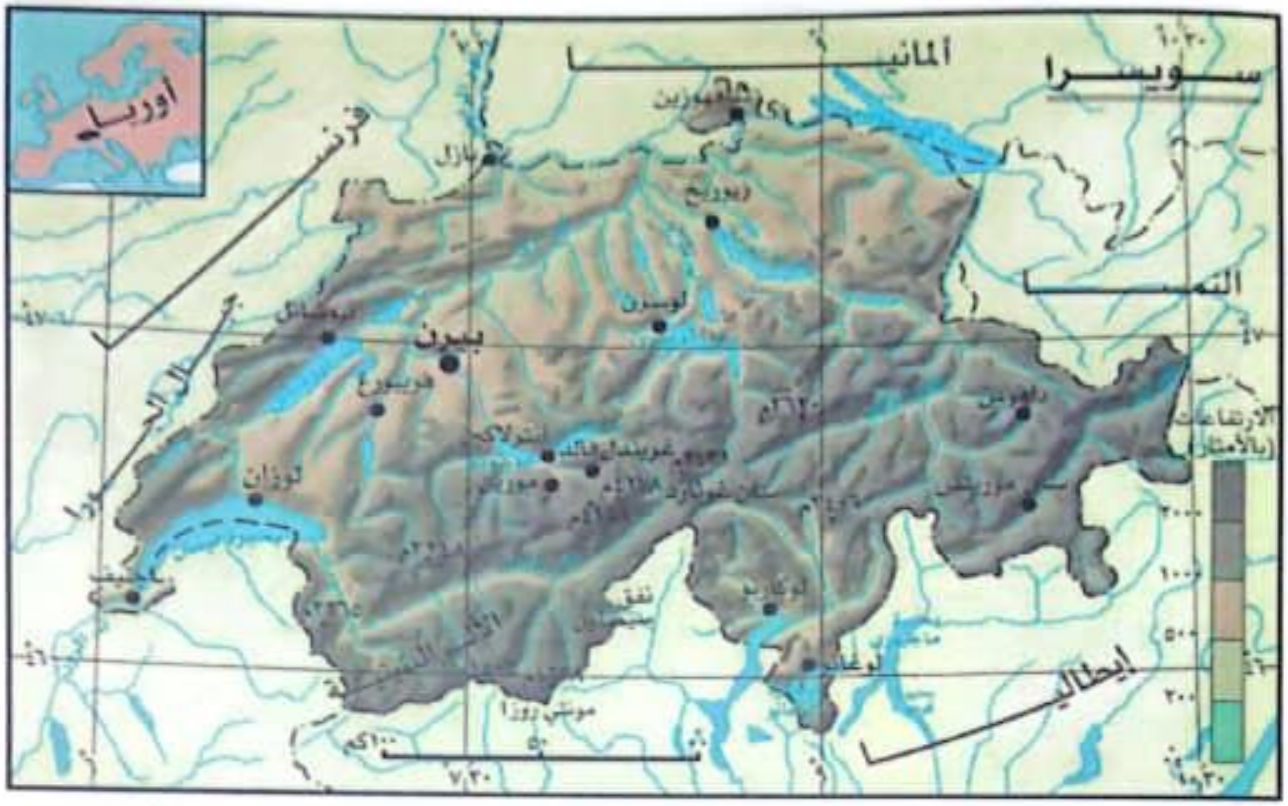

الجنس الروسي، وحَمْلِ البولونيين على نسيان قوميتهم الخاصة بحجة أن العِرق السلافي[1] يجمع بين البولونيين والروس؛ ففشلت مساعيها في إدماج البولونيين فيها، وعاد هؤلاء بعد الحرب العامة أمة مستقلة في كل شيء، وذلك؛ لأنهم لم يتخلوا طرفة عين عن قوميتهم.

وليس من العجيب: أن لا تريد أمة عددها (٣٠) مليونًا الاندماج في غيرهم، ولكن الاستوانيين[2] وهم مليونان فقط انفصلوا عن الروسية، ولم يقبلوا الاندماج

---

(١) القومية السلافية: حركة فكرية في أوروبا الشرقية، ظهرت أثناء القرن التاسع عشر، وأكّدت على وحدة الشعوب السلافية عبر ثقافتها المشتركة، ولغاتها المشتقة من أصل واحد، نشطت هذه الحركة في روسيا؛ حيث دعمت مسعى البلاد التاريخي للاستيلاء على القسطنطينية (إسطنبول)، وتحرير السلاف الجنوبيين من الحكم النمساوي والتركي.
بلغت الحركة أوجها بين ستينات وثمانينات القرن التاسع عشر، وأعيد إحياؤها أثناء حروب البلقان والحرب الكونية الأولى.

(٢) هي دولة تقع في منطقة بحر البلطيق بشمال أوروبا، يحدها من الشمال: خليج فنلندا، ومن الغرب: بحر البلطيق، ومن الجنوب: لاتفيا، وإلى الشرق: بحيرة بيبوس والاتحاد الروسي.

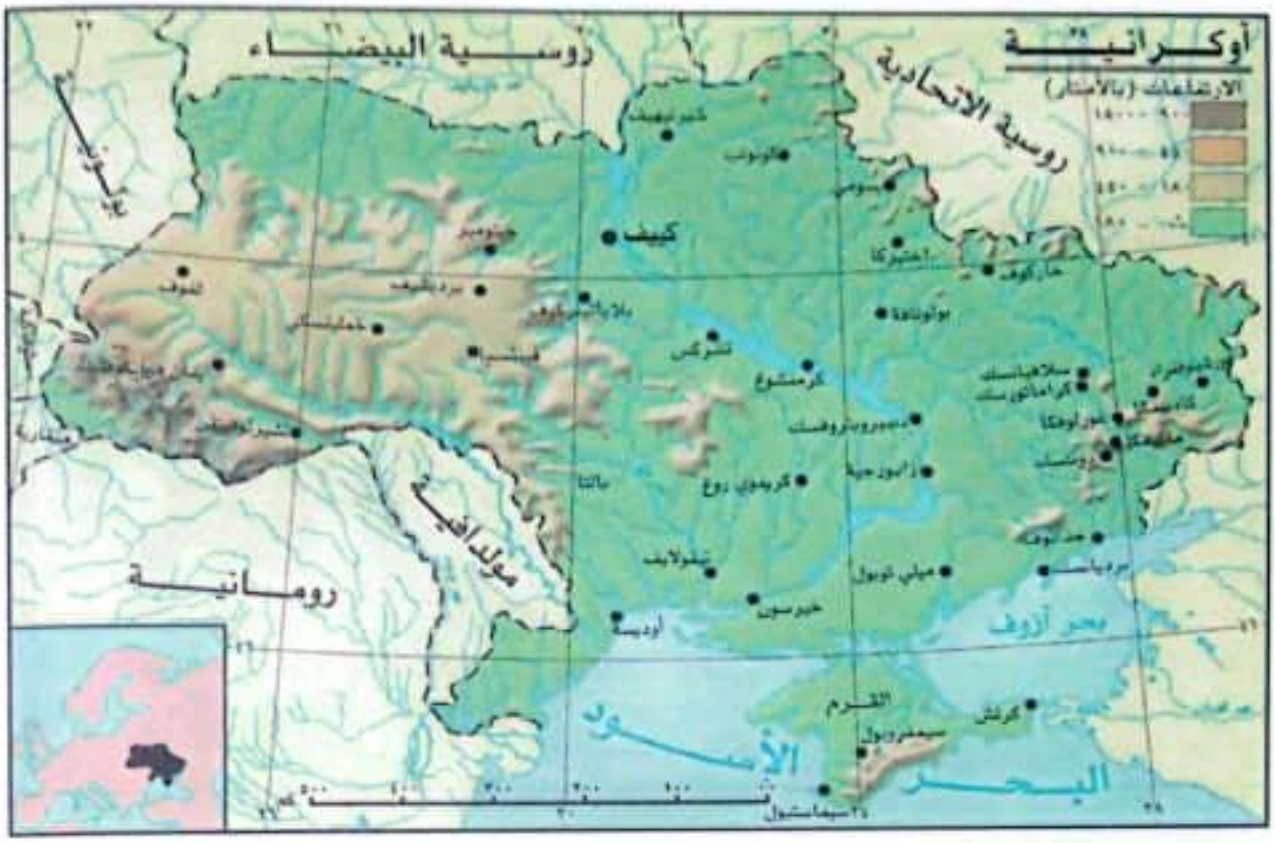

فيها، وأحيوا استقلالهم ولسانهم المغولي الأصل، وجمعوا له حروفًا هجائية، ومثلهم أهالي فنلاندة المنفصلون عن الروسية -أيضًا-.

وقد خابت مساعي الروس في إدماج الليتوانيين[1] من هذه الأمم البلطيكية[2] في الجنس الروسي، وانتفضوا بعد الحرب العامة أمة مستقلة كما كانوا مستقلين قوميًّا، وجميعهم أربعة ملايين.

وأقل منهم جيرانهم الليتونيون[3] الذين هم مليونان لا غير، ومع هذا قد

---

(١) ليتوانيا هي دولة تقع في شمال أوروبا، وجنوب دول البلطيق الثلاث، تقع على طول الشاطئ الجنوبي الشرقي لبحر البلطيق، وتشترك في الحدود مع لاتفيا في الشمال، وروسيا البيضاء، وبولندا، يبلغ عدد سكانها (٢,٣) مليون نسمة.

(٢) دول البلطيق: اسم يُطلق في الغالب على ثلاث دول في أوروبا الشمالية؛ وهي: إستونيا، ولاتفيا، ولتوانيا.

(٣) ليتونيا هي غير ليتوانيا، وكلتاهما من الأمم التي انفصلت عن الروسية بعد الحرب العامة؛ لاختلاف جنسها عن جنس الروس (ش).

انفصلوا بعد الحرب، وأسسوا جمهورية كسائر الجمهوريات البلطيكية؛ لأنهم من الأصل لبثوا محافظين على لغتهم وجنسهم.

وقد عجز الروس من جهة كما عجز الألمان من جهة أخرى عن إدخال هذه الأقوام في تراكيبهم القومية العظيمة؛ لأنَّ كلَّ شعبٍ مهما كان صغيرًا لا يرضى بإنكار أصله، ولا بالنزول عن استقلاله الجنسي.

وقد حفظ الكرواتيون[1] استقلالهم الجنسي مع إحاطة أُمَّتين كبيرتين بهم؛ هم:

---

(١) هي جمهورية برلمانية تقع في جنوب شرق أوروبا، عاصمتها وأكبر مدنها؛ هي: زغرب، تبلغ مساحة كرواتيا (٥٦,٥٩٤) كيلومترًا مربعًا، فيما يبلغ عدد السكان نحو (٤,٢٩) مليون نسمة، وتنقسم البلاد إلى (٢٠) مقاطعة بالإضافة لمدينة زغرب، ولكرواتيا حدود مشتركة مع سلوفينيا، والمجر، وصربيا، والبوسنة، والهرسك، وجمهورية الجبل الأسود، واللغة الرسمية في كرواتيا هي الكرواتية، وهي إحدى اللغات السلافية، وعملتها الرسمية هي (الكونا).

اللاتين[1]، والجرمان[2].

وحفظ الصربيون[3] استقلالهم الجنسي مع سيادة الترك عليهم منذ قرون.

ولم يزل الأرناؤوط[4] أرناؤوطًا منذ عهد لا يعرف بدؤه؛ وهم: بين أمتين كبيرتين: اليونان، والصقالبة؛ أي: السلاف!

وكذلك البلغار[5] أبوا إلا أن يبقوا بلغارًا فيما بين الروم، والسلاف، واللاتين،

---

(١) وهم السلت: قبائل بدائية استوطنت عام (٧٠٠ قبل الميلاد) أرجاء متفرقة من وسط وشمال غرب أوروبا، ينحدر الشعب البريطاني والبلجيكي والإسكتلندي الحالي من تلك القبائل القديمة غير المتحضرة المتجولة التي كانت تعيش عائلاتها في أكواخ صغيرة مبنية فوق التلال.

(٢) الجرمانيون؛ هم: الشعوب والقبائل التي تتحدَّث باللغات الجرمانية، استوطنوا المناطق المحاذية للإمبراطورية الرومانية، وكانوا مصدر إزعاج دائمٍ لها، ثم لاحقًا أصبحوا أحدَ الأسباب الرئيسة لسقوطها، ومن أشهر القبائل الجرمانية: قبائل القوط بفرعيها: القوط الشرقي، والقوط الغربي.

(٣) الصرب؛ هم: مجموعة عرقية جنوب سلافية، يبلغ عددهم حوالي (١٩) مليون نسمة، أغلب الصرب يعيشون في صربيا والجبل الأسود، وتوجد كذلك مجموعة كبيرة من الصرب في كرواتيا والبوسنة وافرسك. كما تنتشر مجموعات أصغر من الصرب في جمهورية مقدونيا، وسلوفينيا، ورومانيا، وألبانيا، والمجر.
وكثير من الصرب يعيشون في الشتات في ألمانيا، والنمسا، وسويسرا، والولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، وأستراليا.

(٤) الأرناؤوط؛ هو: لقب لُقبت به جمهورية ألبانيا، وهم جِنسٌ يندَرِجُ تحته شعوبٌ كثيرة من الألبان، و اليوغسلاف، وغيرهم.
وقد كان شيخنا الإمام الألباني رحمه الله يكتب على غلاف بعض كتبه: تأليف محمد ناصر الدين الأرنؤوطي.

(٥) البلغار: عرق يتكون من قوميات مختلفة، بعضها من أصول سلافية، والبعض من أصول تركية، جاؤا في هجرات منتظمة للأراضي البلغارية من دول مجاورة؛ كجمهورية مقدونيا، واليونان، والبلقان.

ثم جاءهم الترك؛ فتعلموا التركية؛ لكنهم بقوا بلغارًا.

ولا أريد أن أخرج في الاستشهاد عن أوروبة؛ لأني إن خرجت عن أوروبة قالت تلك الفئة الجاحدة: نحن لا نريد أن نجعل قدوة لنا أممًا متأخرة مثلنا.

فالأمم التي استشهدنا الآن بها كلها أوروبية، وكلها متعلمة راقية، وكلها ذوات بلدان مُمَدَّنة منظمة، وكلها عندها الجامعات والأكاديميات والجمعيات العلمية والجيوش والأساطيل... إلخ.

❀ ❀ ❀

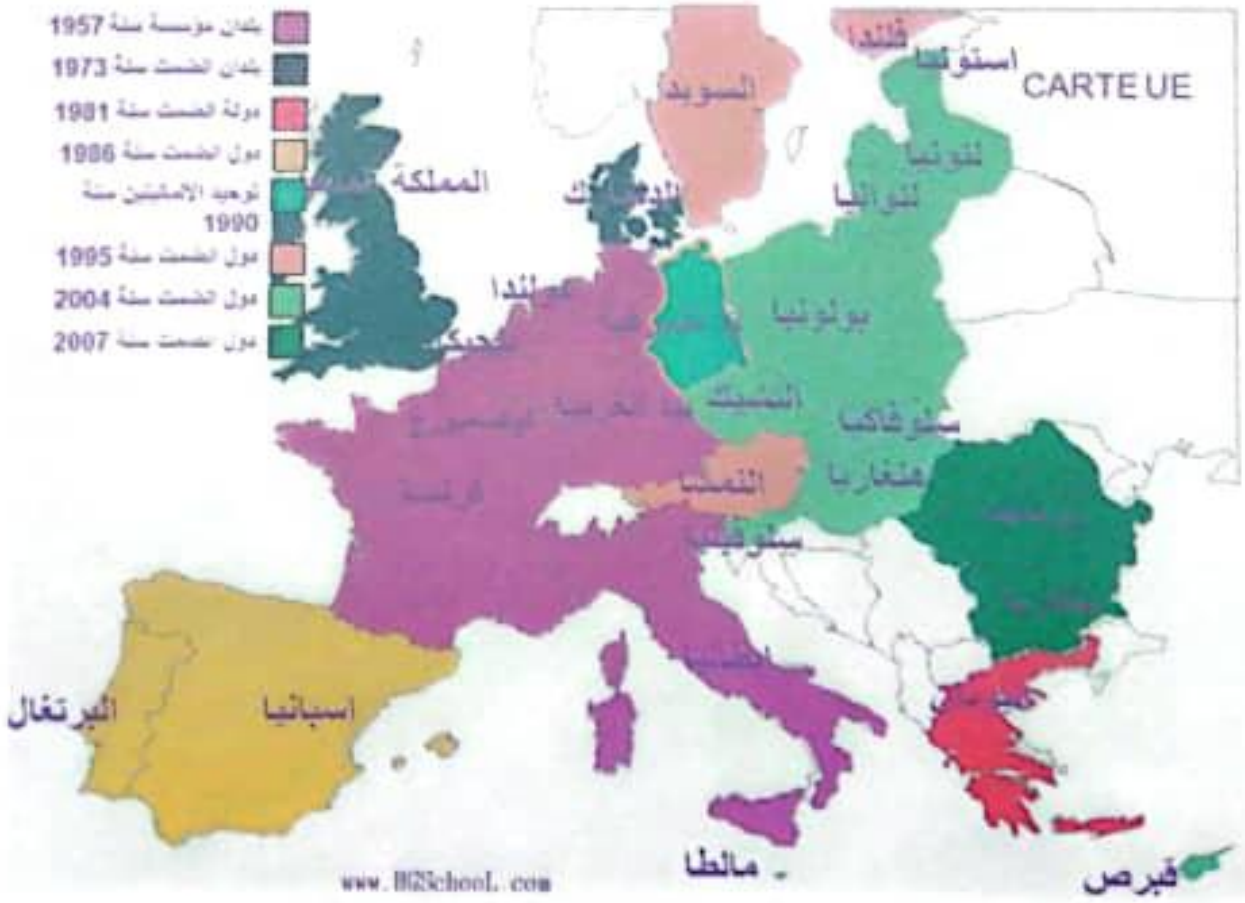

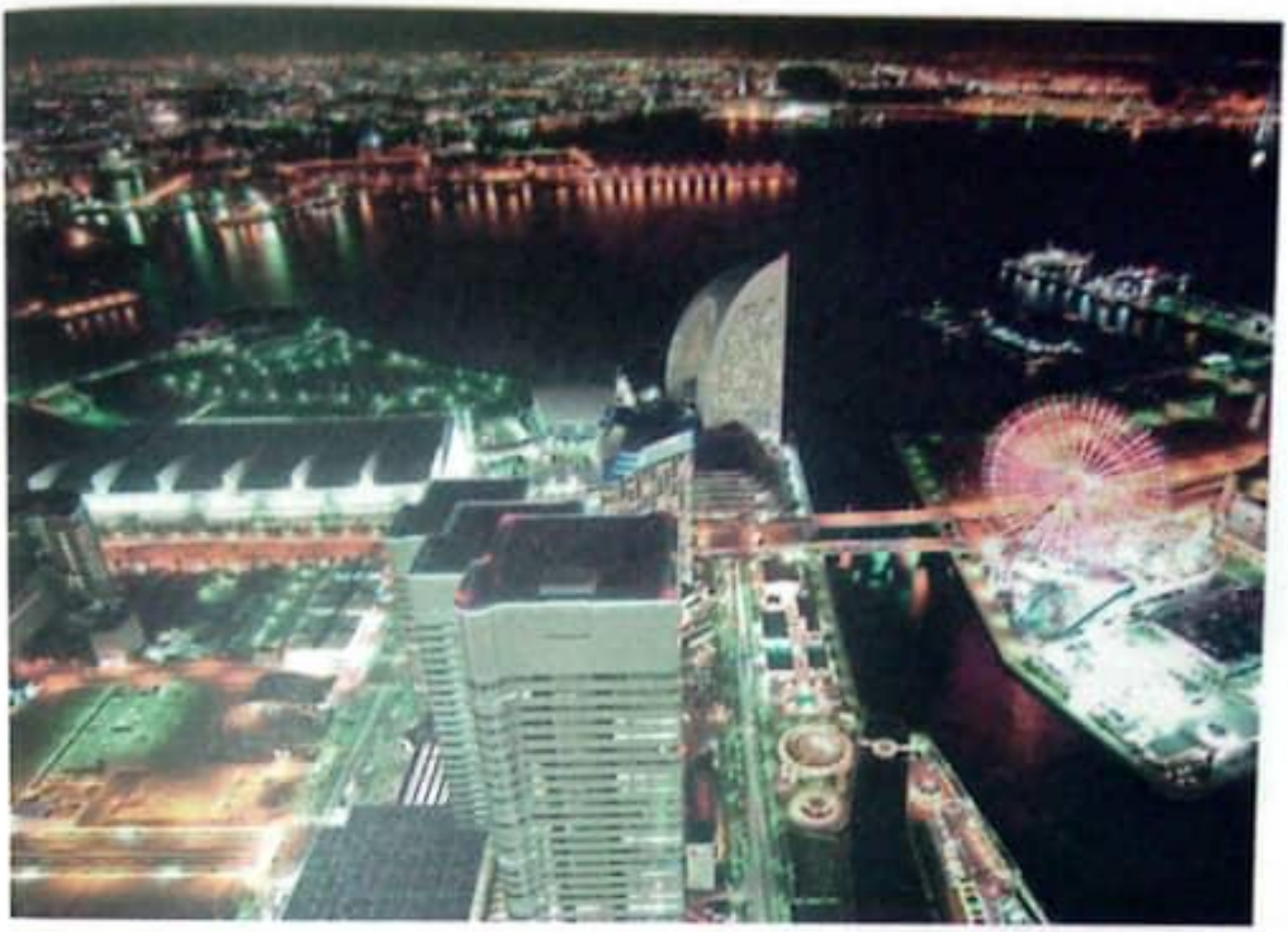

صور من التطور العمراني الذي يشهده اليابان

العبرة للعرب وسائر المسلمين برقي اليابانيين

ولكني أخرج من أوروبة إلى اليابان فقط؛ لأن رقي اليابان يضارع الرقي الأوروبي، وقد تمَّ لليابان كما تمَّ رقي أوروبة للأوروبيين؛ أي: في ضمن قوميتهم، ولسانهم، وآدابهم، وحريتهم، ودينهم، وشعائرهم، ومشاعرهم، وكل شيء لهم.

فأنقل إلى القُرَّاء العرب فقرة من رسالة طويلة جاءت من مراسل أوروبي سائح في اليابان، وظهرت في جريدة «جرنال دوجنيف» بتاريخ (٢٠ / أكتوبر/ ١٩٣١)؛ فإنه يقول:

«إن الياباني يحب الفن قبل كل شيء، وإن رأيته ساعيًا في كسب المال؛ فلأجل أن يلذذ بالمال أهواءه المنصرفة إلى الحسن والجمال، وقد انتقش في صفحة نفسه الشعور القومي الشديد عدا الميل إلى الجمال؛ لأنه يفتخر بكون اليابان في مدة ستين سنة فقط صارت من طور أُمَّة القرون الوسطى إقطاعية الحكم إلى أمة عظيمة من أعظم الأمم.

ومما لا ريب فيه: أن الديانة اليابانية هي ذات دور عظيم في سياسة اليابان (ليتأمل القارئ)، وهي في الحقيقة فلسفة مبنية على الاعتراف بكل ما تركه القدماء لسلائلهم.

فالياباني العصري قد ائتلف مع جميع احتياجات الحياة العصرية، لكن مع حفظ الميل الدائم إلى الرجوع إلى ماضيه، ومع التمسك الشديد بقوميته، غير مجيب نداء التفريج (وفي الأصل التغرب occidentalisme) الذي لا يريد الياباني أن يأخذ منه إلا ما هو ضروري له؛ لأجل مضارعة سائر الأمم بنجاح.

ولا شك: أن هذا مثال فريد في تاريخ أمم الشرق الأقصى».

ثم يقول: «كان اليابانيون يكرهون الأسفار إلى البلدان البعيدة، ويحظرون دخول الأجانب إلى بلادهم، ولكن هذا المنع قد ارتفع بعد النهضة العصرية، وتلافت اليابان ما فات بشكل مدهش، والنتائج هي أمامنا؛ إلا أن الماضي لا يزال عند اليابانيين مقدسًا مُعظَّمًا في جميع طبقاتهم؛ لأنّه في هذا الماضي المقدس يجد اليابانيون جميع شعورهم بقيمتهم الحاضرة، فتراهم يكافحون بوسائل المدنية الحديثة التامة التي لا سبيل إلى الحياة بدونها في أيامنا هذه، لكن ينبذون كلَّ «تغرب» بمجرد ما يجدون أنفسهم في غنى عنه، ويعودون مع اللذة إلى شعورهم القومي الخاص الذي به يعتقدون أنهم الأعلون.

«وهناك هياكل «شنتو»[1]، ومعابد «زن»[2]، والهياكل البوذية؛ وهي: مكرمة معظمة مخدومة بأشد ما يمكن من الحماسة الدينية والإيمان الثابت؛ كما كانت منذ قرون.

والحق: أنَّ هذا الاحترام الشديد الذي يشعر به اليابانيون لقديمهم ولمعبوداتهم؛ هو: الذي قام به عندهم حصنًا منيعًا دون المبادىء الشعوبية، والأفكار الشيوعية المضرة».

ومنذ بضع سنوات ظهر في فرنسة تأليف جديد عن اليابان للمركيز (لامازلير

---

(١) الشنتو: ديانة ظهرت وتطورت في اليابان، لم تعرف ديانة الشنتو -والتي تركت أثرًا بالغًا في التفكير الياباني- طريقها إلى الانتشار على غرار الديانات الأخرى، فليس لهذه الديانة تعاليم محددة، والشيء الذي جعلها تنفتح على العادات الدينية الأخرى بدون أن تؤثر هذه في خاصيتها وتأصلها.

وهياكل الشنتو يطلق عليها اسم: (جينجا) باللغة اليابانية؛ وهي: المكان الذي ينتصب فيه المزار الخاص بإحدى الآلهة، حسب العقيدة الشنتوية.

(٢) هي: معابد بوذية، تقع بالقرب من كيوتو، وتعد من أشهر المعالم التاريخية في اليابان.

La-Mazeliere) قد أطنبت الجرائد في وصفه، ونشرت عنه جريدة (الديبا) مقالًا رنانًا، فنحن نوصي القراء الذي يهمهم أن يعرفوا كيفية ارتقاء اليابان -وهو موضوع في غاية الجلالة لما فيه من الاستنتاج لسائر بلاد الشرق- بمطالعة هذا الكتاب الذي لا يمكن أن ينسب إلى مؤلفه التعصب لليابان، على أنني رأيته في الجملة مطابقًا لتواريخ ألفها علماء يابانيون متخصصون في التاريخ، وهذا التواريخ مترجمة من اليابانية إلى الإفرنسية.

ولا بدَّ لي في هذه العجالة من نقل بعض فقر من (تاريخ لامازلير) المذكور.

قال في أثناء الكلام على تَمَدُّن اليابان العصري، وخروج هذه الأمة من عزلتها القديمة ما يلي:

«فبدأت اليابان تستعير من أوروبة وأمريكا قسمًا من مدنيتها المادية، ومن نظامها العسكري، ومن مباحث تعليمها العام، ومن سياستها المالية، فكان المجددون يجتهدون في أن يقتبسوا من كلِّ شعب ما يرونه الأحسن عنده، فكان ذلك مشروع تجديد وهدم وإعادة بناء، وظهرت آثار ذلك في جميع مناحي الحياة اليابانية».

ثم تكلَّم على الحرب اليابانية الصينية، وانتهى إلى قوله الذي نترجمه ترجمة حرفية:

«إن ظفر اليابان بالصين لم يثبت علو الأفكار والمبادىء العلمية التي أخذتها اليابان عن الغرب وكفى، بل أثبت أمرًا آخر؛ وهو: أن شعبًا آسيويًّا بمجرد إرادته وعزيمته عرف أن يختار ما رآه الأصلح له من مدنية الغرب (تأمل جيدًا) مع الاحتفاظ باستقلاله، وقوميته، وعقليته، وآدابه، وثقافته» اهـ.

وقبلًا كنت نشرت في الجرائد -وما نشرته لم يكن إلا نقطة من غدير- خلاصة الحفلات التي أقامها اليابانيون لتتويج عاهلهم منذ سنتين، وكيف استمر مراسم هذا الاحتفال مدة شهر، وكانت بأجمعها دينية، وكيف أن (الميكادو) هو كاهن الأمة

الأعظم، وكيف أنه من سلالة الآلهة (الشمس)، وكيف اغتسل في الحمام المقدس المحفوظ من ألفي سنة، وكيف أكل مع الآلهة الأرز المقدس الذي زرعته الدولة تحت إشراف الكهنة حتى يكون تام القدسية لا شبهة فيه، وكيف كان ثمة في الحفل ستمائة ألف ياباني، وكلهم يهتفون ليحي الميكادو عشر آلاف سنة.. إلى غير ذلك.

لماذا لا نسمي اليابان وأوروبا رجعيّة بتدينهما

فلماذا -يا ليت شعري!- تتقدم اليابان هذا التقدم السريع المدهش، وتصير هذه الأمةُ أُمَّةً عصرية يضرب برقيها المثل، وهي تضرب بأعراقها إلى عقائد وعادات ومنازع مضى عليها ألفا سنة، ويكون امبراطورها؛ هو: كاهنها الأعظم، ولا يقال عنها: (رجعية)، و(مرتجعة)، و(ارتجاعية)، و(متأخرة)، و(متقهقرة)؛ (فإن كانت اليابان رجعية؛ فمرحى بالرجعية).

ولماذا كان ملك إنكلترة، وامبراطور الهند السيد على (٤٥٠) مليون آدمي في الأرض من البيض والسمر والصفر والحمر والسود؛ هو: رئيس الكنيسة الإنكليكانية، ومجالسه النيابية تبحث في جلسات عديدة في قضية الخبز والخمر، هل يستحيلان بمجرَّد تقديس القسيس إلى جسد المسيح ودمه فعلًا دون أدنى شك، أم ذلك قبيل الرمز والتمثيل[1]؟ ولا يقال عنه: إنه (رجعي)، ولا يقال عن دولته

---

(١) لم يحدث التاريخ عن مسألة من مسائل إنكلترا الداخلية أخذت في الأهمية الدور الذي أخذته قضية: «الأفخاريستا»؛ وهي: قضية تحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح.
وأصل هذه العقيدة: ما رواه الإنجيل: من أن السيد المسيح -عليه السلام- قبل صعوده إلى السماء تعشى مع تلاميذه وودَّعهم، وبينما هو على المائدة تناول لقمة من الخبز، وقال: كلوا هذا هو جسدي، وشرب جرعة من الخمر وقال: اشربوا هو ذا دمي، فتكونت من هذه الكلمات في النصرانية عقيدة معناها: أن الخبز والخمر يستحيلان إلى جسد الرب تمامًا، وحقيقة لا مجازًا، ولما كان القسيس عندهم؛ هو: خليفة المسيح: كان لا بدّ له كلَّ يوم عند التقديس في الكنيسة: أن يتناول لقمة خبز، ويشرب رشفة من الخمر، وهو يتلفظ بنفس الكلمات التي تفوه بها السيد المسيح -عليه السلام- في أثناء عشائه مع الحواريين. فمتى =

= فعل ذلك تحول هذا الخبز وهذا الخمر إلى جسد الرب حقيقة لا مجازًا، ولذلك يوضع الخبز، ويسمونه: القربان في حُقٍّ[1] ثمين فوق المذبح من الكنيسة، ويسجدون له، وذلك باعتبار أن هذا القربان هو الإله نفسه، ويسمون وجود الإله فيه: «بالحضور الحقيقي» وبالإفرنسية، (Presence reelle)، وهذا من أعظم الأسرار المقدسة عندهم. وإذا أشرف المريض على الموت جاء القسيس، وتلقى منه الاعتراف بذنوبه، وناوله القربان، فقيل: إنه ذهب إلى الآخرة متزودًا الأسرار الإلهية.

وقد كانت هذه العقيدة هي عقيدة المسيحيين جميعًا، ولا تزال عقيدة أكثرهم إلى اليوم؛ إلا أنه لما جرى الاصلاح البروتستانتي تغير الاعتقاد عند أتباعه بقضية الحضور الحقيقي، وباستحالة الخبز والخمر اللذين يقدس عليهما القسيس إلى جسد الرب ودمه حقيقةً لا مجازًا.

وقال البروتستانتيون: إن هذا مجاز لا حقيقة، وأنه مجرد رمز وتذكر، وعدلوا عن وضع القربان فوق المذبح والسجود له؛ بإعتبار أنه هو الإله بذاته، وصاروا في كنائس البروتستانت يجعلون هذا القربان في تجويف خاص به من الحائط، ولكن الكنيسة الإنكليكانية؛ أي: الكنيسة العليا في إنكلترة لم يتفق رأيها في قضية القربان:

فحزب اليمين منها كان باقيًا على عقيدته الأصلية؛ وهي: أن الخبز والخمر يستحيلان بتقديس الكاهن إلى جسد الرب حقيقة لا مجازًا.

وحزب الوسط مع حزب اليسار كانا يقولان: إن كلمات السيد المسيح هذا لم تكن إلا رمزًا، وأنه لا يمكن أن يتحول الخبز والخمر تحت تقديس الكاهن إلى جسد الرب ودمه، واعتمدوا في رفض العقيدة الكاثوليكية على (كتاب الصلاة) الذي هو دستور الكنيسة الانكليكانية، وهو كتاب وضعه بروتستانتيو الإنكليز لمذهبهم يوم انشقوا عن الكنيسة الرومانية.

ولما كانت هذه المسألة مسألة خلافية بين اتباع الكنيسة الانكليكانية، وقد عمل فيها كلُّ فريق برأيه، وخيف فيها من انشقاق عام؛ أمرت الحكومة البريطانية بتأليف مجمع من الأساقفة تحت رئاسة إمامهم الأكبر: رئيس أساقفة كنتربري؛ لأجل التدقيق في هذه المشكلة وحلِّها، على أحد الوجهين. فانعقد المجمع وذلك منذ أربعين سنة، ولم يُوَفَّق إلى حلٍّ يرضي الفريقين، وأخيرًا ألحت الحكومة على هؤلاء الأساقفة بأن يبتوا في القضية؛ إن لم يكن بالإجماع؛ فبأكثرية الآراء، فحكموا بالأكثرية، وخالف في الحكم ستة من المطارين، وذلك بأن الخبز والخمر =

(أ) وعاء صغير ذو غطاء يتخذ من عاج، أو زجاج، أو غيرهما.

= والخمر يستحلان في قداس الكاهن إلى جسد المسيح ودمه، وعليه تجب عبادتهما والسجود لهما، ووضعهما في أعلى المذبح لا في كوة حائط الكنيسة.

بالاختصار: رجع أكثر المطارين في هذه المسألة إلى العقيدة البابوية، ولما كان القانون الأساسي لبريطانية العظمى يوجب أن يكون القول الفصل في جميع هذه القضايا الدينية لمجلس اللوردات ولمجلس العموم عملًا بكتاب الصلاة الذي هو مرجع الأمة الإنكليزية أحيل حكم المطارين هذا إلى مجلس اللوردات، وكانت للمناقشات فيه جلسات متعددة بلغت من اهتمام الملأ ما لم تبلغه المناقشات في أية مسألة.

وقيل: إن بعض اللوردات ممن بلغ بهم الكبر عتيًّا قد حملوا إلى المجلس على الأكف حتى لا يفوتهم سماع هذه المناقشات.

وأخيرًا أيّد مجلس اللوردات بالأكثرية قرار مجمع الأساقفة، ولم يكن ذلك كافيًا، إذا كان لا بد لإمضاء الحكم من مجلس الأمة الذي يقال له: مجلس العموم.

فلما جاءت القضية إلى مجلس الأمة نزع بأكثرية أعضائه عرق العصبية البروتستانتية، وكان في مقدمتهم ناظر الداخلية البريطانية؛ فنقضوا قرار مجلس اللوردات وحكم مجمع الأساقفة، وقرروا: أن الخبز والخمر لا يستحيلان بالبداهة إلى جسد السيد المسيح عليه السلام ودمه، وتوكأوا في ذلك على «كتاب الصلاة» الذي هو دستور الكنيسة الإنكليكانية الوحيد، ولم يوافقوا مجمع الأساقفة إلا على زيادة العبارات التي زادها في الدعاء لملك إنكلترا. وعلى أثر هذا القرار من مجلس العموم استعفى رئيس أساقفة كنتربري من منصبه.

وإنما أتينا على ذكر هذه الحادثة التي ليست موضوعنا مباشرة إثباتًا لأمرين:

أولهما: استمساك الأمة الانكليزية بمبادئها الدنيوية، وشدة اهتمامها بهذه المباحث مع أنها في طليعة الأمم الراقية بلا نزاع.

والثاني: تشدق من يقول: إن أوروبة نبذت الدين ظهريًّا، ومن يقول: إن أوروبة فصلت الدين عن السياسة، وأن هذا الفصل كان نجاحها، وأنه حري بالمسلمين أن ينهجوا نهجًا إن كانوا يريدون لأنفسهم رقيًّا كرقي الأوروبيين، وسلطانًا في الأرض كسلطانهم. فأين فصل الدين عن السياسة هنا؟!

وهذا «كتاب الصلاة» هو الذي اعتمد عليه مجلس العموم في نقض قرار مجلس اللوردات.

وأين فصل الدين عن السياسة، وأنت ترى أن مسألة دينية بحته تطرح في مجلس اللوردات ومجلس النواب، ويفصلان فيها؛ فإن لم تكن هذه المسألة دينية فما الديني إذًا؟ وإن لم يكن مجلسا الشيوخ والنواب مختصين بالسياسة فما المجالس التي تختص بالسياسة بعدها؟ =

العظمى: إنها (متأخرة)، أو: (مقهقرة)؛ (فإن كانت إنكلترة بعد هذا متقهقرة؛ فيا حبَّذا التقهقر).

ولماذا كانت القارة الأوروبية كلها مسيحية مفتخرة بمسيحيتها، تتباهى بذلك في كل فرصة، متحدة في هذا الأمر على ما بينها من عداوات ومنافسات، ولا ننبزها حتى بقولنا: (رجعية)، و(ارتجاعية).

والحال: أنَّ الديانةَ التي تدين بها أوروبة عمرها (١٩) قرنًا.

= فليتأمل القارىء المنصف مدى التضليل الذي يقوم به المضللون من المسلمين الجغرافيين: إما جهلًا وتعاميًا عن الحقيقة، وإما خدمة للاستعمار الأوروبي الذي ليس له غرض أعز من أن يأتي على بنيان الإسلام من القواعد (ش).

قال أبو أسامة الهلالي -عفا الله عنه-: النصارى يكذبون على الله، ويفترون على المسيح -عليه السلام-؛ بزعمهم: أنه إلاله، وأنه شرب الخمر... بينما نجد في كتبهم: التحذير من الخمر، وشربها، وإدمانها.

ففي «العهد القديم»: (أمثال ٢٣: ٢٩ -٣٥) يصفها بأنها أم الخبائث: «لمن المعاناة؟ لمن الويل والشقاء والمخاصمات والشكوى؟ لمن الجراح بلا سبب؟ ولمن احمرار العينيين؟ إنها لمدمني الخمر، الساعين وراء المسكر الممزوج. لا تنظر إلى الخمر إذا التهبت بالاحمرار، وتألقت في الكأس، وسالت سائغة؛ فإنها في آخرها تلسع كالحية، وتلدغ كالأفعوان، فتشاهد عيناك أمورًا غريبة، وقلبك يحدثك بأشياء ملتوية، فتكون مترنحًا كمن يضطجع في وسط عباب البحر، أو كراقد على قمة سارية! فتقول: ضربوني، ولكن لم أتوجع، لكموني فلم أشعر، فمتى استيقظ؟ سأذهب التمس شربها مرة أخرى».

وفي (العهد الجديد» تحذيرات من الخمر:

في (أفسس ٥: ١٨): «لا تسكروا بالخمر؛ ففيها الخلاعة، وإنما امتلئوا بالروح».

وفي (بطرس ٤: ٣): «كفاكم الزمان الماضي من حيلتكم؛ لتكونوا قد سلكتم سلوك الوثنيين، حيث كنتم تعيشون في الدعارة والشهوات، وإدمان الخمر، وحفلات السكر».

وما يوجد في كتبهم من تناقض ظاهر في مسألة الخمر؛ إنما هو من تحريفهم لكتابهم، وكذبهم على الله، وعلى المسيح -عليه الصلاة والسلام-...؛ فإنه لا يوجد دين من عند الله يبيح الخمر ويدعو إلى السكر؛ فهي أم الخبائث!

وهذا العهد يصح أن يُقال عنه: قديم (وقديم جدًّا)، وهؤلاء اليهود مهما ننكر عليهم من الفضائل؛ فلا نقدر إن ننكر عليهم المقدرةَ والذكاءَ والحسَّ العملي، والجد الهائل، لا يزالون يفخرون بتوراة وجدت منذ آلاف السنين، ويشاركهم فيها المسيحيون.

ولماذا نرى أعظم شبان اليهود رقيًّا عصريًّا يجاهدون في إحياء اللغة العبرية التي لا يعرف مبدأ تاريخها؛ لتوغلها في القدم، ولا يُقال عنهم: إنهم رجعيون، ومتأخرون، وقهقريون؟

وقد نشر (وايزمان) رئيس الجمعية الصهيونية حديثًا في جريدة (الماتن) كان من أهم ما فخر به وأدلى به كمأثرة ينبغي أن تذكرها لهم الإنسانية؛ هو: «أن فلسطين الحديثة تتكلم اليوم بأجمعها بلغة الأنبياء»؛ يريد بفلسطين الحديثة: فلسطين اليهودية التي نشر الصهيونيون فيها اللغة العبرانية القديمة، وأجبروا نشئهم الجديد على أن يتحدثوا بها؛ لتكون اللغة الجامعة لليهود[1].

---

(١) ستبقى فلسطين المسلمةُ مسلمةً، وإن اغتصبها يهود، وتواطأ معهم (مسلمون جغرافيون)!. وساسة اليهود المعاصرون وزعماؤهم الذين يحكمون: يَعْتَرِفُون بِذَلِكَ ويَعْرِفُونَهُ؛ كما يعرفون أبناءهم؛ فهم يقرون: بأنه سيأتي جيل مسلم رباني في يوم ما سيُحرر فلسطين من شرّهم، ويرفع عن المسجد الأقصى نير استعمارهم، ولكنهم يدركون تمام الإدراك: أن (المسلمين الجغرافيين) ليسوا من ذلك الجيل الرباني في نفير ولا قطمير، ولذلك فهم يسعون جادِّين، ويعلمون كادِّين على الفصل التام بين (المسلمين الجغرافيين) وإسلامهم المنزل محمد ﷺ، ونقله أصحابه الكرام ﷺ.
حدثني ابن عمي وصديقي الدكتور حسن الهلالي -وفقه الله لمراضيه- أثناء زيارتي لفلسطين المحتلة للمشاركة في مؤتمر بيت المقدس الإسلامي الدولي الثالث: «إشكالية العلاقة بين الدين والسياسة»، والذي عقد في مدينة رام الله بأكناف بيت المقدس (٢٧ و٢٨/ رجب الفرد / سنة ١٤٣٣هـ = الموافق ١٧ و١٨ / حزيران / ٢٠١٢م).
قال: أخبرني عبد الوهاب دراوشة -مؤسس الحزب الديمقراطي العربي في فلسطين =

= المحتلة-: أنه قاد مظاهرة إلى بيت رئيس وزراء اليهود شارون للمطالبة بمسجد استولى عليه اليهود، ومنعوا المسلمين من الصلاة فيه، فخرج إليهم شارون، وقال: اسمع يا دراوشة: إن هذه الأرض هي أرض إسرائيل! فقال له دراوشة: إن هذه أرض آبائنا وأجدادنا وجدنا عليها منذ مئات السنين! قال شارون: هي أرضنا ما دمنا نحكمها!!! ولكني أعرف: أنه سيأتي مسلمون يذبحون اليهود حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي تعال فاقتله، لكن يا دراوشة يومها سيكون اليهود مثلكم ضعفاء، وتكونون أنتم مثلنا أقوياء؛ لكن لن يتم ذلك وأنا وأنت من الأحياء!!

وهذا أمر معلوم بالضرورة عند يهود؛ ففي (٢٩/ ٤/ ٢٠٠٨م) أكد ثلاثة حاخامات يهود؛ وهم: (أهارون كوهين) و(إسرائيل دوفيد) و(ودوفد شلومو فيلدمان)، والذي يمثلون حركة (نوتورا كارتي - اليهود ضد الصهيونية) التي تأسست عام (١٩٣٥م)، ويسمون أنفسهم: (اليهود الربانيون)... أكد هؤلاء الحاخامات أثناء زيارتهم للدوحة عاصمة قطر(!) بدعوة من قناة الجزيرة(!!): أن دولة إسرائيل ستزول؛ مستندين إلى حقائق من التوراة، وشواهد من التاريخ.

يقول (يزرائيل ووفير وايس) -المتحدث الرسمي لحركة نوتورا كارتي-: «نحن ندعو حتمًا بالتأكيد لإزالة دولة إسرائيل بالكامل، وليس كما قالت اتفاقية أوسلو أو غيرها من الاتفاقيات التي تقول: إنه يجب أن يكون هناك دولتان؛ لأننا نحن نعمل بموجب التوراة.. إن دولة إسرائيل سوف تنتهي لا محالة؛ لأنها ضد الله.. الله لا يريد إسرائيل».

ويقول (دانيال) في سفره الشهير (٨: ٣-٢٦) بعد تأويل رؤيا طويلة تقوم عليها نبوءته بانتهاء دولة اليهود نهاية شنيعة: «.. سمعت قدوسًا واحدًا يتكلم، فقال قدوس واحد لفلان المتكلم إلى متى الرؤيا من جهة المحرقة الدائمة، ومعصية الخراب؛ لبذل القدس والجند مدوسين؟ فقال لي: إلى ألفين وثلاثمائة صباح ومساء، فيتبرأ القدس».

وله رؤيا مشهورة تؤكد نهايتهم بدقة هي: «رؤيا الأسابيع» (٩: ٢٤-٢٧) فيها يقول الملك له: «سبعون أسبوعًا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية، وتتميم الخطايا والكفارة والإثم، وليؤتى بالبر، ولختم الرؤيا والنبوة، ولمسح قدوس القديسين، فاعلم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع وإثنان وستون أسبوعًا.. وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس، وانتهاؤه بغمارة، وإلى النهاية حرب وخرب قضى بها، ويثبت عهدًا مع كثيرين في أسبوع، وفي وسط الأسبوع يبطل =

ومن الذي فعل هذا؟

الجواب: هم اليهود العصريون الذين هم أشد الناس أخذًا بمبادىء العلم الحديث، والحضارة العصرية.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وماذا عساني أحصي من هذه الأماثيل والعبر في رسالة وجيزة كهذه؟

= الذبيحة والتقدمة، وعلى جناح الأرجاس مخرب حتى يتم ويصب القضاء على المخرب».

بل إن كتبهم تتحدث عن جهاد المسلمين ضدهم؛ ففي «سفر يونيل» (٤: ٩-١١): «أعلنوا حربًا مقدسة، وانهضوا الأبطال، وليتقدم رجال القتال وصعدوا، أطرقوا محاريثهم سيوفًا، ومناجلكم رماحًا، وليقل الضعيف: إني بطل، أسرعوا وهلموا يا جميع الأمم من كل ناحية، واجتمعوا هناك».

ويخيفهم «سفر آرمياء» (٦: ٢٢ و٢٣) من جيش المسلمين: «هو ذا شعب مقبل من أرض الشمال، وأمة عظيمة ناهضة من أقاصي الأرض، قابضون على القوس، قساة لا يرحمون، صوتهم كهدير البحر، وعلى الخيل راكبون، مصطفون كرجل واحد للمعركة ضدك يا بنت صهيون».

ويتحدث «سفر عاموس» (٨: ٢ و٣) عن نهايتهم المرعبة: «قد أتت النهاية لشعبي إسرائيل، فلا أعود أعفو عنه، فتصير أغاني القصر ولوالًا، في ذلك اليوم يقول السيد الرب، وتكثر الجثث، وتلقى في كل مكان بصمت».

ونحن نصدق بذلك؛ فرسول الله ﷺ حدثنا بذلك:

أخرج البخاري (٢٩٢٦)، ومسلم (٢٩٢٢) واللفظ له: عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبىء اليهودي وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله، هذه يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود**».

وأخرج البخاري (٢٩٢٥)، ومسلم (٢٩٢١) واللفظ له: عن عبد الله بن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لتقاتلن اليهود، فلتقتلنهم حتى يقول الحجر: يا مسلم، هذا يهودي، فتعال فاقتله**».

وانظر -تفضلًا- كتابي: «بصائر ذوي الشرف» (ص١٥١، وما بعدها).

كل قوم يعتصمون بدينهم، ومقومات ملتهم، ومُشخِّصات قومهم الموروثة، ولا ينبزون بهذه الألقاب إلا المسلمين!

فإنه إذا دعاهم داع إلى الاستمساك بقرآنهم، وعقيدتهم، ومقوماتهم، ومشخصاتهم، وباللسان العربي وآدابه، والحياة الشرقية ومناحيها: قامت قيامة الذين في قلوبهم مرض... وصاحوا: لتسقط الرجعية، وقالوا: كيف تريدون الرقي وأنتم متمسكون بأوضاع بالية باقية من القرون الوسطى، ونحن في عصر جديد[1]؟

---

(١) كما تثرثر بذلك الأحزاب القومية والاشتراكية التي ترتوي من النبع الشيوعي الذي هو صنيعة يهودية صهيونية؛ لأن الماركسية لا يجوز فصلها عن كونها فكرة يهودية قصد من ورائها (كارل موردخاي = ماركس) واليهودية العالمية السيطرة على العالم، عن طريق عقيدة كفرية هدامة، تحارب الدين والأخلاق والقيم، تحت راية العلم والموضوعية والحتمية التاريخية.

وهذا ما تؤكده أصح الروايات، وأوثق الدراسات: أن الصهيونية مؤامرة شيوعية، والشيوعية مؤامرة يهودية، ولا ريب أن (كارل ماركس) حين قدم نظريته أراد التمويه والخداع؛ بأنه لا صلة له بالصهيونية أو اليهودية جملة، ولا ريب أن الشيوعية تعمل لتحقيق الهدف الصهيوني الأخير؛ هو: السيطرة على العالم، وأن تعاليم (كارل ماركس) و(فردريك)، و(لينين)، و(ستالين) لا تختلف عن تعليمات بروتوكولات بني صهيون، بل إن الألفاظ والعبارات والمفاهيم التي صيغت بها كل من الشيوعية والصهيونية متشابهة متماثلة[أ].

ومما يؤكد أن اليهود حققوا بغيتهم في روسيا حيث فصلوا أوربا الغربية عن روسيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وحفروا هوة كبيرة بينهما، حفرتها كراهية اليهود وحافظت عليها، بواسطة سلطة اليهود العالمية والتي تعد من أكثر الأشياء قوة في التضليل و الخداع، وأصبح اليهود يسيطرون على كل شيء، فهم يسيطرون على أكثر من (٩٠٪) من الوظائف المهمة في روسيا، وهذا ما يؤكده دعاء (لينين) في أيامه الأخيرة - وهو يزحف على أربع في حجرة يصرخ قائلًا: اللهم أنقذ روسيا، واقتل اليهود !![ب]. =

(أ) المرجع نفسه (ص٢٣٧).

(ب) «حكومة العالم الخفية» (ص١٤٩-١٥١).

= وبرهان تغوّل اليهودية العالمية في روسيا، وتغلغلها في مفاصلها: أن الاتحاد السوفيتي كان أول دولة تعترف بدولة اليهود اللقيطة في فلسطين المسلمة السليبة؛ كما صرح بذلك (غورباتشوف) في «إعادة البناء»؛ حيث قال: «الغرب يتهموننا بأنا متحيزون مع العرب ضد إسرائيل؛ ونحن أول دولة اعترفت بإسرائيل».

وقد اعترفت الصهيونية العالمية بأن النظام الشيوعي أكبر عون لدولة اليهود في فلسطين:

قال (دافيد ها كوهين): «كلما ارتفعت أسهم السوفييت، وعقيدتهم الاشتراكية، وسياستهم في المنطقة العربية؛ ازدادت إسرائيل سلامًا، ورسوخًا في المنطقة»[أ].

وقال (يعقوب ريفيتين): «سياسة السوفييت في الشرق العربي عظيمة الفائدة والنفع لنا، وستظهر ثمارها على أطيب شكل، وأعظم المواقف لصالح إسرائيل»[ب].

وقال (شالوم اسش): «إن تعرض الحكم السوفييتي لأية هزة؛ يعني: فناء اليهود»[ت].

وقال (يشوعا أريلي): «إن السوفييت أشد حرصًا من أي قوة في العالم على صيانة إسرائيل التي تعتبر نموذجًا بديعًا للتجربة الاشتراكية؛ والشعب اليهودي لا يمكن أن يخاصم زعيمة الماركسية»[ث].

وقد يعارضنا من لا بصيرة عنده بما يراه من تصريحات عدائية تطلقها الحركات الاشتراكية والأحزاب الشيوعية وبخاصة في العالم العربي.

وردنا عليهم: أنهم غابت عنهم الحقيقة كاملة؛ فأظهروا شيئًا وأخفوا أشياء، فإن هذه تصريحات إعلامية مفبركة، وهذا العداء مع الصهيونية مصطنع باعترافهم الذي هو سيّد الأدلة:

«وأن التصريحات العدائية، التي تصدر عن الألسنة الاشتراكية العربية، ليست سوى تكتيك دعاوى وتبجح (شوفونيوم)، مرجعه كون الوسط العربي غير الاشتراكي، لا يزال قوميًا في فلسفته، وفي معاشه، وفي تصرفاته. وكل ذلك سيزول كلما تعمقت الاشتراكية العربية قوة في المنطقة، وكلما تعمقت الجماهير العربية في فهم الاشتراكية...»[ج]. =

(أ) «اليهود» لزهدي الفاتح، (ص١٣١).

(ب) المصدر السابق (ص١٣١).

(ت) المرجع السابق نفسه (ص١٢٩).

(ث) المرجع نفسه (ص١٢٩).

(ج) «موسكو وإسرائيل»، (ص٤٥٦)، عن جريدة (كول عاهام) اليهودية في (١٢/ ١٢/ ١٩٦٥م).

جميع هؤلاء الخلائق تعلَّموا وتقدَّموا، وترقوا، وعَلَوا، وطاروا في السماء:

والمسيحي منهم باق على إنجيله وتقاليده الكَنَسِيَّة.

واليهودي باق على وثنه وأرزه المقدس.

وكل حزب منهم فرح بما لديه.

وهذا المسلم المسكين يستحيل أن يترقَّى إلا إذا رمى بقرآنه، وعقيدته، ومآخذه، ومتاركه، ومنازعه، ومشاربه، ولباسه، وفراشه، وطعامه، وشرابه، وأدبه، وطربه، وغير ذلك، وانفصل من كل تاريخه؛ فإن لم يفعل ذلك؛ فلا حظ له في الرقي؟!

= ومن اعترافات الحزب الشيوعي الإسرائيلي: «أن التصريحات المعادية لإسرائيل والوعيد بالقضاء عليها، تصريحات لابد للاشتراكية العربية أن تدلي بها بين آن وآخر، لتحتفظ لنفسها بالمركز القيادي في السياسة العربية، وبذلك تضمن المضي في التحويل الاشتراكي لكل الساحة العربية. وهذا التحويل الاشتراكي هو السبيل الوحيد للتعايش السلمي بين العرب وإسرائيل»[أ].

ويؤكده ما جاء في بروتوكولات بني صهيون:

جاء في البروتوكول التاسع ما يأتي:

«وحين تقف حكومة من الحكومات موقف المعارضة لنا في الوقت الحاضر، فإنما ذلك أمر صوري متخذ بكامل معرفتنا ورضانا، كما أننا محتاجون إلى انفجاراتهم المعادية للسامية».

وجاء في البروتوكول الثاني عشر:

«فإن الصحف الدورية التي ننشرها سنظهرها كأنها معارضة لنظراتنا وآرائنا، فتوحي بذلك الثقة إلى القراء، وتعرض منظرًا جذابًا لأعدائنا الذين لا يرتابون فينا، وسيقعون بذلك في شركنا»[ب].

(أ) «موسكو وإسرائيل» (ص٤٥٥).

(ب) ومن شاء التوسع في هذه المسألة فلينظر: «التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية» لنهاد الغادري، و«موسكو وإسرائيل» للدكتور عمر حليق، و«دور الدول الاشتراكية في تكوين إسرائيل» للدكتور إبراهيم الشريقي.

فهذا ما كان من ضرر الجاحد الذي يقصد السوء بالإسلام بالشرق أجمع، ويخدع السذج بأقاويله.

غوائل الجامدين في الإسلام والمسلمين

وبقي علينا المسلم الجامد: الذي ليس بأخفَّ ضررًا من الجاحد، وإن كان لا يشركه في الخبث وسوء النية، وإنما يعمل ما يعمله عن جهل وتعصب.

فالجامد؛ هو: الذي مَهَّدَ لأعداء المدنية الإسلامية الطريق لمحاربة هذه المدنية؛ محتجين: بأنَّ التأخر الذي عليه العالم الإسلامي: إنما هو ثمرة تعاليمه.

والجامد؛ هو: سبب الفقر الذي ابتُلي به المسلمون؛ لأنه جعل الإسلام دين آخرة فقط.

والحال: أنَّ الإسلامَ هو دين دنيا وآخرة، وإن هذه مزية له على سائر الأديان.

فلا حصر كسبٍ فيما يعود للحياة التي وراء هذه كما هي ديانات أهل الهند والصين.

ولا زهده في مال الدنيا وملكها ومجدها كتعاليم الإنجيل.

ولا حصر سعيه في أمور هذه المعيشة الدنيوية كما هي مدنية أوروبة الحاضرة.

والجامد؛ هو: الذي شهر الحرب على العلوم الطبيعية، والرياضية، والفلسفية، وفنونها، وصناعتها؛ بحجَّة: أنها من علوم الكفار؛ فحَرَمَ الإسلام ثمرات هذه العلوم، وأورث أبناءَه الفقر الذي هم فيه، وقصَّ أجنحتهم؛ فإن العلوم الطبيعية؛

هي: العلوم الباحثة في الأرض، والأرض لا تخرج أفلاذها إلا لمن يبحث[1]، فإن كنا طول العمر لا نتكلم إلا فيما هو عائد للآخرة؛ قالت لنا الأرض: اذهبوا توًّا إلى الآخرة؛ فليس لكم نصيب مني.

ثم إننا بحصر كلّ مجهوداتنا في هذه العلوم الدينية، والمحاضرات الأخروية: جعلنا أنفسنا بمركزٍ ضعيف بإزاء سائر الأمم التي توجهت إلى الأرض، وهؤلاء لم يزالوا يعلون في الأرض، ونحن ننحط في الأرض، إلى أن صار الأمرُ كلُّه في يَدِهم، وصاروا يقدرون أن يأفكونا[2] عن نفس ديننا؛ فضلًا عن أن يملكوا علينا دنيانا، ومن ليست له دنيا؛ فليس له دين، وليس هذا الذي يريده الله بنا، وهو الذي قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [النور: ٥٥].

وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩].

وقال: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وقال فيما حكاه، وأقرّه: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

وعلَّمنا أن ندعوه بقوله: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١].

والمسلم الجامد لا يدري أنَّه بهذا المشرب يسعى في بوار[3] مِلَّتِه، وحَطِّها عن درجة الأمم الأخرى، ولا يتنبه لشيء من المصائب التي جرها على قومه إهمالهم العلوم

---

(١) كان جدي الأدبي -رحمه الله تعالى- يقول: إن جار عليك الزمان؛ فعليك أن تجور على الأرض؛ أي: تلح وتجتهد في استخراج خيراتها (ر).

(٢) يصرفونا.

(٣) هلاك.

الكونية حتى أصبحوا بهذا الفقر الذي هم فيه، وصاروا عيالا[1] على أعدائهم، الذين لا يرقبون فيهم إلا[2]، ولا ذِمَّةً[3]؛ فهو إذا نظر إلى هذه الحالة علَّلها[4] بالقضاء والقدر بادىء الرأي[5]، وهذا شأن جميع الكسالى في الدنيا يحيلون على الأقدار.

هذا الخُلُق؛ هو: الذي حبب الكسل إلى كثير من المسلمين؛ فنجمت فئة يُلَقَّبون: «بالدراويش»[6]، ليس لهم شغل ولا عمل، وليسوا في الواقع إلا أعضاء مشلولة في جسم المجتمع الإسلامي.

وهذا الخُلُق بعينه هو الذي جعل الإفرنج يقولون: إن الإسلام جبري لا يأمر بالعمل؛ لأنَّ ما هو كائن هو كائن، عمل المخلوق أم لم يعمل.

❁ ❁ ❁

(١) عبئًا.

(٢) رحمة.

(٣) عهد.

(٤) سوَّغها.

(٥) أول الأمر.

(٦) هم زهاد المتصوفة الذين يعيشون على التسول وإحسان الآخرين، وهذا عندهم أول درجات الترقي في الصوفية.
ومن الفرق الصوفية التي اعتمدت الدروشة: القادرية، والرفاعية، والمولوية البكداشية، والسنوسية.
والدروشة بدعة ضلالة، وطريق غواية؛ لأنها مبنية على طقوس وثنية، وأحوال شيطانية.

آيات العمل المبطلة لتفسير القدر بالجبر والكسل

ولا شيء أدلَّ على فساد هذا الزعم الإفرنجي: من القرآن الملآن بالحثِّ على العمل، وباستنهاض الهمم، وابتعاث العزائم، ونوَّط[1] الثواب والعقاب، والفوز والفشل بالعمل الذي يعمله المكلف.

قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة:١٠٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ [يونس:٤١].

وقال تعالى: ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة: ٩٤].

وقال تعالى: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ [القصص:٥٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد:٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد:٣٥]؛ أي: لا ينقصكم أعمالكم.

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ [الحجرات:١٤].

﴿لَا يَلِتْكُم﴾: من لاته يليته، أو: ولته يلته؛ بمعنى: نقصه؛ أي: لا يبخسكم من أعمالكم شيئًا.

وقال تعالى: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود:١٥].

---

(١) علَّق.

وقال -عز وجل-: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [هود:١١١].

وقال -عز وجل-: ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأحقاف:١٩].

وقال -عز وجل-: ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم﴾ [آل عمران:١٩٥].

وقال -عز وجل-: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر:٧٤].

وقال -عز وجل-: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر:١٠].

وقال -عز وجل-: ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ [النحل:١١١].

وقال -عز وجل-: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

وقال -عز وجل-: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران:٣٠].

وقال -عز وجل-: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر:٧٠].

وقال -عز وجل-: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ [النحل:٣٤].

وقال -تبارك وتعالى-: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف:٤٩].

وقال -تبارك وتعالى-: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ [الروم:٤١].

وقال -تعالى-: ﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾ [سبأ:٣٧].

وقال -تعالى-: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأحقاف:١٩].

وقال -تعالى-: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧-٨].

وقال -تعالى-: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

وقال -تعالى-: ﴿جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧].

وقال -تعالى-: ﴿وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت:٥٥]..

إلى غير ذلك مما لا يكاد يُحصى من الآيات التي امتلأ بها القرآن، ومنها ما هو نصٌّ في مسألتنا هذه؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى:٣٠].

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥].

إنَّ صاحب السؤال يعلم وأكثر المسلمين لا يعلمون: أن هذه الآية خاطب الله تعالى بها أكمل هذه الأمة إيمانًا وإسلامًا؛ وهم: أصحاب رسول الله ﷺ[1] إذ تعجبوا من ظهور المشركين عليهم في غزوة أُحد، فردَّ الله عليهم ببيان السبب؛ وهو: مخالفتهم أمره ﷺ للرماة الذين يحمون ظهور المقاتلة بألا يبرحوا أماكنهم، سواء كان الغلب للمسلمين أو عليهم، فلما انهزم المشركون خالفوا الأمر لمشاركة المقاتلين في الغنيمة، فَكَرَّ عليهم المشركون حتى شُجَّ رأسُ النبي ﷺ... إلخ[2].

وكلها ناطقة بأنَّ الإسلام؛ هو: دين العمل لا دين الكسل، ولا هو دين الاتكال على القدر المجهول للبشر؛ كما يقول الدراويش البطالون:

---

(١) وهذا برهان آخر على أن المصنف رحمه الله على مذهب أهل السنة والجماعة.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٠٧ و٢٠٨) -وعنه أبو داود (٢٦٩٠)-، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٩٦٣٢ و١٨٥٣١)، وأبو عوانة (٦٦٩٥) بإسناد صحيح على شرط مسلم.

رِزْقُنا على الله، عملنا أم لم نعمل! كما يزين للناس بعض مؤلفي الإفرنج: من أن دين الإسلام دين جمود وتفويض وتسليم، وأن تأخر المسلمين إنما نشأ عن ذلك، ولو كان في هذه الدعوى ذرة ما من الصحة لما نهض الصحابة -أَخْبَرُ الناس بالإسلام[1]-، وفتحوا نصف كرة الأرض في خمسين سنة، ولكن التسليم الذي يتكلمون عليه ويهرفون[2] فيه بما لا يعرفون؛ إنما هو مقرون بالعمل، وبالكدح، وبالسعي، وإلا فلا يسمى: تسليمًا، بل يُسمَّى: جمودًا، ويُعَدُّ بطالةً، وهو مخالف للقرآن والسنة[3].

---

(١) وهذا مثال آخر على أن المصنف رحمه الله سني المعتقد، وليس درزيًّا.. فهل الدرزي يصف الصحابة ﷺ بأنهم أعلم الناس بالإسلام، مما يقتضي حجية منهجهم، وخيرية فهمهم، كما قال رسول الله ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم..» الحديث.
أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٢) يَهْذُون.

(٣) كيف يكون التفويض الذي لا يقوم على العمل والأخذ بالأسباب من الإسلام؟! ورسول الله ﷺ يقول: «إن قامت الساعة، وفي يد أحدكم فسيلة؛ فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها؛ فليغرسها».
أخرجه أحمد (٣/ ١٨٣ و١٨٤ و١٩١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٧٩) بإسناد صحيح على شرط مسلم من حديث أنس.
والفسيلة: هي النخلة الصغيرة (الودية).
قال شيخنا الأمام الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١/ ٣٨): «ولا أدل على الحض على الاستثمار في هذه الأحاديث الكريمة. ولاسيما الحديث الأخير منها؛ فإن فيه: ترغيبًا على اغتنام آخر فرصة في الحياة في سبيل زرع ما ينتفع الناس به بعد موته، فيجرى له أجره، وتكتب له صدقته إلى يوم القيامة»، ثم ساق آثارًا عن السلف فيها تطبيق عملي لهذا الحديث.

وأما إذا كان التسليم لله مقرونًا بالعمل؛ فإنه أنفع في الدنيا والآخرة؛ لأن إفراط المرء في الاعتماد على نفسه يورطه في البطر إذا نجح، وفي الجزع إذا فشل.

والذي يريده الإسلام إنما أن يعقل الإنسان ويتوكل[1]، وأن يدبر لنفسه بهداية عقله الذي جعله الله مرشدًا، ويعلم مع ذلك: أن ليس كل الأمر بيده، وأن من الأقدار ما لا تدركه الأفكار. وهذا صحيح.

ولما ذكر النبي ﷺ القَدَر سأله بعض أصحابه: ألا نتَّكل؟ فقال: «**اعملوا؛ فكلٌّ مُيسَّر لما خُلق له**». رواه البخاري ومسلم[2].

ومن أغرب الغرائب: أنَّ هؤلاء الإفرنج الذين لا يفتأون ينعتون الإسلام بالجبرية، وينسبون تأخر المسلمين إلى هذه العقيدة -التي يقول بها فئة قليلة من المسلمين- يذهلون عما ورد في الإنجيل من آيات القضاء والقدر التي تماثل ما في القرآن، وقد تزيد عليه مثل قوله: لا تسقط شعرة من رؤوسكم إلا بإذن أبيكم السماوي[3].

---

(١) في قوله يعقل هنا تورية لاحتماله معنيين:
ظاهرهما: تحكيم إدراك العقل في الأمور مع التوكل على الله.
والثاني: عقل الناقة؛ المراد به: الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله؛ إذ فيه إشارة إلى حديث الأعرابي المشهور بين الناس حتى صار مثلًا: «اعقلها وتوكل»، وفي رواية: «قيدها وتوكل»؛ يعني: ناقته؛ فلم يأذن له إن يتركها توكلًا على الله تعالى (ر).
قال أبو أسامة الهلالي -عفا الله عنه-: أخرجه الترمذي (٢٤٥٥ و٣٩٣٥)، وابن أبي الدنيا في «التوكل» (١١)، وأبو الشيخ في «أمثال الحديث» (٣٧)، والبيهقي في «الآداب» (٧٦٧)، و«الشعب» (١١٥٧) من حديث أنس؛ وهو: حديث حسن، وله شواهد عن عمرو بن أميَّة الضمري، وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
وأخرجه البخاري (٧٥٥١)، ومسلم (٢٦٤٩) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.
وأخرجه مسلم (٢٦٤٨) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

(٣) كما في إنجيل لوقا (٢١: ١٨)، وإنجيل متى (١٠: ٣٠).

ومثل آي كثيرة لو أردت إستقصاءها؛ لطال المقال.

ولا نجد في الإفرنج الذين هم مغرمون بالعمل، وهائمون وراء الكسب، ومنكرون للقضاء والقدر في الجملة؛ إلا من يقرأ الإنجيل الشريف[1]، ويُقَدِّسُه،

---

(١) هذا الوصف يصدق على الإنجيل المنزل من عند الله على عيسى ابن مريم -عليه الصلاة والسلام-.

وأما الأناجيل التي بين أيديهم؛ فلا شرف لها ولا كرامة؛ فهي: مُحَرَّفة ومزوَّرة؛ باعتراف أحبارهم، ومفكريهم، وقساوستهم:

١- جاء في «العهد الجديد - طبعة زيورخ الشعبية» (ص١٩): «أن بعض الناسخين قد قاموا عن عمد بإضافه بعض الكلمات والجمل، وآخرين قد استبعدوها، أو غيَّروها تمامًا».

٢- ولذلك قال إرنست فالترشميث في «فري كريستيانيرم» لعام (١٩٧٧م) (ص٣٩): «لا يوجد صفحة واحدة من صفحات الأناجيل المختلفة لا يحتوي نصها الأصلي على عديد من الاختلافات».

٣- مما دعا هيرونيموس: أن يكتب في خطابه إلى واما سوس يشكو له كثرة الاختلافات والتحريفات في المخطوطات اليدوية، وقد ذكرها نستل ودوبشوش وفي كتابيهما: «اختلافات مربكة في النصوص» (ص٤٢) وفي (ص٣٨) قالا: «إن علماء اللاهوت اليوم يثبتون الرأي القائل: إن الكتاب المقدس قد وصلت إلينا أجزاء قليلة منه فقط غير محرفة».

ولذلك؛ فعلماؤهم مثل بولشر يعترف بمائة ألف تحريف أو تزيد.

وهذا الأناجيل متناقضة فيما بينها، وفيها اختلاف كبير في نصوصها؛ ففي دائرة المعارف البريطانية: «إن مقتبسات آباء الكنيسة من العهد الجديد، والتي تغطي كله تقريبًا يظهر أكثر من مائه وخمسين ألف من الاختلافات بين النصوص».

وهذه الاختلافات في كل الجوانب: العقدية، والأخلاقية، والدنيوية.

وانظر «حقيقة الكتاب المقدس» للدكتور روبرت كبل تسلر؛ بإشراف جان شورر، تر عجبًا في هذا الباب.

وكان الدكتور روبرت قد أعد لمطبعة «تسفنجلي» مذكرة علمية لتتم طباعتها مع العهد الجديد، ثم منع من طبعها، ولما سئل عن السبب؟ قال: «إن هذه المذكرة ستفقد الشعب إيمانه بهذا الكتاب!».

ومما يساعد في تجلية هذه الحقائق، وإثباتها بالبراهين العلمية، والبحوث الأكاديمية: «دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة» للدكتور موريس بوكاي.

ويعجب بمبادئه السامية؛ كما نعجب بها نحن.

فما بالهم نسوا ما فيه من آيات القضاء والقدر؟

وما بالهم لم يصفوا أقوال المسيح -صلوات الله عليه- بالجبرية؟

﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ [التوبة: ٣٧].

وحقيقة الأمر: أنَّ كلَّ ما هو واردٌ في الإنجيل، وكلَّ ما هو واردٌ في القرآن من آيات القضاء والقدر إنما كان مقصودًا به سبق علم الله بكلِّ شيء يقع[1]، ولم يكن مقصودًا به نفي الاختيار والتزهيد في الكسب.

وفي حديث الوزنتين والوزنات[2] وغير ذلك من مواعظ الإنجيل الشريف ما يدلُّ على ما عزاه القرآن الكريم إلى صُحف إبراهيم وموسى؛ أي: وغيرهما من رسل الله.

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ [النجم: ٣٨-٤١].

❁ ❁ ❁

---

(١) هذا التفسير قول لبعض المتكلمين؛ وهو: أن تعلق علم الله بوجود المخلوقات في الأزل؛ هو: القضاء، ورجوعها على وفق العلم؛ هو: القدر.

وقال بعضهم: إنه تعلق الإرادة... إلخ.

والتحقيق: أن القدر والمقدار؛ هو: النظام الذي جرت به سنن الله تعالى في التكوين والتدبير، والأسباب والمسببات؛ كما يفهم من نصوص الآيات؛ كقوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]، وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ الآية [المؤمنون: ١٨]، وقوله في نظام جعل النطفة في الرحم: ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [المرسلات: ٢٢]، وقوله: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٠]، وقد حققنا المسألة في «المنار»، و«التفسير» مرارًا (ر).

وانظر -لزومًا-: «شفاء التعليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» للإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله؛ فإنه نسيج وحده.

(٢) ورد في «إنجيل متى» (الإصحاح: ٢٥).

كون المسلمين الجامدين فتنة لأعداء الإسلام وحجة عليه[1]

ونعود إلى المسلم الجديد؛ فنقول: إنه هو الذي طَرَّقَ[2] لأعداء الإسلام على الإسلام، وأوجد لهم السبيل إلى القالة بحقِّه، حتى قالوا: إنَّه دينٌ لا يأتلف[3] مع الرقي العصري، وإنه دين حائل دون المدنية.

والحقيقة: أنَّ هؤلاء الجامدين هم الذين لا تأتلف عقائدُهم مع المدنية، وهم الذين يحولون دون الرقي العصري، والإسلام براء من جماداتهم هذه.

إنَّ الإسلام هو من أصله ثورة على القديم الفاسد، وَجَبٌّ[4] للماضي القبيح، وقطع كل العلائق مع غير الحقائق، فكيف يكون الإسلام ملة الجمود؟ والقرآن هو الذي جاء فيه من قصة إبراهيم -عليه السلام-:

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنبياء: ٥٢-٥٤].

---

(١) وممن ذهب إلى هذا القول علامة الجزائر عبد الحميد بن باديس رحمه الله؛ فقال: «لقد سيطرت الطرق الصوفية على الفكر الإسلامي والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر سيطرة مذهلة... فساد الظلام، وخيَّم الجمود، وكثرت البدع، واستسلم الناس للقدر... وهذه الظاهرة الاجتماعية أدت إلى تعطيل الفكر، وشلّ جميع الطاقات الاجتماعية الأخرى».
وقد أصدر من أجل محاربة ذلك جريدة: «المنتقد» عام (١٩٢٥م)، لكن الحكومة الفرنسية الاستعمارية أغلقتها بعد صدور (١٨) عددًا.

(٢) جعل لهم طريقًا، وسَهَّل لهم.

(٣) يتفق.

(٤) قطع.

وجاء فيه: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:٧١-٧٧].

وجاء فيه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ [الزخرف: ٢٣-٢٤].

وجاء فيه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وجاء فيه: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:١٤٢].

وغير ذلك من الآيات الداعية إلى الثورة على القديم إذا لم يكن صحيحًا، ولم يكن صالحًا[1].

على أنَّ الذين يفهمون الإسلامَ حقَّ الفهم يرحبون بكلِّ جديد لا يُعارض العقيدة، ولا تخشى منه مفسدة، ولا أظن شيئًا يفيد المجتمع الإسلامي يكون مخالفًا للدين المبني على إسعاد العباد.

---

(١) وأما الصالح؛ فالإسلام يبقيه، ويحافظ عليه، وينميه ويرعاه، ومما يدل على ذلك قوله ﷺ: «**إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق**»، وفي رواية: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**».
أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٨٩٥٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، والبزار في «المسند» (٨٩٤٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.
وإسناده صحيح.
ولذلك؛ فإن وصف الإسلام بأنه ثورة فيه مغالطة؛ لأن الثورة لا تبقي ولا تذر، وأما الإسلام فهو منهج إصلاحي؛ يلغي الفاسد، ويبقى الصالح؛ فتدبر.

أفلا ترى علماء نجد وهم أبعد المسلمين عن الإفرنج والتفرنج، وأنآهم[1] عن مراكز الاختراعات العصرية، كيف كان جوابهم عندما استفتاهم الملك عبد العزيز بن سعود -أيَّده الله- في قضية اللاسلكي، والتلفون، والسيارة الكهربائية؟

أجابوه: أنها محدثات نافعة مفيدة، وأنه ليس في كتاب الله، ولا سنة رسول الله، لا بالمنطوق ولا بالمفهوم ما يمنعها[2].

---

(١) أبعدهم.

(٢) ولما كان الشيء بالشيء يذكر؛ فإن كثيرًا من الباحثين؛ زعموا: أن شيخنا الإمام عبد العزيز ابن باز رحمه الله ينكر كروية الأرض، وادعوا أن له كتابًا في ذلك سمَّوه: «الباز المنقض على من قال بكروية الأرض»، وجعلوا ذلك عارًا وشنارًا على أهل السنة والجماعة.
وهذه فرية بلا مرية: يريدون تنفير الناس عن علماء أهل السنة والجماعة، وأنهم جامدون، ودونك البرهان على كذبهم والدليل على افترائهم:
١- علماء أهل السنة والجماعة يثبتون كروية الأرض، وقد نقل الإجماع على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «درء تعارض العقل مع النقل» (٦/ ٣٣٩)، و«مجموع الفتاوى» (٢٥/ ١٩٥)، وكذلك نقله الحافظان ابن قيم الجوزية وابن كثير.
٢- قال شيخنا ابن باز رحمه الله في «مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز» (٩/ ٢٢٨): «أما ما نشرته عني مجلة «السياسة» نقلًا عن البيان الذي كتبه كتَّاب وأدباء التجمع التقدمي في مصر: من إنكاري هبوط الإنسان على سطح القمر، وتكفير من قال بذلك، أو قال: إن الأرض كروية، أو تدور؛ فهو كذب بحت، لا أساس له من الصحة، وقد يكون الناقل لم يتعمد الكذب، ولكنه لم يتثبت في النقل... كما أني قد أثبت في المقال فيما نقلته عن العلامة ابن القيم رحمه الله ما يدل على إثبات كروية الأرض...».
وكذلك في (٣/ ١٥٦-١٥٩) ردَّ على الصحفي المصري أحمد بهاء الدين، ومجلة «المصور» -التي زعمت في عددها (٢١٦٦) بتاريخ (٢٥/ ٤/ ١٩٦٦): أن الشيخ ينكر كروية الأرض- ردًّا مفحمًا.
٣- وكذلك سمعت شيخنا ابن باز رحمه الله، وقد سئل الأرض كروية أم سطحية؛ فأجاب: «الأرض كروية عند أهل العلم؛ قد حكى ابن حزم وجماعة آخرون إجماع العلم على إنها كروية...».
٤- وممن عاب شيخنا بذلك ولمزه الروافض!! وهم الذين ينكرون كروية الأرض؛ فهذا =

أفليس الأدنى لمصلحة الأمة أن تقدر الدولة على معرفة أي حادث يحدث بمجرد وقوعه حتى تتلافى أمره؟

أفليس الأنفع للمسلمين أن يتمكن الحاج ببضع ساعات من اجتياز المسافات التي كانت تأخذ أيامًا ولياليَ؟

لقد سألت الشيخ محمد بن علي بن تركي[1] من العلماء النجديين الذين بمكة

= إمامهم الخميني في هذا العصر يقول في «تفسير القرآن الكريم» (٤/ ٣٩٧): و«... الأرض مبسوطة غير كروية بساطًا غير مستدير، وفراشًا على غير الأشكال السماوية».

٥- وإنما رجَّح شيخنا ابن باز رحمه الله عدم دوران الأرض؛ لكنه لم يكفر القائل بذلك ! مما يدل على أن عدم الدوران عنده غير مقطوع به.

وبالمناسبة؛ فشيخنا الإمام الألباني رحمه الله يُصرِّح بكروية الأرض ودورانها؛ كما سمعته منه في أكثر من مجلس.

(١) هو محمد بن علي بن منصور بن عبد الله بن تركي، من قبيلة بني خالد، ولد في عنيزة سنة (١٢٩٩هـ أو ١٣٠١هـ)، أخذ العلم عن كبار علماء بلاده، ورحل إلى الهند والعراق والشام ومصر وفلسطين، ودرَّس في المسجد الأقصى سنة (١٣٤٠هـ)؛ حيث جلس الشيخ أمين الحسيني مفتي الديار الفلسطينية في درسه يستمع له. وقال: إنه لم يجلس على هذا الكرسي بعد الشيخ محمد عبده أحسن من هذا الشيخ.

أقام الشيخ بالمدينة النبوية حيث أصبح أحد مدرسي المسجد النبوي الشريف؛ حيث كان يدرس «صحيح البخاري»، وكانت حلقته بجوار خوخة أبي بكر الصديق.

وكان الشيخ رحمه الله زاهدًا ورعًا متعففًا في الحق، آمرًا بالمعروف، ناهيًا المنكر، جريئًا في وعظ حكام زمانه، وله وقائع مشهورة مع الملك عبد العزيز رحمه الله يتداولها الناس؛ منها:

أنه دخل على الملك عبد العزيز رحمه الله وهو يلبس العقال العراقي العريض، وكان بجوار الملك الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ: فأنكر على الشيخ محمد لبس العقال، وقال: إنه ليس لباس العلماء مما جعل الملك يسأله: لماذا تلبس العقال يا ابن تركي مع أنه ليس لباس العلماء، فقال له الشيخ محمد: حتى أبين لك أن هذا العقال الذي على رأسي حلال، والذي على رأسك حرام؛ لأنه مُقَصَّب بالذهب!!

مرض رحمه الله في آخر سني عمره، ووافاه الأجل يوم الجمعة (٢٠/ ٦/ ١٣٨٠هـ)، وصُلِّيَ عليه بالمسجد النبوي، ودفن في البقيع.

عن رأيه في التلفون واللاسلكي؟ فقال لي: هذه مسألة مفروغ منها، وأمر جوازها شرعًا هو من الوضوح، بحيث لا يستحق الأخذ والرد.

ولم تكن مقاومة الجديد خاصة بجامدي الإسلام، فقد قاومت الكنيسة في النصرانية كلَّ جديد تقريبًا من قول أو عمل، ثم عادت فيما بعد فأجازته.

ولما قال «غاليله»[1] بدوران الأرض كفرته[2]، ولا يزال يوجد إلى اليوم من أحبار النصارى من يُكفِّر كل مخالف لما جاء في التوراة من كيفية التكوين، ومن سنتين حوكم أحد المعلمين في محاكم إحدى الولايات المتحدة لقوله بنظرية داروين[3]، ومنع

---

(١) عالم فلكي وفيزيائي إيطالي، ولد سنة (١٥٦٤م) في بيزا، وتوفي سنه (١٦٤٢م).

(٢) حاكمته الكنيسة سنة (١٦١٦ م)؛ ولكنها سنة (١٦٣٩م) وصفه البابا بيوش الثاني بأكثر (أبطال البحوث) شجاعة، وفي سنة (١٩٩٢م) اعتذر البابا يوحنا بولس الثاني عن الأخطاء التي ارتكبتها الكنيسة الكاثوليكية بحقه، وفي سنة (٢٠٠٨م) قام الفاتيكان بإتمام تصحيح أخطائه ضد جاليلو!

(٣) هو تشارلز روبرت داروين، عالم حيوان إنجليزي، اشتهر بنظرية التطور، ومبدأ الانتخاب الطبيعي حول نشأة الإنسان التي أعلنها سنة (١٨٥٩م) في كتابه: «أصل الأنواع».
ولد سنة (١٨٠٩م)، وتوفي سنة (١٨٨٢م).
تتلخص نظريته: أن أصل أنواع الكائنات الحية واحد، وأنها تتطور عن بعضها بعضًا، وأن الإنسان تطور عن القردة!
وهذه النظرية الافتراضية ليس لها نصيب في التاريخ ولا العلم ولا الدين، بل إن داروين بقي حائرًا فيما عرض بما سماه: (الحلقة المفقودة) التي تتوسط الانتقال من طبيعة القردة إلى لإنسان.
وقد رد عليها العلماء وفندوها، وبينوا أنها حديث خرافة.
ويمكن تلخيص موقف الإسلام منها في نقاط؛ منها:

من التدريس، ولكن هذا لا يمنع سير العلم في طريقه[1].

فالنصارى عندهم جامدون كما عندنا جامدون، والمسلم الجامد يحارب كلَّ علم

= ١- قوله: إن الطبيعة هي التي تخلق عشوائيًّا، وإن الإنسان ليس له خالق، يصادم قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر:٦٢].

٢- ادعاؤه: معرفة كيفية نشوء الحياة على الأرض؛ يرده قوله تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾ [الكهف:٥١].

ومن المجزوم به أن الإنسان خلق في أصل نشأته خلقًا مستقلًا مكتملًا: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ [البقرة:٣٠].

٣- قوله: إن البقاء للأقوى، وأن الكوارث سبب هلاك المخلوقات الضعيفة مصادم للحقيقة الكونية الشرعية بأن الموت يكون للأقوياء والضعفاء على حد سواء: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ﴾ [الرحمن:٢٦].

٤- قوله: إن أصل الإنسان يرجع إلى القردة يتنافى مع الأصل العظيم في تكريم بني آدم: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ [الإسراء:٧٠].

٥- ومما يبطل هذه النظرية من أصلها: أن الإنسان لو جاء نتيجة تطور كما يدعي داروين وأنصاره؛ لاستمرت عوامل التطور هذا حتى اليوم، وهذا مما لم نشاهده ولن نشاهده... إلا أن يمسخ الله أنصار هذه النظرية إلى قردة خاسئين!!

وقد أصبحت هذه النظرية في المجامع العلمية أثرًا بعد عين، وليس لها أدنى نصيب في العلم التجريبي الذي هدم أركانها، ونقض بنيانها.

وقد تكاثرت الردود عليها، وتوافرت أدلة هدمها.

ومما أذكره للتاريخ: أنني في بواكير الشباب عندما كنا ندرس العلوم في المرحلة الجامعية كتبت رسالة لطيفة سميتها: «**نقد نظرية داروين في ضوء الكتاب والسنة والعلم التجريبي**»، وأرسلتها لدار نشر سلفية في الكويت بعد اتفاق مع صاحبها.. فطال الأمد، ولم ينشرها، ولما راجعته بعد عدة سنوات أخبرني ﷺ أنه فقدها، ولم يدر أين ذهبت!!

فأقول وأنا أذكر هذا للتاريخ بعد خمس وثلاثين سنة: في الله خير عِوَض.

(١) وقد تألف في إنكلترا وأمريكة حزب ديني جديد، أو جمعية للدعوة إلى الإيمان بظواهر التوراة في الخلق والتكوين، وكل شيء من غير تأويل (راجع ص ٧٦٣ م ٣٠ المنار). (ر).

غير العلم الديني التقليدي الذي أَلِفَهُ، حتى إنه ليحارب من لا يعتد[1] في دينه إلا بالكتاب والسنة[2]، وينسى: أنَّ العلوم الطبيعية والرياضية والهندسة وجرَّ الأثقال والفلك والطب والكيمياء وطبقات الأرض، وكل علم يفيد الاجتماع البشري هي علوم دينية إن لم تكن مباشرة، فمن حيث النتيجة[3].

---

(١) يعترف.

(٢) انظر -لزومًا-: «هل المسلم ملزم باتباع مذهب من المذاهب الأربعة؟» للمعصومي، وقد حققتها، وهي مطبوعة متداولة.
وهذا برهان آخر على أن المصنف رحمه الله على مذهب أهل السنة والجماعة، ويعتمد في التلقي على الكتاب والسنة، ولا يرى المذهبية المتعصبة التي هي فتنة وبدعة.

(٣) أي: من باب قول العلماء: ما لم يتم الواجب المطلق إلا به؛ فهو واجب، وقد بيَّنَّا في تفسير ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠]: أن آلات القتال البرية والبحرية واجبة بنص هذه الآية؛ لأنها من القوة المستطاعة للمسلمين؛ كما هي مستطاعة لغيرهم، فليس وجوبها بقاعدة ما لا يتم الواجب إلا به؛ فهو واجب بل بنص القرآن، ودلالة المنطوق منه؛ فراجع تفسيرها في (ص ٦١ ج ١٠) من «تفسير المنار». (ر).

وكم جرى تدريس هذه العلوم في الأزهر، والأموي، والزيتونة، والقرويين، وقرطبة، وبغداد، وسمرقند وغيرها، عندما كان للإسلام دول كبار، وأعاظم رجال!

وكم نبغ في الإسلام من عظماء جمعوا بين الحكمة والشريعة، ونظموا بين الحديث والرياضة، وإن أكبر فيلسوف عربي اشتهر اسمه في أوروبة؛ هو: القاضي ابن رشد، وقد كان من أكابر الفقهاء[1].

❁ ❁ ❁

(١) ابن رشد؛ هو: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد، ولد في قرطبة سنه (٥٢٠ ه) من كبار علماء المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية في زمانه، ومن أشهر كتبه: «بداية المجتهد ونهاية المقتصد»، و«التحصيل»، و«وتهافت التهافت»، وكتبه الفلسفية والكلامية لها تأثير كبير على الغرب، فقد كانت تدرس في جامعة باريس، وظلت أفكاره مهيمنة على أوروبا حتى القرن السادس عشر الميلادي، حتى أن اسمه ورد في «الكوميديا الإلهية» لدانتي (الأنشودة: ١٤٢)، وتوفي سنة (٥٩٥هـ).

مدنية الإسلام

أما زعم من زعم: أن الإسلام لم يتمكن من تأسيس مدنية خاصة، والاستدلال على ذلك بحالته الحاضرة؛ فهو خرافة يُموِّه بها بعض أعداء الإسلام من الخارج، وبعض جاحديه من الداخل:

أما القسم الأول: فلأجل أن يصبغوا المسلمين بالصبغة الأوروبية.

وأما القسم الثاني: فلأجل أن يزرعوا في العالم الإسلامي بذور الإلحاد.

ونحن لا نُنكر تأثير الدين في المدنية؛ ولكننا لا نُسَلِّم بأنه يصحُّ أن يكون لها ميزانًا، وذلك لأنَّه كثيرًا ما يضعف تأثير الدين في الأمم؛ فتفلت من قيوده، وتفسد أخلاقها، وتنهار أوضاعها؛ فيكون فساد الأخلاق؛ هو: علَّة السقوط، ولا يكون الدين هو المسؤول، وكثيرًا ما تطرأ عوامل خارجية غير منتظرة؛ فتتغلب على ما أثلته[1] الشرائع من حضارة، وتزلزل أركانها، وقد تهدمها من بوانيها، ولا يكون من الشريعة نفسها، فتأخر المسلمين في القرون الأخيرة لم يكن من الشريعة؛ بل من الجهل بالشريعة ، أو كان من عدم إجراء أحكامها كما ينبغي.

ولما كانت الشريعةُ جاريةً على حقِّها: كان الإسلام عظيمًا عزيزًا.

وأي عظمة أعظم مما كان الإسلام في أيام عمر بن الخطاب مثلًا.

ومدنية الإسلام قضية لا تقبل المماحكة[2]، إذا ليس من أُمَّة في أوروبة سواء

---

(١) أصَّلته.

(٢) المنازعة.

الألمان أو الفرنسيس أو الإنكليز أو الطليان.. إلخ؛ إلا وعندهم تآليف[1] لا تحصى في (مدنية الإسلام)، فلو لم تكن للإسلام مدنية حقيقية سامية راقية مطبوعة بطابعه، مبنية على كتابه وسنته: ما كان علماء أوروبة حتى الذين عرفوا منهم بالتحامل على الإسلام يكثرون من ذكر المدنية الإسلامية، ومن سرد تواريخها[2]، ومن المقابلة بينها وبين غيرها من المدنيات، ومن تبيين الخصائص التي انفردت بها[3].

فالمدنية الإسلامية هي من المدنيات الشهيرة التي يزدان بها التاريخ العام، والتي تغص[4] سجلاته الخالدة بمآثرها الباهرة.

وقد بلغت بغداد في دور المنصور والرشيد والمأمون من احتفال العمارة، واستبحار الحضارة، وتناهي الترف والثروة، ما لم تبلغه مدينة قبلها ولا بعدها إلى هذا

---

(١) مؤلفات.

(٢) وقد ألف عصبة من الأوروبيين المستشرقين معلمة اسمها «إنسيكلوبيدية الإسلام»، وتحامل فيها بعضهم على الإسلام، وبخسوه من أشيائه، ولكنهم لم يقدروا أن يجحدوا انفراده بمدنية خاصة به. (ش)

(٣) قال جوستاف لوبون: «إن حضارة العرب المسلمين قد أدخلت الأمم الأوروبية الوحشية في عالم الإنسانية. فلقد كان العرب أساتذتنا، وإن جامعات الغرب لم تعرف لها موردًا سوى مؤلفات العرب، فهم الذين مدّنوا أوروبا مادة وعقلًا وأخلاقًا. والتاريخ لا يعرف أمة أنتجت ما انتجوه... إن أوروبا مدينة للعرب بحضارتها، وإن العرب هم أول من علّم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين...، ولقد كانت أخلاق المسلمين في أدوار الإسلام الأولى أرقى كثيرًا من أخلاق أمم الأرض قاطبة».
وانظر كتابه: «حضارة العرب»؛ فإنه من أعظم ما كتبه الغربيون عن حضارة الإسلام.
وكذلك ألفت زجريد هونكة كتابًا جليلًا؛ هو: «شمس العرب تسطع على الغرب» تناولت فيه تاريخ المسلمين، وتأثير حضارتهم وعلمائهم واختراعاتهم على المدنية الغربية، وكذلك ذكرت تأثر اللغات الأوروبية باللغة العربية.

(٤) تمتلىء.

العصر، حتى كان أهلها يبلغون مليونين ونصف مليون من السكان، وكانت البصرة في الدرجة الثانية عنها، وكان أهلها نحو نصف مليون.

وكانت دمشق والقاهرة وحلب وسمرقند وأصفهان وحواضر[1] أخرى كثيرة من بلاد الإسلام أمثلة تامة، وأقيسة بعيدة في استبحار العمران، وتطاول البنيان، ورفاهة السكان، وانتشار العلم والعرفان، وتأويل الفنون المتهدلة[2] الأفنان.

---

(١) عواصم.

(٢) المتدلية.

وكانت القيروان وفاس وتلمسان ومراكش في المغرب أعظم وأعلى من أن يطاولها مطاول، أو يناظرها مناظر، أو أن يكاثرها مكاثر في ممالك أوروبة حتى هذه القرون الأخيرة.

وكانت قرطبة مدينة فذَّة في أوروبة لا يدانيها مدان، وكان عدد سكانها نحو مليون ونصف مليون نسمة، وكان فيها نحو سبعمائة جامع، عدا المسجد الأعظم الذي لما زرته في هذا الصيف قال لي المهندس الذي كان معي من قبل الحكومة الأسبانيولية: إنه يسع بحسب مساحته خمسين ألف مصل في الداخل، و(٣٠) ألف مصل في الصحن، فجملة من يسعهم هذا المسجد العجيب ثمانون ألفًا من المصلين.

ولماذا ذهبنا إلى آثار قصر الزهراء؛ رأيناها آثار مدينة لا آثار قصر واحد، وعلمنا: أنها تمتد على مسافة تسعمائة متر طولًا في ثمانمائة متر عرضًا، والأسبانيون يقولون: مدينة الزهراء.

وقال لي المهندسون الموكلون بالحفر على آثارها: إنهم يرجعون الإتيان على كشفها من الآن إلى خمسين سنة.

وحسبك أنَّ غرناطة التي كانت حاضرة كانت مملكة صغيرة في آخر أمر المسلمين بالأندلس، لم يكن في أوروبة في القرن الخامس عشر المسيحي بلدة تضاهيها، ولا تدانيها، وكان فيها عندما سقطت في أيدي الإسبانيول نصف مليون نسمة، ولم تكن وقتئذ عاصمةً من عواصم أوروبة تحتوي نصف هذا العدد، وحمراء غرناطة لا تزال يتيمة الدهر إلى اليوم.

هذه لمحة دالة من مآثر حضارة الإسلام، وغُرَر أيامه، وإلا فلو استقصينا كلَّ ما أثر المسلمون في الأرض من رائع وبديع لم يسع ذلك الجلود[1] الكثيرة المرصوفة طبقًا فوق طبق.

(١) مراده: المؤلفات؛ لأنهم كانوا يكتبون على الجلود وغيرها.

وكم حرر المؤرخون الأوروبيون تحت عنوان: (مدنية الإسلام) كتبًا قيمة، ومجاميع صور تأخذ بالأبصار، وأنَّ أشد مؤرخي الإفرنج تحاملًا على الإسلام لا يتعدَّى أن يحاول التصغير من شأن مدنيته، وأن ينكر كونه أبًا عذرتها[1]، فقصارى هذه الفئة أن ينكروا كون المسلمين قد ابتكروا علومًا، وسبقوا إلى نظريات؛ صارت خاصة بهم، وغايتهم أن يقولوا: إنَّ المسلمين لم يزيدوا على أن نقلوا، وأذاعوا، وكانوا واسطة بين المشرق والمغرب.

وهذا القول مردودٌ عند المحققين، الذين يعرفون للمسلمين علومًا ابتكروها، وحقائق كشفوها، وآراء سبقوا إليها، فضلًا عما زادوا عليه وأكملوه، وما نشروه ونقلوه، ومن استَرَقَّ شيئًا وقد استرقَّه؛ فقد استحقَّه.

وبَعْدُ فلم نعلم مدنيةً واحدةً من مدنيات الأرض إلا وهي رَشْحُ مدنيات سابقة، وآثار آراء اشتركت بها سلائل البشرية، ومجموع نتائج عقول مختلفة الأصول، ومحصول ثمرات ألباب متباينة الأجناس.

❁ ❁ ❁

---

(١) أصل هذا الاصطلاح من المرأة العذراء -وهي البكر-، ثم سموا الرجل إذا افتضها: أبو عذرتها.

ثم توسعوا حتى سموا من أحدث جديدًا، وابتدع أمرًا دنيويًا على غير مثال سابق: أبو عذرتها.

وفي «المرصع» لابن الأثير (ص١٩٦) قوله: «أبو عذرتها وأبو عذرها؛ هو: الذي يبتدع الأشياء الغريبة، ويستنبطها من ذات نفسه؛ يقال للرجل إذا أشار برأي صواب، أو نطق بكلام بليغ، أو أتى بفعل حسن ادعى أنه من قِبَله، ولم يُسبق إليه: أنت أبو عذرته، وأبو عذره...».

وأمير البيان: يريد أن حضارة الإسلام مبتكرة العلوم، وسبّاقه إلى التقدم المادي، والسياق دال على ذلك بلا مثنوية.

الرَّدُّ على حُسّاد المدنيّة الإسلاميّة المكابرين

أيَنْسى حُسّاد الإسلام والمكابرون في عظمة فضله، الزاعمون: أنه نَقَلَ وتعلَّم وقلَّد واقتدى، وأنه إنما صلَّى وراء غيره: أنَّ الغربَ كان غلب على الشرق، وأن المدنية الشرقية يوم ظهر الإسلام كان أخنى عليها[1] الذي أخنى على لُبَدٍ[2]، وأنه هو الذي جَدَّدَها، وأحيا آثارها، وأقال عثارها، وأنها بعد أن كانت قد امَّحت ولحقت بالغابرين؛ أبرزها من أصدافها، وجلَّاها من بعد أن كانت ملفوفة بغلافها، ونشرها إلى الخافقين، وبلَّجها[3] كفلق الصبح لكلِّ ذي عينين، وأضفى عليها لباس الإسلام الخاص، ودبَّجها بديباجة القرآن، التي لم تُفارقها في شرقٍ ولا غربٍ، ولا سهلٍ ولا وعرٍ، حتى حمل ذلك كثيرًا من علماء الإفرنج ممن لم يعمه الهوى، ولم يجد في التحقيق عن مهيع الهدى[4]، على أن اعترفوا بأنَّ مدنية الإسلام لم تكن نسخًا ولا نقلًا، وإنما قد نبغت من القرآن، وتفجَّرت من عقيدة التوحيد.

فأما ما ترجمته حضارة الإسلام من كتبٍ، وما أخذته عن غيرها من علومٍ، وما

---

(١) أفسدها وأهلكها، وأتى عليها.

(٢) لُبَد: آخر نسور لقمان بن عاد.

وهذا مثل يقال لمن طواه الزمن مهما عُمِّر، وأفسدته الأيام مهما طال؛ فكما أهلكت الأيام نسور لقمان وآخرها لبد، فكذلك طوت غيره وغيرته.

قال النابغة الذبياني:

أضحت خلاء، وأضحى أهلها احتملوا ... أخنى عليها الذي أخنى على لبد

(٣) وضَّحها.

(٤) طريق الهدى الواضحة البينة.

أفادته في فتوحاتها من منازع[1] جميلة، وطرائق سديدة؛ أخذتها عن غيرها، فلا يقدح ذلك في بكارتها الإسلامية، ومسحتها العربية؛ لأنَّ هذا شأن الحضارات البشرية بأجمعها أن يأخذ بعضها عن بعض، ويكمل بعضها بعضًا، فالحلم الحقيقي ينحصر في هذا الحديث الشريف: «الحكمة ضالة المؤمن؛ ينشدها ولو في الصين»[2]، وهذه أقدس قواعد الإسلام.

---

(١) جمع: مَنْزَع، والمراد: الغايات الحميدة.

(٢) هذا مضمون حديثين:

أحداهما: «الحكمة ضالة المؤمن؛ فحيث وجدها؛ فهو أحق بها»: رواه الترمذي من حديث أبي هريرة، ورواه غيره بمعناه مع اختلاف في اللفظ.

والثاني: «اطلبوا العلم ولو بالصين».

وذكر ه الكاتب في موضع آخر، وهناك نذكر من أخرجه (راجع ص١٩٥). (ر)

قال أبو أسامة الهلالي -كان الله له-:

الحديث الأول: أخرجه الترمذي (٥/ ٥١)، وابن ماجه (٢/ ١٣٩٥)، وضعفه الترمذي بقوله: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإبراهيم بن الفضل المدني المخزومي يضعف في الحديث من قبل حفظه».

قلت: بل هو متروك، فالإسناد ضعيف جدًّا.

وقد ورد من حديث علي بن أبي طالب، ومرسلًا عن زيد بن أسلم، وسعيد بن أبي بردة؛ وكلها ضعيفة لا تصح؛ فلا يحتج بها ولا كرامة.

والحديث الثاني: أخرجه الخلال في علله «(٦٣)، وابن عدي (٤/ ١٨٨)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ١٥٦)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٧-٨)، والخطيب في «تاريخه» (٩/ ٣٦٣)، والبيهقي في «المدخل» (١/ ٢٤١)، و«الشعب» (٢/ ٢٥٣)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢١٥)، والرافعي في «التدوين» (١/ ٤٩٢) بإسناد موضوع، كما صرح بذلك أئمة الحديث؛ كالإمام أحمد، والبزار، والعقيلي، وابن حبان، وابن الجوزي، والسخاوي، وغيرهم.

وانظر: «السلسلة الضعيفة» لشيخنا الأمام الألباني رحمه الله (٤١٦).

وانظر ما تقدم (ص١١٢).

وعلى كلِّ حالٍ لا يقدر مكابر أن يكابر: أن الإسلام كان له دور عظيم في الدنيا، سواء في الفتوحات الروحية، أو العقلية، أو المادية، وأنَّ هذه الفتوحات قد اتَّسقت له في دورٍ لا يزيد على ثمانين سنة، مما أجمع الناس على أنَّه لم يتسق لأمة قبله أصلًا.

وكان نابليون الأول؛ لشدة دهشته من تاريخ الإسلام يقول في جزيرة سنتهيلانة: «إن العرب فتحوا الدنيا في نصف قرن لا غير».

وتأمل أيها القارىء في أن قائل هذا؛ هو: بونابرت الذي لم يكن تملأ عينيه الفتوحات مهما كانت عظيمة.

وَتَعْظُمُ في عَينِ الصَّغيرِ صِغَارُها وتَصْغُرُ في عينِ العظيمِ العظائمُ[1]

فهذا رجل عظيم جدًّا استعظم حادث العرب الذي لم يسبق نظيره في التاريخ، وقد بقي دور العرب هو الأول في وقته، ولبثوا وهم المسيطرون في الأرض، لا يضارعهم مضارع، ولا يغالبهم مغالب، مدة ثلاثة قرون أو أربعة.

ثم أخذوا بالانحطاط، وجعلت ظلالهم تتقلص عن البلدان التي كانوا غلبوا عليها شيئًا فشيئًا، وذلك بفتور الهمم، ودبيب الفساد إلى الأخلاق، ونبذ عزائم الدين، واتباع شهوات الأنفس، وأشد ما ابتلوا به التنافس على الإمارات والرئاسات[2] -ولاسيما بين القيسية واليمانية-، مما لولاه لدانت لهم القارة الأوروبية بأجمعها، وكانت الآن عربية؛ كما هو المغرب[3].

---

(١) انظر: «ديوان المتنبي» (ص١٣١).

(٢) وبخاصة في بلاد الأندلس؛ كما يدل عليه سياق كلام المؤلف.

(٣) ولله في ذلك حكمة بالغة، فقد أخَّر ذلك الفتح المبين للجيل الرباني المسلم القادم في آخر الزمان؛ حيث يفتح أوروبا؛ كما يدل على ذلك حديث فتح رومية والقسطنطينية، وإرهاصات ذلك بدأت تباشيرها في زماننا؛ كما قد بسطت ذلك مفصلًا، وشرحته مؤصلًا في كتابي: «خارطة المستقبل الإسلامي في ضوء المبشرات النبوية».

فالمصائب التي حلت بالمسلمين إنما هي مما صنعته أيديهم، ومما حادوا به عن النهج السويِّ الذي أوضحه لهم القرآن الذي لَمَّا كانوا عاملين بمحكم آيه: عَلَوا وظهروا، وكانت لهم الدول والطوائل[1]، فلما ضعف عملهم به، وصاروا يقرؤونه بدون عمل، وانقادوا إلى أهواء أنفسهم من دونه: ذهبت ريحُهم[2]، وولَّى السلطان الأكبر الذي كان لهم، وانتقصت الأعداء أطراف بلادهم، ثم قصدوا إلى أوساطها، وما زال الأعداء يفتحون من بلدان الإسلام حتى أصبح ثلاثمائة مليون مسلم تحت ولاية الأجانب، ولم يبق في العالم سوى (٧٠)، أو (٨٠) مليون مسلم نقدر أن نقول: إنهم تحت ولاية أنفسهم.

ولنضرب -الآن- بعض أمثلة عن الأمم الأُخرى؛ لأجل المقابلة بيننا وبينهم، إذ كانت بضدها تتبيَّن الأشياء.

❁ ❁ ❁

(١) أي: الأرض والبلاد

(٢) أي: شوكتهم وقوتهم

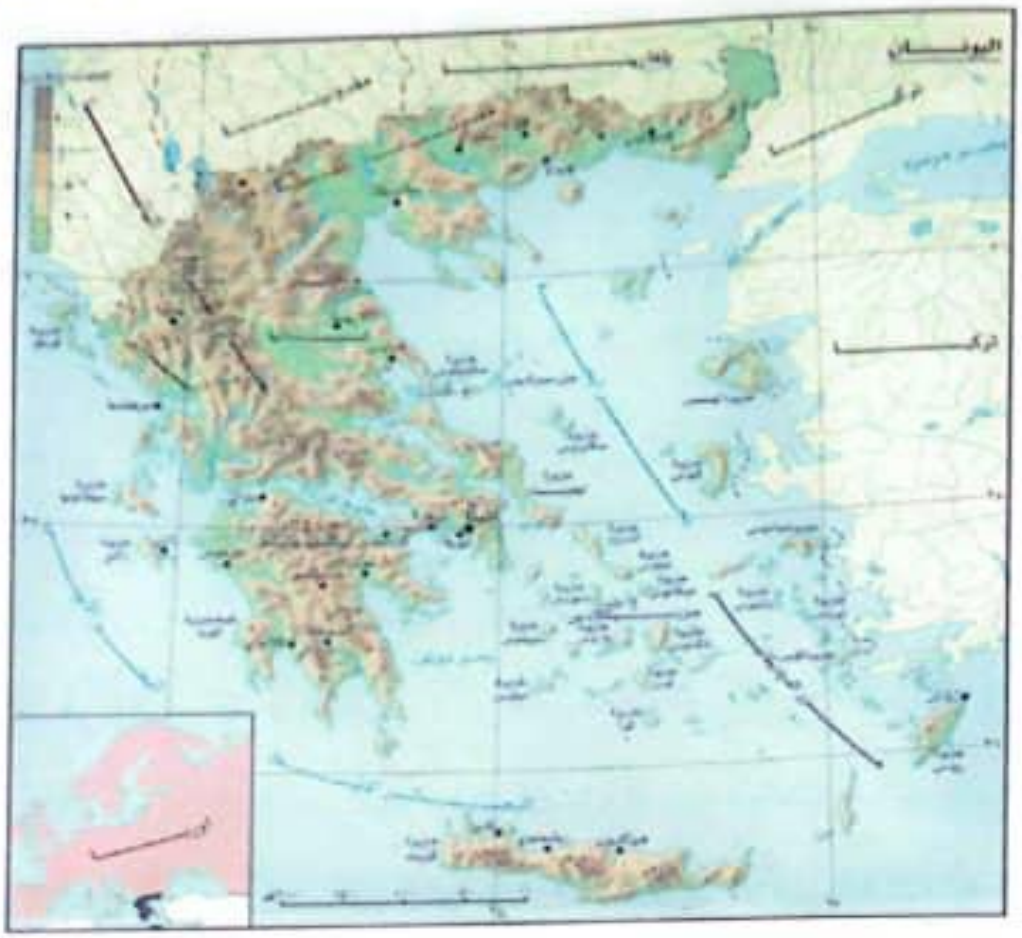

اليونان والرومان قبل النصرانية وبعدها

كان اليونانيون قبل النصرانية أرقى أُمم الأرض، أو من أرقى أُمم الأرض، وكانوا واضعي أُسس الفلسفة، وحاملي ألوية الآداب والمعارف، ونبغ منهم من لا يزالون مصابيح البشرية في العلم والفلسفة إلى يوم الناس هذا[1].

وكان الإسكندر المقدوني[2] أعظم فاتح عرفه التاريخ، أو من أعظم الفاتحين

---

(١) كانوا كذلك مادة وعمارة للأرض، ولكنهم من أحط الأمم أخلاقًا؛ كحال الأمم الغربية الآن.

(٢) هو أحد ملوك مقدونيا الإغريق، ولد سنة (٣٥٦ق.م)، وتتلمذ على يد أرسطو، وما بلغ الثلاثين حتى فتح معظم البلاد، وتوفي ببابل سنة (٣٢٣ق.م)، ومن زعم: أن الاسكندر المقدوني؛ هو: ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم في سورة الكهف، فقد أخطأ خطأً شنيعًا. وانظر -لزومًا- كتاب شيخ شيوخنا العلامة محمد راغب الطباخ رحمه الله: «ذو القرنين وسد الصين من هو؟ وأين هو؟».

الذين عرفهم التاريخ، حاملًا للأدب اليوناني، ناشرًا لثقافة اليونان بين الأمم التي غلب عليها.

وما كانت دولة البطالسة[1] التي لمعت في الإسكندرية بعلومها وفلسفتها إلا من بقايا فتوح الإسكندر، ثم لم تَزَلْ هذه الحالة إلى أن تنصَّرت اليونان بعد ظهور الدين المسيحي بقليل، فمنذ دانت هذه الأمة بالدين الجديد: بدأت بالتردي والانحطاط، وفَقْدِ مزاياها القديمة، ولم تزل تنحطُّ قرنًا عن قرن، وتتدهور بطنًا عن بطن، إلى أن صارت بلاد اليونان ولاية من جملة ولايات السلطنة العثمانية، ولم تعد إلى شيء من النهوض والرقي إلا في القرن الماضي، وأين هي مع ذلك الآن مما كانت قبل النصرانية؟

أفيجب أن نقول: إنَّ النصرانية كانت المسؤولة عن انحطاط اليونان هذا؟

إن القائلين: بأنَّ الإسلام قد كان سبب انحطاط الأُمم الدائنة به لا مفرَّ لهم

---

(١) البطالسة: نسبة الى (بطليموس)؛ اسم اطلق على ملوك مصر الهلنستيين؛ أي: من ذوي الأصول الإغريقية، خلفاء بطليمس المعروفين بالبطالسة أو اللاجئين، وقد حكموا سنة (٣٠٦ - ٣٠ قبل الميلاد)، وعددهم (١٦) حاكمًا، أشهرهم:

١- **بطليموس الأول (المخلص)**: الذي حكم من (٣٦٠ - ٢٨٣ قبل الميلاد)، كان أحد قوَّاد الإسكندر في مصر، ثم حكمها بعد وفاته، ثم ما لبث أن أعلن نفسه ملكًا عليها، وجعل الإسكندرية عاصمةً له، وأسَّس فيها خزانةَ الكتب التي عُرفت فيما بعد بـ (مكتبة الإسكندرية).

٢- **بطليموس الثاني (الحكيم)**: الذي حكم مصر من (٢٨٢ - ٢٤٦ قبل الميلاد)، وامتاز بدهائه، وينسبون إلى عهده ترجمة التوراة السبعينية.

٣- **بطليموس الثالث (المحسن)**: الذي حكم مصر من (٢٤٦ - ٢٢١ قبل الميلاد)، وانتصر في محاربة سلوقس كالينيكس ملك سورية، واستردَّ من الفرس الأشياء المقدسة التي سلبوها من مصر.

٤- **كليوباترا**: وهو اسمٌ حملَهُ سبعٌ من ملكات البطالسة، ولكن أشهرهن كانت كليوباترا الخامسة، التي حكمت مصر من (٥١ - ٣٠ قبل الميلاد).

من القول: بأنَّ النصرانية قد أدَّت -أيضًا- إلى انحطاط اليونان التي كانت من قبلها عنوان الرقي.

ثم كانت رومية في عصرها الدولة العظمى: التي لا يذكر معها دولة، ولا يؤبه في جانب صولتها لصولة، ولم تزل هكذا هي المسيطرة على المعمور إلى أن تنصَّرت لعهد قسطنطين، فمنذ ذلك العهد بدأت بالانحطاط مادَّةً ومعنًى، إلى أن انقرضت أولًا من الغرب، وثانيًا من الشرق، ولم تسترجع رومية بعد انقراض الدولة الرومانية شيئًا من مكانتها الأولى، وبقيت على ذلك مدة (١٥) قرنًا حتى استأنفت شيئًا من مجدها الغابر.

وما هي إلى هذه الساعة ببالغة ذلك الشأو[1] الذي بلغته أيام الوثنية.

أفنجعل تَنَصُّرَ الرومان؛ هو: العامل في انحطاط رومة، وتدحرجها عن قمة تلك العظمة الشاهقة؟

---

(١) الأمد، والغاية، والهمة.

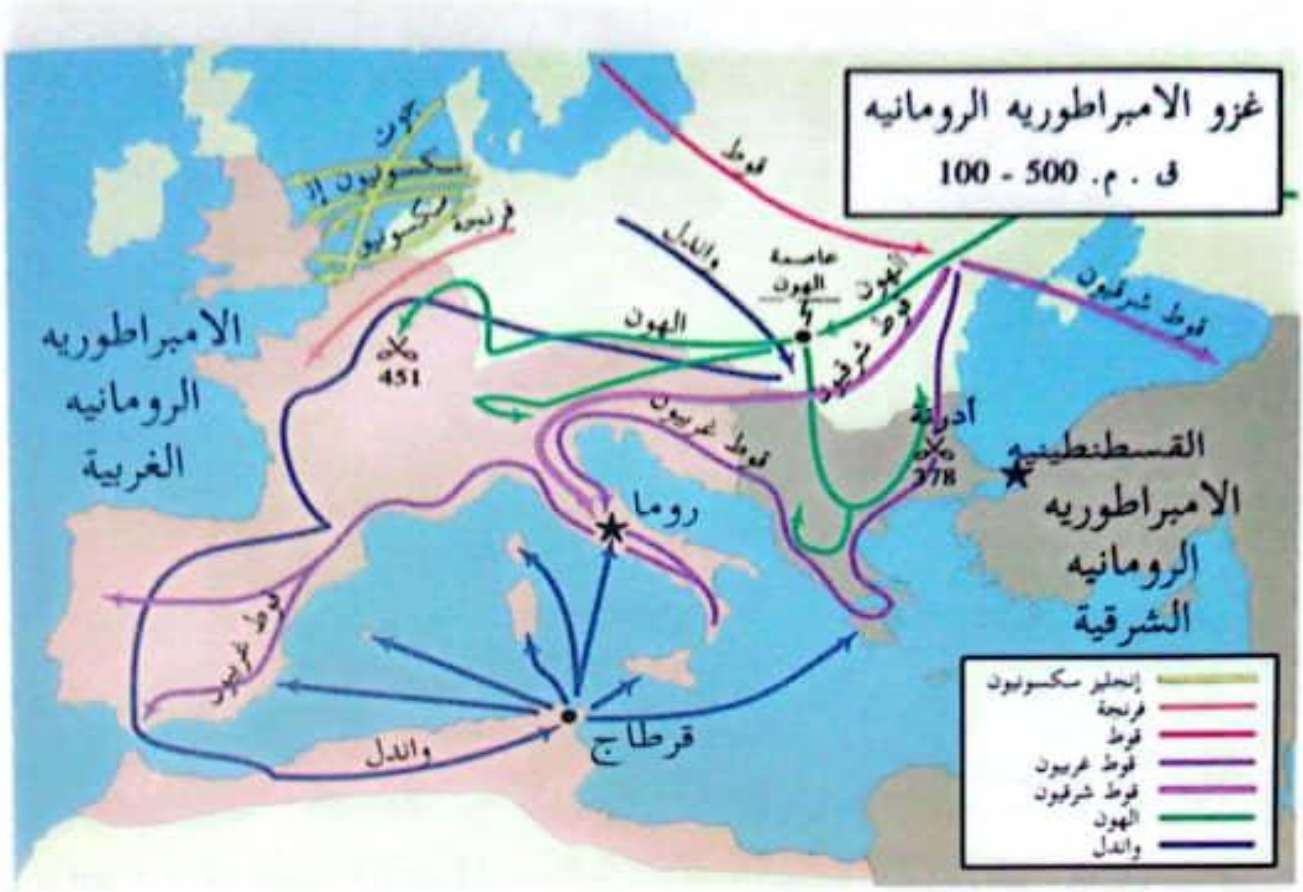

لقد قال بهذا علماء كثيرون؛ كما قال آخرون مثل هذه المقالة في الإسلام، وكلا الفريقين جائرٌ حائدٌ عن الصواب.

فإنَّ لسقوط الرومان بعد فشو الدين المسيحي فيهم، ولسقوط اليونان قبلهم بعد أن تَقَبَّلوا دعوة بولس إلى النصرانية أسبابًا وعوامل كثيرة: من فساد الأخلاق، وانحطاط الهمم، وانتشار الخنى[1] والخلاعة، وشيوع الإلحاد والإباحة، ومن هرم الدول الذي يتكلَّم عنه ابن خلدون، وغير ذلك من أسباب السقوط الداخلية منضمة إليها غارات البرابرة من الخارج، فكانت ثمة أسباب قاسرة مؤدية إلى السقوط الذي كان لا بدَّ منه، فلو فرضنا: أنَّ النصرانية لم تكن جاءت وقتئذ: لم يكن الرومان ولا اليونان نجوا من عواقب تلك الحوادث، ولا تخطتهم نتائج تلك الأسباب.

فدعوى بعض المؤرخين الأوروبيين: أن تغلب المسيحية على اليونان والرومان

(١) الزنا.

أخنى[1] على عظمتها، وذهب بمدنيتها ليس فيه من الصحيح إلا كون الأوضاع الجديدة تذهب بالأوضاع القديمة، سنَّة الله في خلقه، وأنَّه في هيعة[2] هذا التحول لا بُدَّ من اضطراب الأحوال، وانحلال القواعد، واستحكام الفوضى؛ وإلَّا: فلا أحد يقدر أنْ يقول: إنَّ الوثنية أصلح للعمران من النصرانية[3].

---

(١) أهلكها وأتى عليها.

(٢) كل ما أفزع من صوت أو غيره.

(٣) علماء المسلمين يعتقدون: أن النصرانية على ما طرأ عليها من الوثنية بالتثليث الوثني القديم أصلح لأنفس البشر من الوثنية الخالصة، ولكنها ليست أصلح ولا أقبل للعمران المدني الذي تتنافس فيه أوروبة وغيرها؛ لأنها ديانة مبنية على المبالغة في الزهد والخضوع لكل حكم دنيوي، والعمران لا يتم ولا يسمو إلا بالسيادة والملك والغنى.

ومن قواعد الإنجيل: «أن الجمل إذا دخل في ثقب الإبرة؛ فالغني لا يدخل ملكوت السموات»[أ].

ونعتقد -أيضًا-: أن جميع ما جاء به المسيح عليه السلام من الدين؛ فهو حق، وكان البشر في أشد الحاجة إلى ما جاء فيه من المبالغة في الزهد والتواضع؛ لمقاومة ما كان عليه اليهود وحكامهم الروم (الرومان) من الطمع والكبرياء والعتو، وأن هذا كان تمهيدًا للإسلام الدين الوسط المعتدل الجامع بين مصالح الدنيا والآخرة، فما ذكرناه من اعتقادنا يتضمن اعترافنا بحقية دين المسيح في نفسه، وبكونه من عند الله تعالى مع التعارض بينه وبين ديننا الناسخ له. =

(أ) كما في إنجيل متى (١٩: ٢٤)، وإنجيل مرقس (١٠: ٢٥)، وإنجيل لوقا (١٨: ٢٥)، ومما قرأته قديمًا في بعض كتب التاريخ: «أن ملكًا من ملوك الإسلام أراد أن يبرهن لليهود والنصارى: أن دين الإسلام هو الدين الحق، الذي لا يقبل الله دينًا سواه، دعا حاخام اليهود، وبطريرك النصارى، وعالمًا مسلمًا، وقال لهم: أريد من كل واحد منكم أن يثبت لي أن دينه هو الحق. فقام حاخام اليهود وتكلم، ثم قام بطريارك النصارى فتكلم، ولما جاء دور العالم المسلم قال: إذا دخل اليهود الجنة، فسندخلها معهم، لأننا نؤمن بموسى -عليه الصلاة والسلام-، وإذا دخل النصارى الجنة، فسندخلها معهم أيضًا، لأننا نؤمن بعيسى -عليه الصلاة والسلام-، وأما إذا دخلنا نحن الجنة؛ فلن يدخلها معنا أحدٌ منهم؛ لأنهم لا يؤمنون بمحمد ﷺ، فحج العالم المسلم اليهود والنصارى، وبهت الذين كفروا».

وهذه الدعوى كانت تكون أشبه بدعوى أعداء الإسلام الذين يزعمون: أنَّ الشرق كان راتعًا في بحابح العمران[1]، فجاء الإسلام وطمس المدنيات الشرقية القديمة!

لولا أنَّ الحقيقة هي كما قدمنا: أنَّ المدنيات الشرقية كانت كلُّها قد انقرضت[2] أو انحطَّت[3] قبل ظهور الإسلام بكثير، وأنَّ الإسلام وحدَه لا غيره هو الذي جدَّد مدنية الشرق الدارسة[4]، واستأنف صولته الذاهبة الطامسة، وبعث تلك الحواضر العظمى الزاخرة[5] بالبشر؛ كبغداد، والبصرة، وسمرقند، وبخارى، ودمشق، والقاهرة، والقيروان، وقرطبة، وهلم جرًّا، فإن كانت قد بقيت للشرق آثار مدنيات قديمة؛ فإن الإسلام هو الذي وطَّد[6] بوانيها، وطرَّز حواشيها، وحمل السيف بيدٍ،

= ومن وظيفتي: أن أبين هذا في حاشية مقال كتب للمنار باقتراح من أحد تلاميذ المنار على أمير البيان. (ر).

قال أبو أسامة الهلالي -غفر الله له ولوالديه-: ومن وظيفتي وأنا قائم على تحقيق هذا الكتاب: أن أبين لعموم المسلمين: أن أحقية دين المسيح -عليه السلام- من زمن بعثته إلى مجيء محمد بن عبد الله ﷺ هاديًا، ومبشرًا، ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وأنه لا يسع أحد ولو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعه، والرضى بدينه.

وعليه؛ فالإسلام ناسخ لجميع الأديان، ومهيمن عليها، ولا يقبل الله من العباد صرفًا ولا عدلًا إلا بالإسلام: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

(١) وسطه وخياره.

(٢) زالت وبادت.

(٣) تراجعت وتخلفت.

(٤) الزائلة والمندثرة.

(٥) المملوءة.

(٦) ركز، ودعم، ورسَّخ.

والقلم بيد إلى أبعد ما تصوره العقل من حدود الأقطار التي لم يسبق لشرقي أن يطأها بقدمه[1].

فإذا كان الإفرنج الصليبيون من الغرب، وكان المَغُول أولئك الجراد المنتشر من الشرق، قد دمروا ما بنى الإسلام في تلك الممالك، ونسفوا عمران هاتيك الحواضر، وكانت منافسات ملوك الإسلام الداخلية للشهوات، وإمعانهم في الضلالات، وحيدهم عن جادة القرآن القويمة، وفقدهم ما يزرعه في الصدور من الأخلاق

(١) انظر ما تقدم (ص١٦٤).

العظيمة، وقد قضت في الداخل على ما عجز عن تعفيته العدو من الخارج، فليس الذي في هذا التقلص ذنب الإسلام، ولا التبعة في هذا الانقلاب عائدة على القرآن، وإنما الذنب هو ذنب الهمج[1] من الإفرنج، وجناية ذلك الجراد الزحاف من المغول، وإنما هي تبعة المسلمين الذين رغبوا[2] عن أوامر كتابهم، واشتروا بآياته ثمنًا قليلًا؛ إلا النادر منهم.

---

(١) الرعاع والدهماء.

(٢) كرهوا وابتعدوا.

وأيضًا؛ فقد تَنَصَّرت الأمم الأوروبية في القرن الثالث والرابع والخامس والسادس من ميلاد المسيح، وبقيت أمم في شرقي أوروبة إلى القرن العاشر حتى تنصَّرت، ولم تنهض أوروبة نهضتها الحالية التي مكَّنتها تدريجًا من هذه السيادة العظمى بقوة العلم والفن إلا من نحو أربعمائة سنة؛ أي: من بعد أن دانت[1] بالإنجيل بألف سنة، ومنها بعد أن دانت به بسبعمائة سنة، ومنها بعد أن دانت ثمانمائة سنة... إلخ.

وهذه هي القرون المسماة في التاريخ: بالقرون الوسطى، ولا نقول: إن الأوروبيين كانوا في هذه القرون بأجمعهم هائمين[2] في ظلمات بعضها فوق بعض، بل نقول: إن العرب كانوا أعلى كعبًا[3] منهم بكثير في المدنية؛ بإقرار[4] مؤرخيهم، وبرغم أنف[5] لويس برتران[6]، وأضرابه[7].

ومن الكتب المخرجة حديثًا الشاهدة بذلك: «التاريخ العام» للكاتب الفيلسوف الإنكليزي «ولز»[8]، و«تاريخ مدنيات الشرق» لمؤلف إفرنسي متخصص في التواريخ

---

(١) خضعت وذلت.

(٢) حائرين وسائرين على غير هدى.

(٣) شرفًا وظفرًا.

(٤) باعتراف.

(٥) غصبًا عن.

(٦) كاتب فرنسي صليبي متعصب، عضو الأكاديمية الفرنسية؛ أصدر سنة (١٩٢٧م) كتابًا بعنوان: «إمام الإسلام»، ملأه حقدًا على الإسلام والمسلمين، واتهمهم بالتأخر والتعصب، وقال: إنه لا قابلية لهم للتمدن، وأن الغرب له حق تمدين العالم.
انظر كتاب: «أعلام وأقزام في ميزان الإسلام» (٢/ ٤٦٢-٤٦٣).

(٧) أمثاله.

(٨) هو هربرت جورج ويلز (١٨٦٦-١٩٤٦م) مؤرخ وعالم اجتماع إنجليزي، نشر كتابه: «موجز تاريخ العالم» سنة (١٩٢٠م)؛ حيث لاقى رواجًا كبيرًا، ومدحه أرنولد توينبي، ووصفه بأنه أفضل المقدمات في موضوع التاريخ.

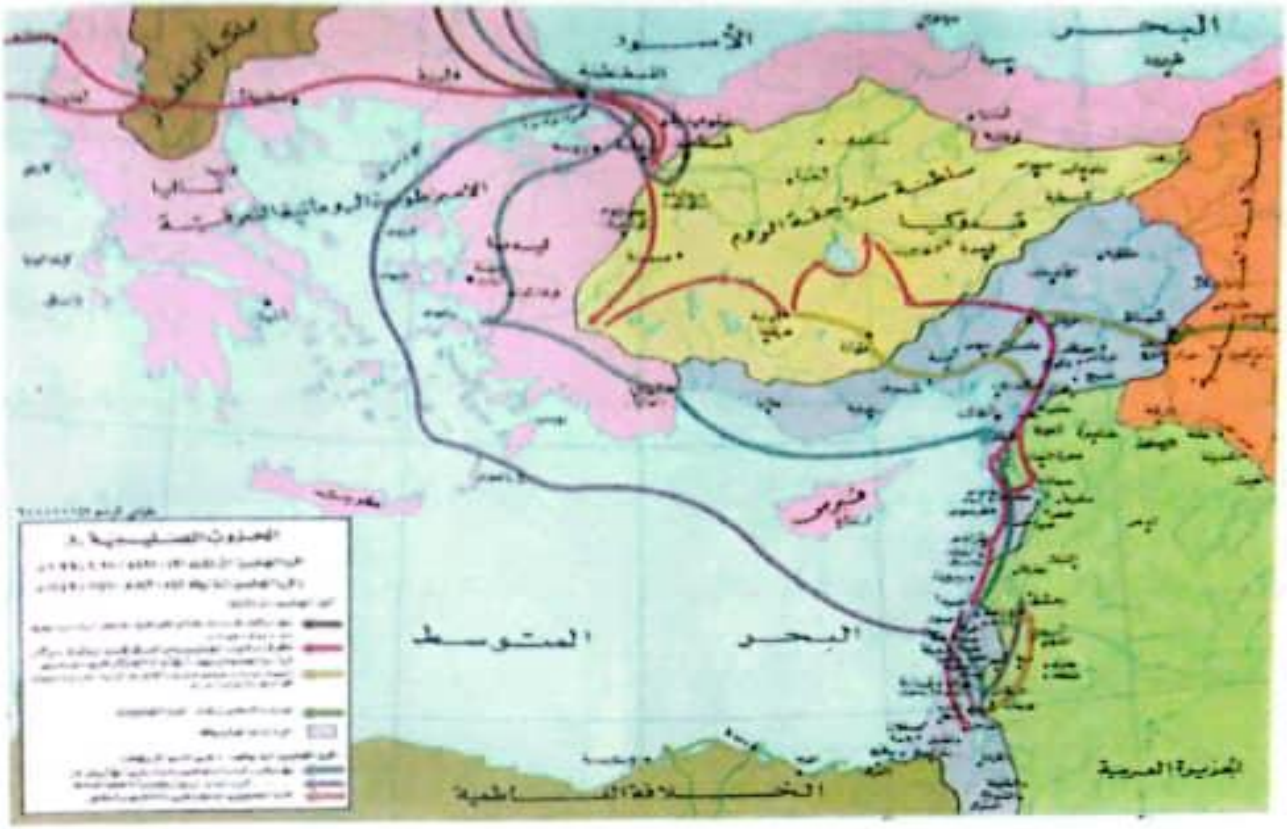

الشرقية؛ اسمه: «غروسه»[1].

فالحقيقة التاريخية المجمع عليها هي واحدة في هذا الموضوع، لم يظهر ما ينقضها ولن يظهر؛ وهي: أنَّ العربَ في القرون الوسطى كانوا أساتيذ الأوروبيين، وكان الواحد من هؤلاء إذا تخرج على العرب تباهى بذلك بين قومه[2].

❀ ❀ ❀

(١) مستشرق ومؤرخ فرنسي، من كتبه: «الحروب الصليبية»، و«مدنيات من الشرق»، ومن أقواله في كتابه الأخير: «كان محمد لما قام بهذه الدعوة شابًّا كريمًا، ملآن حماسة لكل قضية شريفة، وكان أرفع جدًّا من الوسط الذي يعيش فيه، وقد كان العرب يوم دعاهم منغمسين في الوثنية، وعبادة الحجارة، فعزم على نقلهم من تلك الوثنية إلى التوحيد الخالص البحت، وكانوا يهتفون بالفوضى، وقتال بعضهم بعضًا، فأراد أن تؤسس لهم حكومة ديمقراطية موحدة، وكانت لهم عادات وحشية صرفة، فأراد أن يلطف أخلاقهم، ويهذب خشونتهم».

(٢) انظر ما تقدم (ص١٦٤ و١٨١).

سبب تأخُر أوروبا الماضي ونهضتها الحاضرة

أفنجعل هذا التأخر الذي كان عليه الأوروبيون في القرون الوسطى مدة ألف سنة ناشئًا عن النصرانية التي كانت دينهم الذي يعضون عليه بالنواجد[1]؟

نعم: إنَّ الأممَ البروتستانتية منهم تجعل مصدر هذا التأخر: الكنيسة البابوية، لا النصرانية من حيث هي، وتزعم: أنَّ نهضة أوروبة لم تبدأ إلا بخروج (لوثير[2] وكلفين[3]) على الكنيسة الرومانية.

وأما فولتير[4] -ومن في حزبه من أقطاب الملاحة-؛ فلا يُفرِّقون كثيرًا بين

---

(١) يتمسكون به ويحترمونه.

(٢) هو: مارتن لوثر: مؤسس المذهب البروتستانتي، راهب ألماني، وقسيس، وأستاذ للاهوت، ثار على صكوك الغفران، وكتب رسالة شهيرة مؤلفة من خمس وتسعين نقطة، تتعلق أغلبها بلاهوت التحرير، وسلطة البابا في الحل من العقاب الزمني للخطيئة.

(٣) هو: جون كالفن (١٥٠٩م): مؤسس المذهب الكالفيني المنتشر في سويسرا وفرنسا؛ وهو: من القلائل من الفلاسفة الذين استطاعوا أن يُطبِّقُوا ما انتجه من الفلسفة.
أرسله أبوه والذي كان يعمل محاميًا إلى جامعة باريس لدراسة القانون والعلوم الإنسانية، وفي عام (١٥٣٢) كان قد تخرج ليعمل دكتورًا في القانون.
كان من أشد أتباع المذهب اللوثري (نسبة إلى مارتن لوثر)، وقد أجبرته الظروف على مغادرة باريس والإقامة في شتراسبورغ، ثم بال (سويسرا) قبل أن يستقر في جنيف.
أراد أن يجعل من مدينة جنيف مدينة مثالية، فعمل على تطبيق النظام بطريقة صارمة، من أهم أعماله: «تأسيس الديانة المسيحية»، تعرض فيه للمعتقدات النصرانية.

(٤) هو فرانسوا ماري أدريه، المعروف بـ (فولتير)، ولد (١٩٩٤م)، وتوفي (١٧٧٨م) كاتب فرنسي ذاع صيته.

الكاثوليك والبروتستانت، وعندهم: أنَّ جميع هذه العقائد واحدة، وأنها عائقة عن العلم والرقي، ولهذا قال فولتير تلك الكلمة عندما ذُكِرَ لديه لوثير وكلفين؛ قال: «كلامهما لا يصلح أن يكون حذاء محمد»[1]؛ يرى أنَّ محمدًا ﷺ بلغ من الإصلاح ما لم يبلغا أدناه، مع اعتقاد الكثير أن مذهبهما كان فجَّر أنوار أوروبا[2].

والحق الذي لا يُرتاب فيه: أنَّ النصرانيةَ نفسها لم تكن هي المسؤولة عن جهالة

---

(١) ذكر فولتير هذه الجملة أمام البرنس سيندورف النمسوي، الذي صار فيما بعد رئيسًا لوزراء سلطنة النمسة، وعندما دخل بونابرت فيينا كان البرنس هو رئيس الحكومة فيها، وكان نقله هذه الجملة عن فولتير في أيام شبابه، وعندما اجتمع به في سويسرة؛ فَقَيَّدَها في مذكراته المحفوظة في خزانه كتب فيينا، وعنها نقلتها جريدة «الطان»، ونحن نقلناها عنها (ش).
ومن أقوال فولتير عن رسو ل الله محمد ﷺ: «السنن التي جاء بها محمد كانت كلها قاهرة للنفس ومهذبة لها، فجمال تلك الشريعة وبساطة قواعدها الأصلية جذبا للدين المحمدي أممًا كثيرة أسلمت».
وقال -أيضًا-: «إنه دين يستحق الإعجاب والإجلال والتقدير؛ لأنه جعل زنوج أواسط إفريقيا يشعرون بآدميتهم، وجعل سكان جزر البحر الهندي يعرفون أن هناك قوة غير التي اعتادوا عليها». وينفي أن يكون الإسلام انتشر بالقوة وانتصر بالسيف؛ فيقول: «هذه شائعات تحاول أن تقلل من قيمة الإسلام ورسوله، وأن الدليل على ذلك: أن كثيرين اعتنقوا الإسلام وهم بعيدون عن بلاده، وغزواته، وفتوحاته، فكيف إذًا وصلهم السيف الذي يدعيه مؤرخونا وخطباؤنا؟!».
ثم يعترف قائلًا: «لقد قام الرسول بأعظم دور يمكن لإنسان أن يقوم به على الأرض، إن أقل ما يقال عن محمد: إنه قد جاء بكتاب وجاهد، والإسلام لم يتغير قط».

(٢) ونحن نعتقد هذا، كان شيخنا الأستاذ الإمام، وأذكياء مريديه؛ كسعد باشا زغلول يعتقدونه، ولكن بمعنى سلبي؛ وهو: أن هذا المذهب أضعف حجر الكنيسة على العقول البشرية، وتقييدها بتعاليمها، وفهمها للدين، ورأيها في الدنيا، وكان سبب هذا المذهب ما سرى إلى أوروبة عقب الحروب الصليبية بمعاشرة المسلمين من استقلال العقل في فهم الدين، وعدم سيطرة أحد عليهم فيه، كما بينه شيخنا في كتاب «الإسلام والنصرانية» (ر).

الإفرنج المسيحيين مدّة ألف سنة في القرون الوسطى، بل للمسيحية الفضل في تهذيب برابرة أوروبا.

وهؤلاء اليابانيون هم وثنيون، ومنهم من هم على مذهب بوذا، ومنهم من يقال لهم: طاويون[1]، وكثيرون منهم يتبعون الحكيم الصيني: كنفوشيوس[2].

ولقد مضى عليهم نحو ألفي سنة، ولم تكن لهم هذه المدنية الباهرة، ولا هذه القوة والمكانة بين الأمم، ثم نهض اليابان من نحو ستين سنة، وترقوا، وعزوا، وغلظ أمرهم، وعلا قَدْرُهم، وصاروا إلى ما صاروا إليه، ولم يبرحوا[3] وثنيين.

فلا كانت الوثنية إذًا سبب تأخرهم الماضي، ولا هي سبب تقدمهم الحاضر.

وقد تقاوتِ[4] اليابان والروسيا وتحاربتا؛ فتغلبت اليابان على روسيا، مع أن اليابانيين في العدد هم نصف الروس، ولكن مما لا شك فيه أن اليابانيين أرقى من الروس، والحال أن روسية عريقة في النصرانية، واليابان عريقة في الوثنية.

---

(١) الطاوية ديانة صينية قديمة لا تزال حيَّة إلى يومنا هذا؛ فلسفتها: الرجوع إلى الحياة الطبيعية، وتقف موقفًا سلبيًا من الحضارة والمدنية.
مؤسسها؛ هو: (لوتس)، الذي ولد (٥٠٧ ق.م)، وقد وضع كتاب «طريق القوة»، والتقى به كونفوشيوس؛ فأخذ عنه أشياء، وخالفه في أخرى.
للمزيد انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني، و«ذيله» لمحمد سيد كيلاني، و«الديانات والعقائد في مختلف العصور» لأحمد عبد الغفور العطار.

(٢) هو أول فيلسوف صيني يُفلح في إقامة مذهب يتضمَّن كلَّ التقاليد الصينية عن السلوك الاجتماعي والأخلاقي، ففلسفته قائمة على القيم الأخلاقية الشخصية، وعلى أن تكون هناك حكومة تخدم الشعب تطبيقًا لمثل أخلاقي أعلى، تعاليمه وفلسفته قد تأثر بعمق الفكر والحياة الصينية والكورية واليابانية والتايوانية والفيتنامية، ويلقب بـ: نبي الصين!

(٣) لم يزالوا.

(٤) تغالبتا في القوة وتنازعتا.

فليترك إذا بعض الناس جعل الأديان هي المعيار للتأخر والتقدم[1].

أفنقول من أجل هذا المثال: إن الإنجيل هو الذي أَخَّرَ روسيا عن درجة اليابان، وأن عبادة الآلهة -ابنة الشمس- هي التي جذبت بِضُبْعِ[2] اليابان حتى سبقت روسيا؟

إن لهذه الحوادث أسبابًا وعوامل متراكمة ترجع إلى أصول شتى، فإذا تراكمت هذه العوامل في خير أو شرٍّ، تغلبت على تأثير الأديان والعقائد، وأصبحت فضائل أقوم الأديان عاجزة بإزاء شرها، كما أصبحت معايب أسخفها غير مؤثرة في جانب خيرها.

ولسنا هنا في صدد أسباب تقدم اليابان السريع حتى نبين: أنَّ اعتقاد عامتهم

---

(١) هذا صحيح في جملة الأديان إلا الإسلام، فقرآنه وتاريخه يثبتان: أنه هو سبب تقدم أهله حين اهتدوا به، وسبب تأخرهم حين أعرضوا منه؛ كما بين هذا أمير الكتاب في رسالته هذه؛ فأظلم الظلم: أن يجعل سبب تأخيرهم (ر).

قال أبو أسامة الهلالي -عفا الله عنه-: وهذا مما يعترف به المصنف -أيضًا-، ويدافع عنه؛ كما سيأتي (ص٤٩)، وشواهد ذلك من القرآن الكريم كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨]، وقوله جل ذكره: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

وأما السنة الصحيحة؛ ففيها الكثير الطيب؛ منه: ما أخرجه أبو داود (٣٤٦٢) بإسناد حسن من حديث ابن عمر ﷺ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله؛ سلط الله عليكم ذُلًّا لا ينزعه حتى تعودوا إلى دينكم**».

ولذلك؛ فإن الإسلام قَدَرُ المسلمين؛ فبه يعزُّوا، وبتركه ينحطوا.

والمسلمون قدر العالم؛ إذا عزَّ المسلمون وسادوا تحرر العالم من عبودية العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

وإذا انحط المسلمون خسر العالم بانحطاطهم.

(٢) الضبع: الكتف والناحية.

الجزر المتنازع عليها بين اليابان وروسيا

(وجود حصان مقدس يركبه الإله فلان)، لم يقف حائلًا دون تقدمهم المبني على ما ركب في فطرتهم من الحماسة، وما أوتوا من الذكاء؛ وما أورثهم نظام الإقطاع القديم من التنافس في المجد والقوة.

وعندنا أمثلة كثيرة تكاد لا تحصى في هذا الباب اجتزأنا منها بما ذكرناه، ولم نكن لنتعرض لهذا المقام لولا حملات القسوس والمبشرين، وكثير من الأوروبيين على الإسلام، وزعمهم: أنَّه عنوان التأخر، وأنه رمز الجمود، وتحدثهم بذلك في الأندية والمجامع، ونشرهم هذه الافتراءات في المجلات والجرائد، وقولهم: إن الشجرة تعرف من ثمارها، وإن حالة العالم الإسلامي الحاضرة هي نتيجة جمود الإسلام، وتحجر القرآن.

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف:٥].

وحسبك أنَّ المسيو سان (المقيم الإفرنسي السامي) في المغرب ينشر في العدد الأخير من (مجلة الأحياء) الإفرنسية مقالة يتكلم فيها على يقظة المغرب بعد (ليل

الإسلام)! هكذا تعبيره[1].

فإن كان تأخر إحدى الممالك الإسلامية حقبة من الدهر يجب أن يقال فيه: (ليل الإسلام)! فكم كان ليل النصرانية طويلًا عندما بقيت أوروبة المسيحية زهاء ألف سنة وهي في حالة الهمجية، أو ما يقرب من الهمجية!!

إن إدخال الأديان في هذا المعترك، وجعلها هي وحدها معيار الترقي والتردّي ليس من النصفة في شيء.

وأما الإسلام؛ فلا جدال في كونه هو سبب نهضة العرب وفتوحاتهم المدهشة، مما أجمع على الاعتراف به المؤرخون شرقًا وغربًا، ولكنه لم يكن سبب انحطاطهم

---

(١) هذا من الأذى الكثير الذي سنسمعه من المشركين وأهل الكتاب؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وهؤلاء القوم بين جاهل وجاحد، ويكفينا في رد جهلهم وافترائهم ما اعترف به أكابر مفكريهم وعظماء ساستهم:

قال تولستوي: «ستعم الشريعة الإسلامية كل البسيطة؛ لأنها متآلفة مع العقل، وامتزاجها بالحكمة والعدل».

ويقول برتراندرسل: «قرأت عن الإسلام؛ فوجدت أنه دين جاء ليصبح دين العالم والإنسانية؛ أعتقد أن الإسلام قادم لأوروبا بكل الحب، وسيصبح المسلمون الأوروبيون دعاة حقيقيين للإسلام، وسيأتي يوم يصبح فيه الإسلام هو المحرك الحقيقي للعالم».

ويقول جوهان غوث: «الإسلام هو الدين الذي ستقرُّ به جميعًا، عاجلًا أو آجلًا، وأنا لا أكره أن يقال عني: أني مسلم، فالحق أقول: إن تسامح المسلم ليس من ضعف، ولكن المسلم يتسامح مع اعتزازه بدينه، وتمسكه بعقيدته».

ولذلك نقول للجاهل: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [يوسف:٢٦].

وأما الجاحد؛ فنقول له:

شهد الأنام بفضله حتى العدا ... والفضل ما شهدت به الأعداء

وانظر -غير مأمور- كتابي: «المستقبل للإسلام بفهم السلف الكرام».

فيما بعد؛ كما يزعم المفترون الذين لا غرض لهم سوى نشر الثقافة الأوروبية بين المسلمين دون ثقافة الإسلام، وبسط سيادة أوروبة على بلدانهم، بل كان السبب في تردِّي المسلمين؛ هو: أنهم اكتفوا في آخر الأمر من الإسلام بمجرد الاسم، والحال: أنَّ الإسلام اسم، وفعل[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر ما تقدم (ص٤٩).

حَثُّ القرآن على العلم

باعث للمسلمين على سبق الأمم في الرُّقي

العالم الإسلامي يمكنه النهوض والرُّقي واللحاق بالأمم العزيزة الغالبة؛ إذا أراد ذلك المسلمون، وَوَطَّنوا أنفسهم عليه، ولا يزيدهم إلا بصيرةً فيه وعزمًا، ولن يجدوا لأنفسهم حافزًا على العلم والفن خيرًا من القرآن الذي فيه: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩].

والذي فيه: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة:٢٤٧].

والذي فيه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧].

والذي فيه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨].

والذي فيه: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩].

والذي فيه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١].

والذي فيه: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة:١٢٩].

وفيه: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وفيه: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٥٤].

وغير ذلك من الآيات الكريمة، وفيه ما هو خاصٌّ بالأمة العربية: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢].

وقد زعم بعضهم -ومن جملتهم (سيكار) هذا الذي بالمغرب، قد ألف كتابًا في الطعن على الإسلام، وهو الذي يكتب في مجلة «مراكش الكاثوليكية»-: أن المراد بلفظة «العلم» في القرآن؛ هو: العلم الديني، ولم يكن المقصود به العلم مطلقًا؛ لنستظهر به على قضية تعظيم القرآن للعلم، وإيجابه للتعليم.

وقد أتى (سيكار) من المغالطة في هذا الباب ما لا يستحق أن يرد عليه؛ لما فيه من المكابرة في المحسوس.

وكلُّ من تأمل مواقع هذه الآيات المتعلقة بالعلم وبالحكمة وغيرها، مما يحث على السير في الأرض والنظر والتفكير: يعلم أنَّ المراد هنا بالعلم؛ هو: العلم على إطلاقه متناولًا كلَّ شيء، وأنَّ المراد بالحكمة؛ هي: الحكمة العليا المعروفة عند الناس،

وهي غير الآيات المنزلة والكتاب؛ كما يدلُّ عليه العطف، وهو يقتضي المغايرة.

ويعزز ذلك الحديث النبوي الشهير: «اطلبوا العلم ولو بالصين»[1].

فلو كان المراد بالعلم هو العلم الديني -كما زعم سيكار-: ما كان النبي ﷺ يحثُّ على طلبه ولو في الصين، إذ أهل الصين وثنيون لا يجعلهم النبيُّ مرجعًا للعلم الديني كما لا يخفى!

وفي بعض الآيات من القرائن اللفظية والمعنوية ما يقضي أنَّ المراد بالعلم: علم الكون؛ لأنه في سياق آيات الخلق والتكوين؛ وهي: في القرآن أضعاف الآيات في العبادات العملية؛ كالصلاة والصيام؛ كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٧- ٢٨].

أي: العلماء بما ذكر في الآية من الماء، والنبات، والجبال، وسائر المواليد المختلفة الألوان، وما فيها من أسرار الخلق لا العلماء بالصلاة، والصيام، والقيام.

---

(١) تتمَّته: «فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم»: رواه العقيلي، وابن عدي، والبيهقي، وابن عبد البر عن أنس، وفيه عند الأخير زيادة أخرى في فضل العلم، وله طرق يقوي بعضها بعضًا (ر).

قال أبو أسامة الهلالي -عفا الله عنه-: سبق تخريج هذا الحديث (ص١٧٢)، وانفصلت إلى القول: إنه موضوع.

وأما قول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله: «وله طرق يقوي بعضها بعضًا»؛ فإن أراد «اطلبوا العلم ولو في الصين»؛ فكثرة طرقه لا تقويه، ولا كرامة؛ لأنها بين موضوع ومتروك.

وإما إن أراد الزيادة؛ وهي: «فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم»؛ فنعم؛ فإن لها طرقًا يشد بعضها بعضًا؛ كما بيَّن ذلك شيخنا الأمام الألباني رحمه الله في «تخريج أحاديث مشكلة الفقر» (٨٦)، و«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٠)، و«صحيح الجامع الصغير» (٣٩١٣).

وقد كنا ظننا هذا الرجل على كلِّ شيء من حبِّ الحقيقة، فلما أنكر المدنية الإسلامية: رددنا عليه في «المنار»، وجادلناه بالتي هي أحسن، وعظَّمنا من قدر المدنية المسيحية، ووقَّرنا منها، ورددنا على القائلين من الأوروبيين بأنَّ النصرانية كانت وقفًا لسير المدنية، وسببًا لسقوط اليونان والرومان إلى غير ذلك.

فكان من (سيكار) هذا: أن نشر سلسلة مقالات تتضمن من الطعن على الإسلام ما لو جئنا نرده: لم نستغن عن إيراد شبه واعتراضات تتعلق بالدين المسيحي؛ مما نأبى أن نتعرض له؛ لأنَّه ليس من العدل، ولا من الكياسة، ولا من حسن الذوق: أن نغيظ إخواننا المسيحيين[1] من أجل رجل اسمه (سيكار)، أو غيره من هذه الطبقة من الدعاة والمبشرين، هذا رائدًا إلى ما رأيناه في كلامه من الخلط والخبط والمغالطة التي من قبيل قوله: «إن العلم المقصود في القرآن ليس هو العلم المعروف عند الناس بمفهومه المطلق، وإنما هو العلم الديني فقط؛ لأنَّ القرآن لا يهمه شيء من علوم الدنيا!»، فمكابر كهذا لا يستحق الجواب.

---

(١) الأخوة رابطة عقيدية سببها الإيمان؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠].

وأما الأخوة الإنسانية؛ فمصطلح ظاهره الرحمة، وباطنه من قبله العذاب؛ كما قال العلامة محمود شاكر رحمه الله في كتابه: «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا» (ص٨٢): «ألفاظ لها رنين وفتنة، وكلنها مليئة بكل وهم وإيهام، وزهو فارغ مميت فاتك، توغل بنا في طريق المهالك، وتستنزل العقل حتى يرتطم في ردغة الخبال».

وهذه مصطلحات ركز عليه الماسونيون؛ كما ذكر ذلك عبد الله التل رحمه الله في كتابه: «جذور البلاء» (ص٢٦٥-٢٧٤)، ومما ذكره مترجمًا لكلام اليهود: «كنا أول من اخترع كلمات الحرية والإخاء والمساواة التي أخذ العلماء يرددونها في كل مكان دون تفكير أو وعي، وهي كلمات جوفاء لم تحفظ الشعوب الجاهلة مدى الاختلاف، بل التناقض الذي يشيع في مدلولها؛ إن شعار الحرية والمساواة والإخاء الذي أطلقناه؛ قد جلب لنا أعوانًا من جميع أنحاء العالم».

ثم علمنا: أنَّ المسيو (سيكار) هذا هو من مستخدمي فرنسة في الرباط بإدارة الأمور الإسلامية، وأنه هو والميسو (لويس برينو) -مدير التعليم الإسلامي هناك- والقومندان (ماركو) -مدير قلم المراقبة على الجرائد والمطبوعات-، والقومندان (مارتي) -مستشار العدلية الإسلامية-، ورهط آخرون هم الذين لعبوا الدور الأهم في قضية العمل لتنصير البربر.

وما كان استخدام فرنسة لهم في مهمات كلّها عائدة للإسلام؛ إلا على نيَّة نقض كلّ ما يقدرون عليه من بناء الإسلام بالمغرب.

وستذوق فرنسا ولو بعد حين وبال ما عملته وتعمله من التعرض للدين الإسلامي الذي تعهَّدت في معاهداتها باحترامه.

إنا لا نريد لفرنسا إلَّا خيرًا، ولكننا ننصح لها بالعدول عن هذه السياسة التي هي على خطٍّ مستقيمٍ ضد المبادئ التي تعلنها عن نفسها، من أنَّ الأديانَ في نظرها

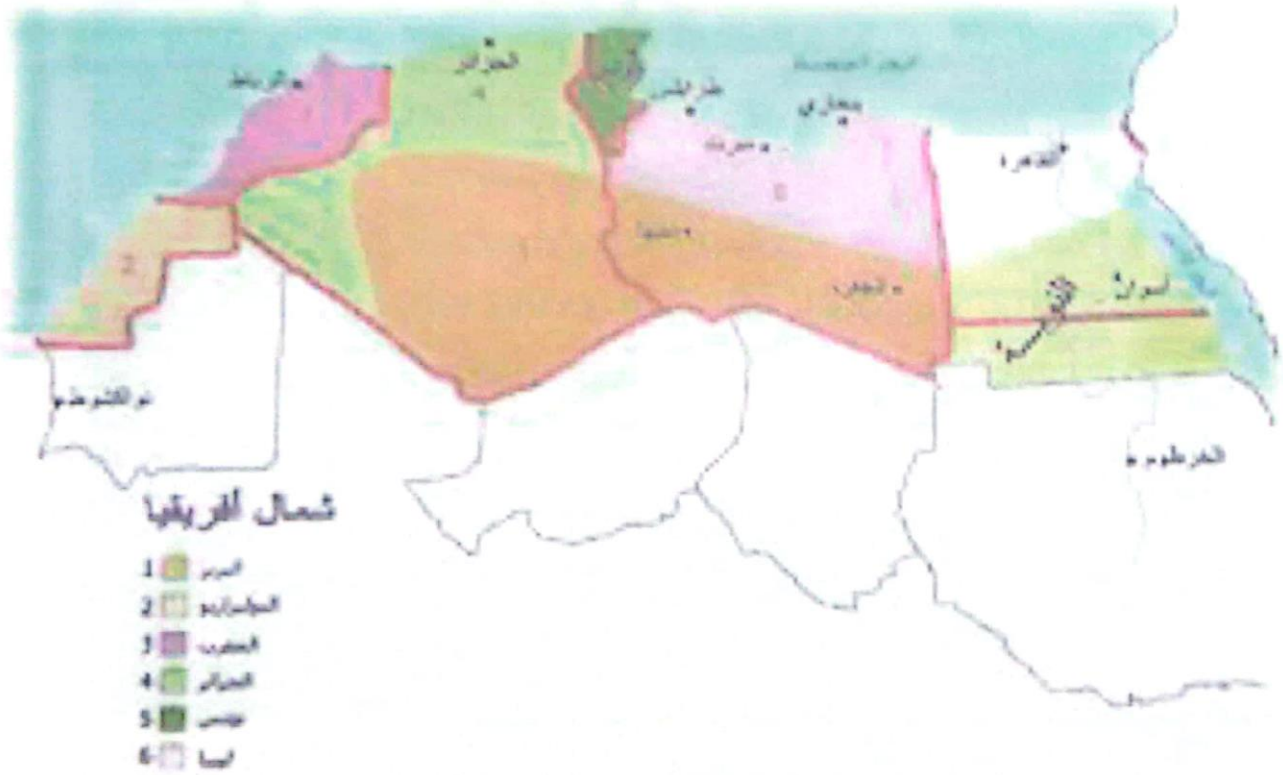

على حدٍّ سواء؟

فإن كانت الأديان عند الدولة الإفرنسية على حدٍّ سواء، فلماذا هذا الاجتهاد في تنصير البربر وهم مسلمون؟

ولماذا هذه المساعي الخبيثة في تنصير العلويين سكان جبال اللاذقية، وفي فصلهم عن الوحدة السورية؟

والحال: أنَّ العلويين هم فرقة من الفرق الإسلامية كما لا يخفى[1]، وكذلك ننصح الإنكليز بالعدول عن دعايتهم الدينية في السودان والأغاندة.

وننصح لهولاندة بترك دعايتها الدينية بين مسلمي إندونيسيا.

❁ ❁ ❁

---

(١) العلويون اسم استحدث للطائفة النصيرية؛ كما قال العلامة محب الدين الخطيب رحمه الله في تعليق له على كتاب: «المنتقى من ميزان الاعتدال» (ص١٠٥) للأمام الذهبي: «رأى النصيرية في الشام لأول مرة في تاريخهم: أن يغيروا اسم طائفتهم، فاختاروا لأنفسهم -أو اختار لهم الفرنسيون- اسم: العلويين...».

وقد بين عقائدهم وأحوالهم شيخ الإسلام ابن تيمية في عدة مواضع من «فتاويه» (٢٨/ ٥٥٣ و٣٥ / ١٤٥) ومما قاله (٣٥ / ١٦١): «كفار باتفاق المسلمين، لا يحل أكل ذبائحهم، ولا نكاح نسائهم، بل لا يقرون بالجزية، فإنهم مرتدون عن دين الإسلام، وليسوا مسلمين، ولا يهودًا، ولا نصارى! لا يقرون بوجوب الصلوات الخمس، ولا وجوب صوم رمضان، ولا وجوب الحج، ولا تحريم ما حرم الله ورسوله من الميتة والخمر وغيرها.

وإن أظهروا الشهادتين مع هذه العقائد فهم كفار باتفاق المسلمين، وهم اتباع أبي شعيب محمد بن نصير، وكان من الغلاة الذين يقولون: إن عليًّا إله».

ومما قاله (٣٥/ ١٤٥) في وصف النصيرية: «وهم دائمًا مع كلّ عدوٍّ للمسلمين؛ فهم مع النصارى على المسلمين».

... فاعتبروا يا أولي الأبصار!!

المصدر: STRATFOR, CIA World Factbook, وكالات أنباء

خرائط نيوز - الشرق الأوسط

كلمة لطلاب النهضة القومية دون الدينية

يقول بعض الناس[١]: ما لنا للرجوع إلى القرآن في ابتعاث همم المسلمين إلى التعليم، فإن النهضة لا ينبغي أن تكون دينية، بل وطنية قومية، كما هي نهضة أهل أوروبة.

ونجيبهم: أنَّ المقصود هو النهضة، سواء كانت وطنية أم دينية[٢]، على شرط أن تتوطَّن بها النفوس على الحَبِّ[٣] في حلبة العلم، ولكننا نخشى إن جردناها من دعوة القرآن أن تفضي[٤] بنا إلى الإلحاد والإباحة، وعبادة الأبدان، واتباع الشهوات؛ مما ضرره يفوت نفعه، فلا بدَّ لنا من تربية عملية سائرة جنبًا إلى جنب مع تربية دينية.

وهل يظن الناس عندنا في الشرق: أنَّ نهضةً من نهضات أوروبا جرت دون تربية دينية؟

وهل جرت نهضة اليابان دون تربية دينية؟

أفلم يقل رئيس نظار ألمانيا في الرايستاغ[٥] منذ ثلاثة سنوات: إن ثقافتنا مبنية على الدين المسيحي؟

---

(١) أي: ملاحدة المسلمين الجاهلين أو المتجاهلين لحال أوروبا في عصبيتها الدينية (ر).

(٢) ولكن المسؤول عنه هو نهضة المسلمين من حيث هم مسلمون (ر).

(٣) الإسراع.

(٤) تؤدي.

(٥) أي: البرلمان الألماني.

وهذا هو إعلان ألمانيا التي هي المثل الأعلى في العلم والصناعة وإتقان الآلات والأدوات، لا يتنازع في ذلك أحد، ولا أعداؤها.

أفتوجد جامعة في ألمانيا، أو إنكلترا، أو غيرها من المماليك الراقية من دون أن يكون فيها علم اللاهوت المسيحي[1]؟

ثم إنهم عندما يقولون: في أوروبا (نهضة وطنية)، أو: (نهضة قومية)، أو (جامعة وطنية)، أو: (قومية)، لا يكون مرداهم بالوطن: التراب، والماء، والشجر، والحجر، ولا بالقوم: السلالة التي كلها من دم واحد، وإنما الوطن والقوم عندهم لفظتان تدلان على وطن وأُمَّة، بما فيها من جغرافية وتاريخ، وثقافة وحرث، وعقيدة ودين، وخلق وعادة، مجموعًا ذلك معًا، وهذا الذي يناضلون عنه، ويستبسلون كل هذا الاستبسال من أجله.

❁ ❁ ❁

(١) وهذا بعد التربية المنزلية الدينية المحضة، والتربية المدرسية الابتدائية، وجلها دينية (ر).

أسباب انحطاط المسلمين في العصر الأخير

من أعظم أسباب انحطاط المسلمين في العصر الأخير: فقدهم كل ثقةٍ بأنفسهم؛ وهو: من أشد الأمراض الاجتماعية، وأخبث الآفات الروحية، لا يسقط هذا الداء على إنسان إلا أودى به[1]، ولا على أُمَّة إلا ساقها الى الفناء[2]، وكيف يرجو الشفاء عليل[3] يعتقد -بحق أو بباطل-: أن علَّته قاتلته؟ وقد أجمع الأطباء في الأمراض البدنية: أنَّ القوة المعنوية هي رأس الأدوية، وأن من أعظم عوامل الشفاء: إرادة الشفاء.

فكيف يصلح المجتمع الإسلامي، ومعظم أهله يعتقدون: أنَّهم لا يصلحون لشيء، ولا يمكن أن يصلح على أيديهم شيء، وأنهم إن اجتهدوا -أو: قعدوا-؛ فهم لا يقدرون أن يضارعوا[4] الأوروبيين في شيء؟!

وكيف يمكنهم أن يناهضوا الأوروبيين في معترك -وهم موقنون-: أن الطائلة الأخيرة ستكون للأوروبيين لا محالة؟

فصار مثلهم مع هؤلاء مثل أولئك الأقران[5] الذين يبطش بهم سيدنا علي ﷺ في وقائعه، فقد حدثوا: أنه سُمعت له في صفين أربعمائة تكبيرة، وكان من عادته -كرم

---

(١) أهلكه.

(٢) الزوال.

(٣) مريض.

(٤) يشبهوا.

(٥) الأشباه.

الله وجهه[1]-: أنه يُكبِّر كلما صرع قرنًا[2]، فقيل له في ذلك فأجاب:

كنت إذا حملت على الفارس ظننتُ أنّي قاتله؛ فكنت أنا ونفسه عليه.

وهكذا أصبح المسلمون في الأعصر الأخيرة: يعتقدون أنه ما من صراع بين المسلم والأوربي إلا سينتهي بمصرع المسلم، ولو طال كفاحه، وَقَرَّ[3] ذلك في نفوسهم، وتَخَمَّرَ في رؤوسهم، لا سيما هذه الطبقة التي تزعم: أنها الطبقة المفكرة الماقلة[4]، المولعة بالحقائق، الصادفة عن الخيالات بزعمها، فإنها صارت تقرر هذه القاعدة المشؤومة في كلِّ نادٍ، وتجعل التشاؤم المستمر والنعاب[5] الدائم من دلائل العقل وسعة الإدراك، وتحسب اليأس من صلاح حال المسلمين من مقتضيات العلم والحكمة.

وما زالت تنفخ في بوق التثبيط، وتبثُّ في سواد[6] الأُمَّة دعاية العجز، إلى أن صارَ الاستخذاء[7] ديدن[8] الجميع؛ إلا من رحم ربُّك، وكانت روحه من أصل فطرتها قوية عزيزة.

ولم تقتصر هذه الفئة على القول: بأنَّ حالة المسلمين الحاضرة هي متردية متدنية لا تقاس بحالة الإفرنج في قليل ولا كثير، بل زعمت : أنَّ التعبَ في مجاراة المسلمين

---

(١) هذا اصطلاح شيعي؛ يراد منه: تخصيص علي ﷺ وتعظيمه دون الصحابة ﷺ؛ فتنبه، ولا تكن من الغافلين!!

(٢) سيدًا.

(٣) ثبت ورسخ.

(٤) المنغمسة.

(٥) الصياح والصراخ.

(٦) عامة.

(٧) الاستكانه والخنوع.

(٨) عادة.

للإفرنج في علم، أو صناعة، أو كسب، أو تجارة، أو زراعة، أو حرب، أو سلم، أو أي منحًى من مناحي العمران؛ هو: ضرب من المحال، وشغل بالبعث لا يليق بالعاقل إتيانه، وكأنَّ المسلمين من طينة، والإفرنج من طينة أُخرى؛ فعُلُوُّ الإفرنج على المسلمين أمر لا بدَّ منه، وكأنه كتب في اللوح المحفوظ، وجفَّ به القلم، ولم يبق أمام المسلمين إلا أن يعلموا كونهم طبقة منحطة عن طبقة الإفرنجية، ويعملوا بمقتضى هذه العقيدة[1].

وكثيرًا ما وقعت لي مجادلات مع هؤلاء المفلسين بالفارغ، صغار النفوس، ولم يكن يدخل في عقولهم المنطق، ولا يعظهم التاريخ، ولا ينفع في إقناعهم علم الطبيعة، ولا التشريح، ولا يحيك بهم استنتاج ولا قياس؛ وذلك لما غلب عليهم من آفة الذُّلِّ، ومرض الاستخذاء، وقد أحس الأوروبيون بما عند المسلمين من هذه الحالة الروحية الموافقة لمصالحهم الاستعمارية؛ فصاروا يُرَوِّجونها فيهم، ويقوّون عندهم هذه العقيدة؛ فانطبق على هؤلاء الناعقين[2] بالبين الآية الشريفة: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة:١٠].

ولم يكن الإفرنجة وسعاتهم ودعاتهم بملومين على ترويج هذه النظريات التاعسة بين المسلمين؛ لأنها مما يسهِّل الاستعمار، ويمهِّد طرقه، ويكفيهم المقاتلات والمنازلات، ويُوَفِّر عليهم المزاحمات والسابقات، ويجعل لهم التفوق بلا نزاع، والتسلط دون جدال.

---

(١) هذا هو الوهن الذي أشار إليه رسول الله ﷺ في حديث تداعي الأمم، عندما أخبر عن مرحلة الغثائية التي ستعيشها الأمة الإسلامية؟
وانظر (ص١٠٢ و١١١).

(٢) الصائحين.

ولكن العجب كلَّ العجب من هؤلاء المسلمين الذين أمرهم الله ليتصفوا بالعزَّة، ويتسموا بالأنفة، ويستوفوا تمام الرجولة، كيف كانوا ينقادون لهذه الأضاليل التي مآلها عبوديتهم للأجانب، لقد صدق فيهم كلام الله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة:٤٧].

وأكثر ما كانوا يُؤكدُّونه للناس من عدم قابلية المسلمين هو استحالة قيامهم بالمشروعات العمرانية، والأعمال المادية، وكلُّ ما يتعلَّق به حساب ورقم، أو مساحة وقياس.

فإذا قلت لهم: إن كان المسلمون لا يحسنون هذه العلوم كما تزعمون، فكيف استطاعوا أن يؤثروا هذه الآثار الباهرة التي يؤمها السياح من أقاصي الدنيا؟

وكيف ملأوا مصر والشام والعراق والمغرب وإيران والهند والقسطنطينية وغيرها مباني ومؤسسات تبهر الأبصار، وتُحيِّر الأفكار، وكانت لهم معامل ومناسج ودور صناعات متنوعة..، وغير ذلك مما يعد في الصناعة من الطراز الأول؟

أجابوك: قد كان هذا قبل أن يرقى الإفرنج هذا الرُّقي الحديث، وقبل أن يكتشفوا أسرار الكون التي كشفوها، وغير ذلك مما ليس بجواب عن هذا الخطاب، والموضوع هو في وادٍ، وهذا في واد.

فنحن نريد أن نقول: إنَّ كلَّ من سار على الدرب وصل، وإن المسلمين إذا تعلَّموا العلومَ العصريةَ استطاعوا أن يعملوا الأعمال العمرانية التي يقوم بها الإفرنج، وإنه ليس هناك فرق في القابلية البشرية، ولكن على شرط أن ينفض المسلمون عن أنفسهم غبار الخمول[1]، ويلغوا هذه القاعدة التي قد كانت من أسباب شقائهم زمنًا طويلًا؛ وهي: أن كلَّ عمل عمراني في الشرق لا بدَّ من أن يستعار له شركة أوروبية؛ لتقوم به،

---

(١) الكسل.

وإلا فلا يستطاع عمله[1].

(١) ولا زال هذا هو المستقرُّ في أذهان الحكومات الإسلامية، والمستوطن في قناعات الشعوب المسلمة، وعوامُّهم يُعبِّرون عن ذلك بقولهم: «كل فرنجي برنجي!!».
وتناسى هؤلاء المثبطون: أن معظم مصانع أوروبة وأمريكا وغيرها من دول الغرب، ومراكز البحث العلمي، تديرها أدمغة عربية مسلمة مهاجرة؛ لأنها حوربت في بلادها، ومارست عليها الأنظمة الحاكمة باتفاق مع الأنظمة الغربية استبدادًا؛ لتهرب من بلاد المسلمين، فكان لهم ما خططوا له.. فاحتضنهم الغرب.. وقدَّم لهم كلَّ ما يريدون.. ويشتهون.. وما لا يحلمون به في بلادهم!!
ومن هؤلاء:
١- **فاروق الباز**: الذي ساهم في البرنامج الفضائي (أبولو) للهبوط على سطح القمر، وشغل مدير الاستشعار عن بعد في جامعة بوسطن؛ حيث تتداخل علوم الفضاء والجيولوجيا والجغرافيا والآثار والبيئة، وهو واضح «نظرية الصحارى»؛ حيث نال عنها لقب: زميل في المؤسسة الأمريكية للتقدم العلمي (aaas).
٢- **منير نايفة**: أستاذ فيزياء في جامعة إيلينوي، تصدى للأجابة عن سؤال (ريتشارد فاينمان) -أعظم علماء الفيزياء في القرن الماضي، والحاصل على جائزة نوبل في الفيزياء-: ماذا يمكن أن يحدث لو استطعنا بدلًا من تفجير الذرات التحكم بحركتها، وتغير مواقعها، وإعادة ترتيبها؟
اعتقد (فاينمان) -في سنة (١٩٥٩م)-: أن جواب سؤاله مستحيل... لكن بعد عقدين استطاع منير نايفة القادم من فلسطين المسلمة تحريك الذرات المنفردة ذرة ذرة.
رسم منير نايفة بواسطة الذرات صورة تمثل القلب وحرف (p)، واختارتها مجلة (new scienrist) أوسع المجلات العلمية انتشارًا صورة لغلافها، حيث ذكرت المجلة: أن منير نايفة اختار الحرف (p)؛ لأنه يمثل الحرف الأول من كلمة (physics) تعبيرًا عن حبه للفيزياء، ولكن منير نايفة اختار الحرف (p)؛ لأنه الحرف الأول من وطنه (فلسطين)، واختار القلب؛ ليقول العالم بأجمعه، وبلغة عالمية: إن فلسطين الوطن المنسي عند الغرب، الملغي من خارطة العالم.. مكتوب بالذرات في قلوبنا!
٣- **أحمد زويل**: عالم كيميائي من مصر المحروسة، واضع نظرية (الفيمتو ثانية)، وقد حصل على جائزة نوبل في الكيمياء سنة (١٩٩٩م).
وغيرهم عشرات بل مئات من العلماء الذين لم يجدوا لهم موطئ قدم في أوطانهم. =

هبوط أبولو على سطح القمر

ولقد أتت التجارب بعد ذلك بما يثبت فساد هذه النظرية بتمامها، وتمكن المسلمون في كثير من البلاد من إنشاء شركات صناعية وتجارية، وتأسيس معامل ومناسج، ودور صناعة نجحت نجاحًا باهرًا كَذَّب مزاعم تلك الفئة المثبطة، وصيَّرها موضوعًا للهزء.

= ومن الغريب: أن الغربيين يعترفون بذلك، ففي (١٨-٢١/ ٤/ ٢٠٠٩م) استضافت جامعة الملك سعود (جونتو بلويل) -الأستاذ بمعهد هوارد هوجس الطبي بجامعة روكيفلير بنيويورك، والحاصل على جائزة نوبل في علم وظائف الاعضاء عام (١٩٩٩م)-، حيث صرح قائلًا: «هناك مجموعة من العلماء العرب الذين يعملون في مناصب قيادية، ويقودون التكنولوجيا في أمريكا، وهؤلاء العلماء أوطانهم أولى بخدمتهم وجهدهم العلمي والفكري» (جريدة الرياض).

ولما عزم السلطان عبد الحميد الثاني العثماني على مَدِّ سكة حديدية من دمشق إلى الحرمين الشريفين قوبل هذا المشروع أوانئذ بمزيد الاستغراب تبعًا للعادة، ومن الناس من ضحكوا به، وقالوا:

نحن نرى أنفسنا عاجزين عن إنشاء طريق عجلات، فكيف نستطيع أن ننشئ سكةً حديديةً طولها يزيد عن ألفي كيلومتر، وأنَّى لنا المال والعلم اللازمان لمشروع عظيم كهذا؟

وأغرب من تشاؤم المسلمين وشعورهم بالعجز عن القيام بهذا العمل: أن المهندس الألماني الكبير (مايستر باشا) الذي انتدبه السلطان لرئاسة مهندسي هذا الخط هو نفسه كان لا يعتقد إمكان إنشاء هذا الخط، وكان هذا الرجل صديقي؛ فسألته مرَّة عن رأيه فيه؛ فقال لي: إنه يرجو إيصاله إلى معان، وهي مسافة أربعمائة كيلومتر من دمشق، فأمَّا مَدُّه من معان إلى المدينة؛ فيكاد من المستحيل.

فسألته: هل ذلك من عدم وجود المال؟

قال: على فرض وجود المال؛ فإن دون إنشاء الخط موانع طبيعية يتعذر التغلب عليها، فإنَّ السِّكَّة يلزم لها ماء في كلِّ محطة، والماء لا يوجد إلا في محطات معدودة، وإن أنشأنا صهاريج تملأ بماء المطر لم يؤمن أنَّ الحرارة في الصيف تنشف بشدتها مياة الصهاريج.

وهناك صعوبة أخرى؛ وهي: أن الخطَّ سيمتد في أمكنة كلها رمال، وقد تهب الرياح السافياء؛ فتأتي برمال تغطي الخط، ولا يمكن منع ذلك إلا بزرع الحلفاء والقصب والطرفاء، وكل هذا يلزمه ماء حتى ينمو، وأين الماء من تلك الأراضي؟ هذا كان كلام المهندس الكبير لي من جهة الطبيعة، ثم ذكر الخطر الواقع على الخط من أعراب البادية.

فأما أنا؛ فكنت معتقدًا خلاف اعتقاد الآخرين قائلًا: بأن ليس ثمة صعوبات لا يستطاع تذليلها، وكنت من الذين ينددون بالمتشائمين والمتهكمين، ونظمت في هذا المشروع قصيدة أحثُّ بها الأمة على التبرُّع لأجله، وتبرعت أنا من جيبي بخمس عشر جنيهًا، وذكرت ما سيكون لهذا الخط من الفوائد العمرانية والاقتصادية والعسكرية، فضلًا عن تسهيل الحج الذي هو هدفه الأسمى، وكان مطلع قصيدتي:

ألا يا بَني الإِسلامِ هَل مِن مُساعِدٍ لفعلٍ سماويِّ المثوبةِ ماجِدِ

فلما طبعت القصيدة ونشرتها: سلقني الكثيرون من أولئك الغربان بألسنة حداد، وكأني في تنويهي بمشروع يربط الشام بالحجاز، ويختصر المسافة بينها على الحجاج من (٤٠) يومًا إلى أربعة أيام، وهزأوا ما شاؤوا، وتمنطقوا بقدر ما أرادوا.

ولكن تلك الفلسفة لم تُجدِهم فتيلًا، ونجز الخط الحديدي من دمشق إلى المدينة

المنورة، وهي مسافة ألف وأربعمائة كيلو متر، ولولا خلع السلطان عبد الحميد[1]؛

(١) في (٢٧/ ٤/ ١٩٠٩م) قرر البرلمان العثماني، بموجب فتوى من شيخ الإسلام محمد ضياء الدين أفندي، خلع السلطان عبد الحميد الثاني، ونفيه إلى (سلانيك)، وتنصيب أخيه محمد رشاد باسم السلطان محمد الخامس (١٩٠٩- ١٩١٨).

والذي بلغة قرار الخلع هو النائب التركي اليهودي (عمانويل قره صو)؛ مما يؤكد دور اليهود في هذا القرار، وقد أكد السلطان هذه الحقيقة بنفسه؛ ففي سنة (٢٠٠٩م) كشفت عائلة محمد أبو الشامات عن الخطاب السري الذي أرسله السلطان عبد الحميد الثاني إلى شيخه الشاذلي أبو الشامات؛ حيث شرح له الأسباب الحقيقية وراء خلعه عن عرش السلطنة العثمانية.

وقد قام عمار أبو الشامات حفيد الشيخ محمود أبو الشامات بتسليم النص الأصلي للرئيس السوري، واطلع وكالة أنباء (جيهان) على نسخة الرسالة، وإليك نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين.

وبعد: فإني أرفع خطابي هذا إلى باعث الروح والحياة إلى الأجساد؛ سيد الجميع: شيخ الطريقة الشاذلية: سيدي محمود أبو الشامات.

وذلك بعد تقبيل يديه المباركتين، والتماس دعواته، وتقديم سلامي واحترامي له.

لقد وصلني خطابكم في الثاني من شهر مايو من السنة الماضية، وإني أحمد الله -تبارك وتعالى- وأشكره على موفور صحتكم وعافيتكم.

سيدي: إنني أواظب ليل نهار على قراءة أوراد الطريقة الشاذلية، والقيام بواجباتها، وأحمد الله على توفيقه لي لأداء هذه الواجبات، وإنني لفي أمس الحاجة إلى دعواتكم القلبية.

وبعد هذه المقدمة: أعرض من باب الأمانة التاريخية هذه المسألة المهمة على ذوي العقول السليمة من أهل السماحة والرشاد؛ وهي: أنني لم أتخل عن الخلافة لأي سبب من الأسباب؛ لكني أجبرت على تركها بسبب تضيق وتهديد رؤوساء جمعية الاتحاد والترقي المعروفين باسم (الجون ترك).

كان هؤلاء الاتحاديون يلحون في إصرار على قبولي إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين والأراضي المقدسة، ورغم إلحاحهم وتهديداتهم؛ فلم أقبل مطلقًا بهذا العرض، رغم أنهم =

= وعدوني بـ(١٥٠) مليون ليرة ذهبية. وقلت لهم: لو أعطيتموني ملء الأرض ذهبًا، وليس (١٥٠) مليون ليرة ذهبية ما قبلت أبدًا.

لقد خدمت الأمة الإسلامية المحمدية لمدة تزيد عن (٣٠) سنة، ولم أُشَوِّه أو أُلَطِّخ صفحات آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء المسلمين.

وبناء عليه اتفقوا على خلعي عن العرش، وأخبروني: أنهم سينفونني إلى (سلانيك)، فقبلت العرض الأخير.

وإنني أحمد الله -تبارك وتعالى- على أنني رفضت عرضهم الذي سيكون بمثابة وصمة عار في جبين الدولة العثمانية والعالم الإسلامي.

ثم جرى ما جرى بعد ذلك؛ فلله الحمد والمنة على كل شيء.

ويكفيني إلى هنا الحديث في هذم المسألة المهمة.

واختم خطابي هذا بتلك الكلمات، مقبلًا أياديكم المباركة، ومتمنيًا وراجيًا أن تقبلوا مني فائق احترامي، ثم سلامي إلى جميع إخواني وأصدقائي.

يا أستاذي الجليل؛ لقد أطلت حديثي في هذا الباب مضطرًا إلى ذلك حتى يحيط الجميع وذوو السماحة والرشاد بهذه المسألة المهمة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

خادم المسلمين

عبد الحميد

عن صحيفة «أخبار العالم»

السبت الموافق ٢٤/ ٤/ ٢٠١٠

لقد كان أول أتصال بين هرتزل رئيس الجمعية الصهيونية والسلطان عبد الحميد سنه (١٩٠١م) بعد وساطة قام بها سفير النمسا في استانبول؛ حيث عرض هرتزل على السلطان إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين مقابل مئات الملايين من الليرات الذهبية، لكن السلطان عبد الحميد رفض، وقال في «مذكراته» عن سبب هذا الرفض: «إننا نكون قد وقعنا قرارًا بالموت على إخواننا في الدين».

يقول المؤرخ التركي نظام الدين نظيف في كتاب: «إعلان الحرية والسلطان عبد الحميد الثاني»: «... عندما رد طلب الوفد اليهودي -المسند من قبل الامبراطور وليم- في الحصول على وطن لهم؛ أي: عندما خاب هرتزل في مسعاه اشتد العداء ضد (يلدز)، وهذا ما كان =

لكان قد تَمَّ إلى البلد الحرام، ولكن من بعده فَتَرت الهمَّةُ بإكماله، وجاءت الحرب وعواقبها؛ فقضت بإهماله.

ثم إنَّ هذا الخط جاء من أبدع الخطوط الحديدية في العالم، صادفتُ مرَّة فيه أحد كبراء مسلمي الهند من أعضاء مجلسها الأعلى، وهو ممن تثقفوا ثقافة إنكليزية محضة، وتخرج من جامعة أكسفورد؛ فقال لي: لا يوجد في نفس إنكلترا سكة حديدية تضاهي في الاتقان هذه السكة، ولو لم أشاهدها بعيوني ما صدَّقت بوجودها.

وبالفعل لم يصدق كثير من المسلمين أخبارها؛ فأرسلوا وفودًا يشاهدونها بأعينهم، فكان المسافر يصل من دمشق إلى المدينة في ليلتين، وكانت دمشق تستفيد كل سنة من هذا الخط ما يقارب (٢٠٠) ألف جنيه، وعمرت القرى التي مرَّ بها الخط، وارتفعت أثمان الأراضي ارتفاعًا مدهشًا، وتضاعف عمران المدينة المنورة أضعافًا، هذا فضلًا عما توفر من المشاق والأخطار على الحجاج والزائرين والتجار والمسافرين.

وأما الصعوبات الطبيعية التي كانوا يقدرونها؛ فلم يصحَّ منها شيء!

= يتوقعه عبد الحميد؛ لأن اليهود قوم يتقنون العمل المنظم، وكانت لديهم قوى عديدة تضمن لهم النجاح في مسعاهم؛ فالمال متوفر لديهم، وكانوا يسيطرون على أهم العلاقات التجارية الدولية، وكانت صحافة أوروبة في قبضتهم، فكان في مقدورهم إطلاق العواصف التي يريدونها لدى الرأي العام متى شاؤوا...

بداؤا أولًا بتحريك الصحافة العالمية، ثم أخذوا بتوحيد أعداء عبد الحميد الذين نشاؤوا في ذلك المجتمع العثماني الخليط: نجد أنصار المشروطية يتخذون طابعًا منظمًا وهجومًا، علمًا بأنهم حتى ذلك الوقت متفرقين، ويعملون دون نظام ودون تنسيق؛ إذ لم يكن صعبًا عليهم توحيد أعداء عبد الحميد الذين نشأوا في ذلك المجتمع العثماني الخليط.

وقد أخذ (المشرق الأعظم الماسوني الإيطالي) على عاتقه هذه المهمة في التوحيد والتنسيق؛ لأنه كان أقرب مركز ماسوني للامبراطورية العثمانية. ولعبت المحافل الإيطالية وخاصة محفل (زيزوتا) في (سلانيك) دورًا ملحوظًا»!!

وأما الأعراب؛ فلم يقع منهم على الخط أدنى اعتداء!

وكان عند كلِّ محطة من محاط الخط قلعة فيها جند للمحافظة، وكل تلك المحطات والقلاع كانت مبنية أمتن بناء.

ولما كان لا يتاح لغير المسلمين دخول أرض الحجاز؛ فكان إنشاء الخط؛ أي: القسم الداخل منه في الحجاز كله على أيدي مهندسين مسلمين، حتى أن مايستر باشا الألماني نفسه لم يتجاوز في إشرافه بلدة تبوك.

ولما ذهبت إلى المدينة المنورة زائرًا النبي ﷺ[1]، وذلك سنة (١٣٣٠هـ)[2] كنت أسمع: أن عدم مَدِّ الخط الحديدي من المدينة إلى مكة نشأ عن اعتراض قبائل العرب من حرب[3] وغيرها، وأنهم لا يسمحون بمرور خط في أراضيهم؛ ففحصت عن هذه القضية؛ فوجدت أكثرها هراء وافتراء، وسألت شيوخ القبائل عما يُقال من معارضتهم في إنشاء السكة؛ فقالوا: لو كنا معارضين لإنشائها؛ لعارضنا ذلك من أوَّل دخولها في أرض الحجاز، والحال: أننا كنا مساعدين للحكومة على هذا المشروع بكل قوانا، فسألتهم التوقيع على عريضة للدولة يطلبون فيها تمديد هذا الخط من المدينة إلى مكة؛ فوقَّع عليها جَمٌّ[4] من أولئك المشايخ، ولم تكن الدولة عهدت إليَّ بهذه المهمة، وإنما قمت بها خدمة للوطن وللمِلَّة.

---

(١) المسلم يقصد زيارة مسجد النبي ﷺ لا قبر النبي ﷺ، وانظر: «الصارم المنكي» للإمام ابن عبد الهادي رحمه الله.

(٢) انظر رحلته إلى ديار الحجازية المسماة: «الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف»؛ ففيها تفاصيل هذه الجملة.

(٣) قبيلة عربية عريقة، استقرت في منطقة الحجاز بين الحرمين، ويوجد لها فروع في بعض الدول العربية.

(٤) عدد كثير.

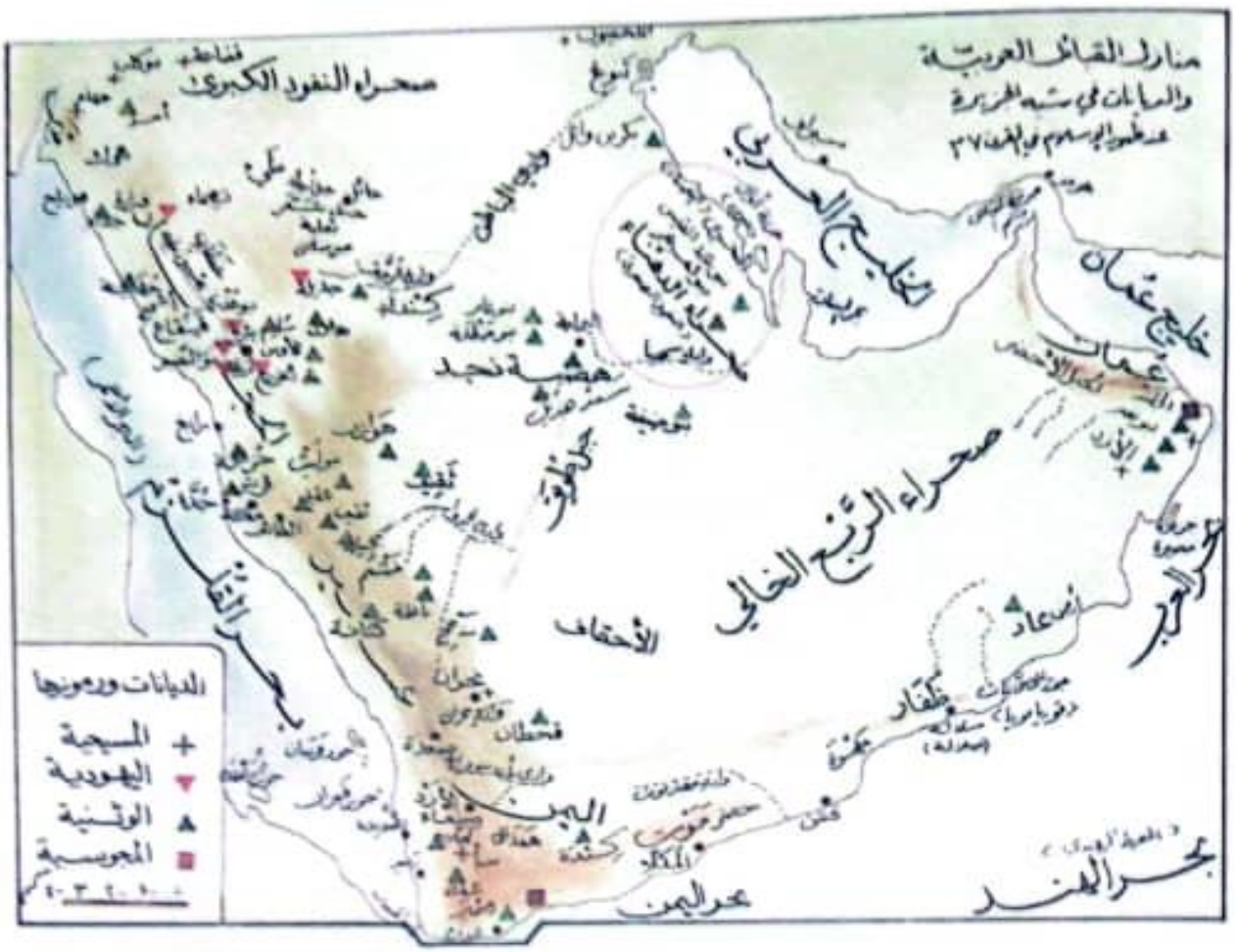

ولولا طروء[1] الحرب العامة بعد ذلك بقليل؛ لكان بوشر بمد الخط الحديدي من المدينة إلى مكة، فلما انتهت الحرب العامة، واحتلت إنكلترا فلسطين، وفرنسا سوريا: كان أول ما توجهت إليه همم الإنكلترا والفرنسيس هو تعطيل هذا الخط الحديدي الذي يربط القطر الشامي بجزيرة العرب، ويقرب صلات المسلمين بعضهم ببعض.

وكم احتج المسلمون على تعطيل هاتين الدولتين لهذا الخط الحيوي للشام والحجاز، وكم أبدوا وأعادوا في أن هذه السكة الحديدية الحجازية كانت تركيا قد جعلتها من جملة أوقاف المسلمين؛ فلا يحق لدولة أجنبية أن تعبث بأوقافهم، فلم يكن ذلك ليقنع تينك الدولتين بالاعتدال ورفع الاعتداء، ولا تزال هذه المؤامرة الفظيعة على هذا الحق المقدس من حقوق المسلمين نافذة إلى يوم الناس هذا.

---

(١) حدوث.

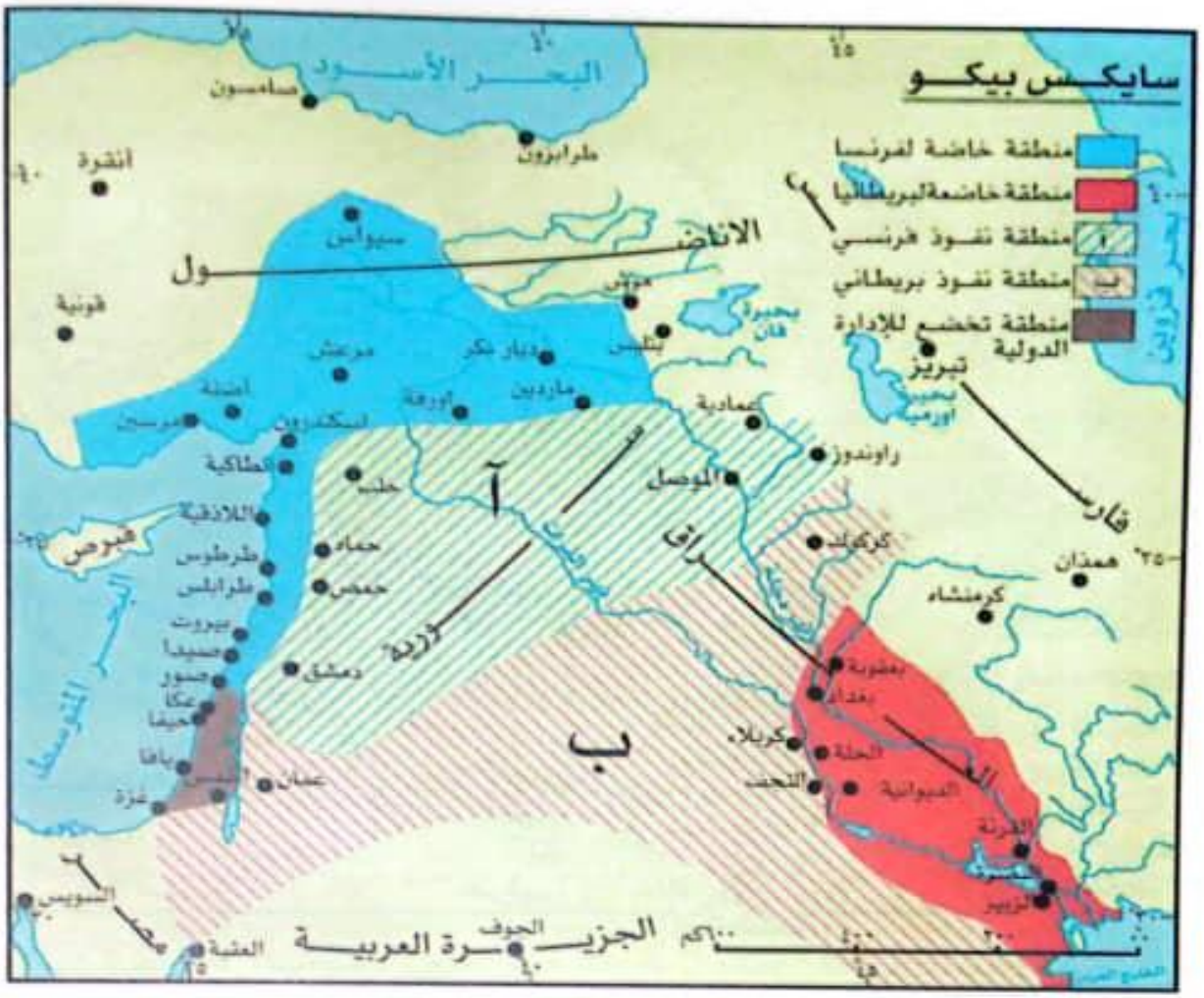

فإذا قام شخص مثلنا يذكرهم بهذا الاعتداء القبيح ضاقت صدورهم به، ودسَّ عليه الإنكليز في السِّرِّ، وطعن عليه الفرنسيس في الجهر، ونعتوه: «بعدو فرنسا»، وما أشبه ذلك.

والحال: أننا إنما نريد صلاح أحوال بلادنا، ولا نضمر لأحد سوءًا.

والشاهد الذي نقصده هنا؛ هو: ما سبق إنشاء سكة الحجاز من تشاؤم كثير من المسلمين، واستهزائهم، واستنكارهم، وتأكيد أنه خط محال إنشاؤه، ومشروع يكون من قلَّة العقل تعليق الأمل به.

وهذا مثال من أمثلة كثيرة لا يمكن استقصاءها من كثرتها، فقلما تدخل بلدًا من بلدان الإسلام، ولا يوردون لك من هذه الأمثال.

وكما ظَنَّ المسلمون: أنهم لا يحسنون شيئًا من المشروعات العمرانية، وأنه لا بُدَّ لهم من الأوروبي حتى يُدْخِلوا الإصلاح في بلادهم، وأنه من دون الإفرنجي لا يقدرون على أية عمارة، ولا مرفق ذي بال، كذلك ذهبوا إلى أنه لا حظ لهم في الأعمال الاقتصادية أصلًا، وأن كل مشروع اقتصادي إسلامي صائر إلى الحبوط إن لم تكن له أركان إفرنجية.

وقد طال نومهم على هذه العقيدة الفاسدة؛ حتى لم يبق في بلادهم شيء اسمه اقتصاد إلا كانت إدارته بأيدي الإفرنج، أو اليهود، وحتى لو دعا منهم داع إلى تأليف شركة تجارية أو صناعية أو زراعية لم يدخلها صاحب رأس مال من المسلمين إلا إذا كانت إدارتها بيد إفرنجي أو يهودي، وكلمة الجميع عندهم: نحن لا يخرج من أيدينا عمل، ولا نصلح لشيء.

وقد بقي اليهود والإفرنجة يتمتعون بخيرات بلاد الإسلام قرونًا وحقبًا طوالًا دون مزاحم ولا مراغم، ويَسْتَدِرُّون فيها أَخْلَافَ[1] كلِّ صنعةٍ، ويَسْتَوْرُونَ زِنادَ كلِّ مرفق؛ إلا ما ليس له بال، حتى ولو قُدِّرَ ما ضاع على المسلمين في ظلِّ هذا الوهم بالمليارات وعشرات المليارات ما كانت فيه مبالغة، وكأن المسلمين لم يوجدوا في الدنيا إلا عَمَلَةً، أو أَكَرَةً[2] يشتغلون بأيديهم، ولا يشتغلون بعقولهم.

وبهذا السبب خلا الميدان في بلاد الإسلام لأصناف الأجانب يُرْكِضون فيه جياد قرائحهم وعزائمهم، ويجمعون الثروات التي ليس وراءها متطلع لمزيد؛ وذلك على ظهور المسلمين ومن أكياسهم.

وقد يكثر التحدث بما يصيب الأجانب من هذه المكاسب الطائلة التي كان أهل

---

(١) جمع: خلف؛ وهو: ضرع الناقة.

(٢) جمع: أكَّار؛ وهو: الحرَّاث.

الإسلام أولى بها؛ لأنها من بلادهم، ولا تحفزنهم همة، ولا تأخذهم غيرة؛ فيجربوا الخب في الحلبات الاقتصادية إلى أن نبغ في مصر محمد طلعت باشا حرب[1]، فكان في هذا الباب أُمَّة وحده، وأدرك بواسع عقله، وثاقب فكرة: أن ليس في الموضوع شيء يفوق طاقة المسلمين، ولا مما يتعذر وجود أدواته عندهم، وأن قصورهم فيه عن مباراة الأجانب لم يكن إلا من آثار ذلك التوهم القديم؛ الذي هو: أنهم لا يحسنون الجري في أي ميدان من ميادين الاقتصاد؛ وقد وجدت عند هذا الرجل في جانب رجاحة العقل وسداد الحكم همة بعيدة قسعاء[2]، ونزعة وطنية صافية من الأقذاء[3]، سالمة من الأهواء؛ فاجتمعت فيه جميع الشروط اللازمة لمن شاء أن يبدأ بالشرق بنهضة اقتصادية تزاحم بالمناكب، وثبات الأجانب، ومما يندر في الرجال الجمع بين الحساب الدقيق، والخيال الواسع، وهما قد انتظما جنبًا إلى جنب في دماغ طلعت باشا

---

(١) هو محمد طلعت بن حسن محمد حرب، ولد في القاهرة سنة(١٨٦٧م)، من كبار رجال الاقتصاد في مصر؛ أسس بنك مصر ومجموعته؛ وهي: عدة شركات تحمل اسم مصر؛ مثل: شركة مصر للغزل والنسيج، ومصر للطيران، ومصر للتأمين، ومصر للسياحة، واستديو مصر، مصر للمستحضرات الطبية والتجميل.

قال عنه جاك بيرك: «إن ميزته الأولى كانت في إدراكه للقوة الكامنة والإمكانيات الهائلة التي لم تستعمل بعد عند مواطنيه».

وقال عنه إيريك ديفيز: «تجربة طلعت حرب في التنمية جديرة حقًّا بالتأمل والدراسة؛ إذ نجح الرجل عبرها في عقد تزواج ناجح ومثمر بين الصناعة والبنوك، حيث قام بنك مصر بتمويل الشركات الصناعية الانتاجية، ونهض بها مؤسسًا قلعة مصر الاستثمارية، ومقدمًا في الوقت نفسه منظومة اقتصادية متكاملة عاشت مصر في رحابها النصف الأول من القرن الماضي».

توفي سنة (١٩٤١م)، ورثاه كبار الأدباء والشعراء حتى قال فيه أحمد شوقي:

ما زلت تبني ركن كل عظيمة حتى أتيت برابع الأهرام

(٢) ممتنعة ثابتة.

(٣) الأكدار والأقذار.

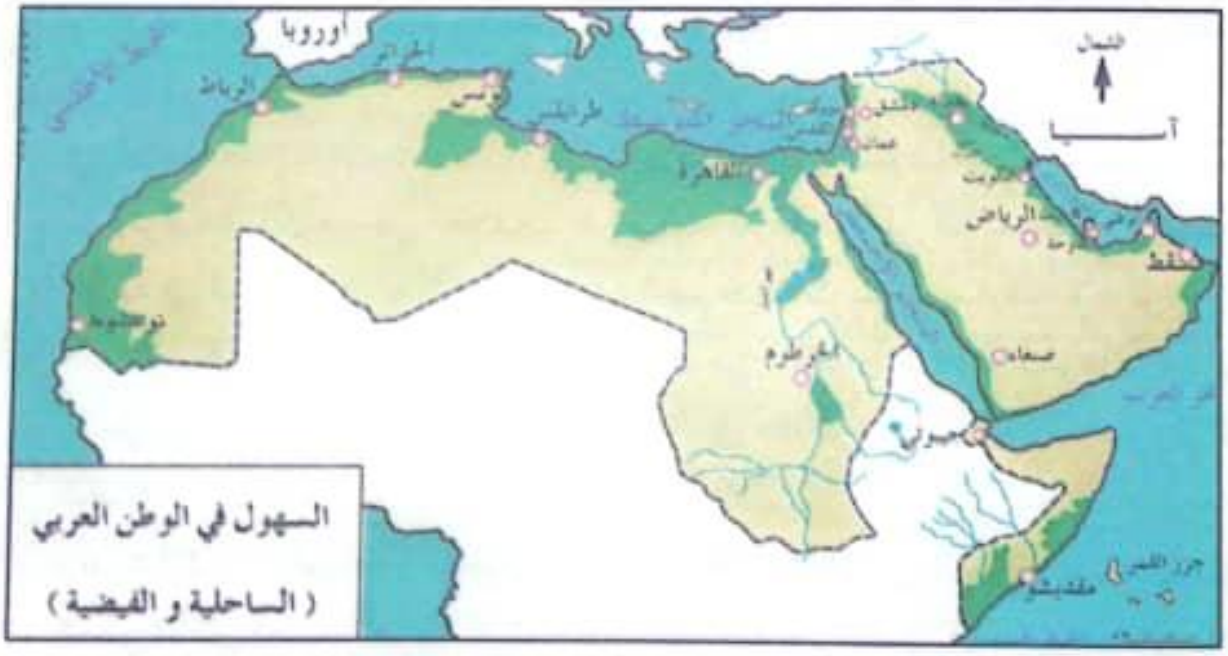

حرب، فكانت سعة خياله مساعدة له على الإقدام نحو المشروعات التي هي مظان الأرباح، وكانت دقة حسابه مساعدة له على نجاحها، وضمان أرباحها.

وبالاختصار اقتحم طلعت حرب معركة هي الأولى من نوعها في المجتمع الشرقي عندما باشر في جمع رأس المال الذي كان حدَّده لإنشاء بنك مصر[1]؛ وهو:

---

(١) في سنة (١٩٢٠م) تقدم الاقتصادي المصري الشهير محمد طلعت حرب بفكرة إنشاء بنك مصري، ذو رسالة اقتصادية، وقام بتنفيذها على أرض الواقع، حيث وصل عدد المشاريع التي يساهم فيها (٢٢٠) مشروعًا في عدة مجالات اقتصادية.

وهو بنك ربوي خاضع لنظام الاقتصاد الرأسمالي الحر، الذي نقطة الارتكاز فيه: المعاملات الربوية، ولذلك؛ فإن هذه النهضة الاقتصادية التي أرساها بنك مصر برعاية مؤسسه طلعت حرب نهضة اقتصادية وطنية مصرية، وليست نهضة اقتصادية إسلامية... وشتان ما بينهما... فالإسلام حرم الربا مهما كانت أهدافه أو غاياته أو وسائله: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا﴾ [البقرة:٢٧٥].

ولقد ذاق الاقتصاد العالمي ويلات الربا خلال الأزمة الاقتصادية العالمية سنة (٢٠٠٨م) والتي تعد الأخطر من نوعها منذ زمن الكساد الكبير سنة (١٩٢٩م) حيث انهارت عشرات البنوك العالمية.

ولقد اعترف كبار اقتصاديي العالم: أن سببها النظام الربوي، وأن الحل في الاقتصاد الإسلامي.

في افتتاحية مجلة (تشالينجز)؛ كتب رئيس تحريرها (بوفيس فانسون) موضوعًا بعنوان (البابا أو القرآن) تساءل فيه عن أخلاقيات الرأسمالية، ثم قال: «أظن أننا بحاجة أكثر في هذه الأزمة إلى قراءة القرآن بدلًا من الإنجيل؛ لفهم ما يحدث بنا وبمصارفنا؛ لأنه لو حاول القائمون على مصارفنا احترام ما ورد في القرآن من تعاليم وأحكام، وطبقوها ما حلَّ بنا ما حلَّ من كوارث وأزمات، وما وصل بنا الحال إلى هذا الوضع المزري؛ لأن النقود لا تلد النقود».

وقد تنبأ كبار الاقتصاديين بخطورة الربا على النظام الاقتصادي العالمي مثل الاقتصادي العالمي الألماني (سليفيوجيزل) حيث أرجع سبب عدم نمو المال إلى الربا، ووافقة على ذلك الاقتصادي الكبير الدكتور (شاخت) في محاضرة له بدمشق (١٩٥٣ م).

بعد أن ذاقوا ويلات الربا اعترفوا -وهم كارهون-: بإن الاقتصاد الإسلامي هو الحل؛ فقد دعى رئيس صحيفة (لوجورنال) الدكتور (فينانس رولان لا سكين) إلى ضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية في المجال المالي والاقتصادي لوضع حدٍّ لهذه الأزمة التي تهز أسواق =

= المال في العالم؛ حيث عرض (لاسكين) في مقالته: «هل تأهلت وولستريت لاعتناق مبادئ الشريعة الإسلامية؟» المخاطر التي تحدق بالرأسمالية، وقدم عدة توصيات على رأسها وفي مقدمتها: تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية على الرغم من تعارضها جملة وتفصيلًا للتقاليد الغربية ومعتقداتها الدينية.

ونتيجة لهذه الصيحات التي أطلقها هؤلاء الاقتصاديون أصدرت الهيئة الفرنسية العليا للرقابة المالية قرارًا يقضي بمنع تداول الصفقات الوهمية، والبيوع الرمزية التي يتميز بها النظام الرأسمالي، واشترطت التقابض الفوري، وسمحت للأسواق المالية بالتعامل مع نظام الصكوك الإسلامية.

وصدر كتاب للباحثة الإيطالية (لوريتا نابليوني) بعنوان: «اقتصاد ابن آوى» أقرت فيه بأن نظام التحويل الإسلامي هو المنقذ الوحيد للاقتصاد الغربي.

وأكد تقرير (ماكنزي) للتنافسية (٢٠٠٨-٢٠٠٩): «أن قطاع المصارف الإسلامي يتجه نحو تحقيق نمو فوري وربحية عالية، وأن أداء المصارف الإسلامية فاق أداء نظريتها البنوك التقليدية في معظم الأسواق الرئيسية والتي تأثرت بالأزمة المالية تأثيرًا مباشرًا وقويًا».

وفي (٣١/ ١/ ٢٠٠٩) نقلت (وكالة الانباء البحرينية) تقريرًا (راديو هولندا) جاء فيه: «إن قطاع المصارف الإسلامي يقوم بعمله دون صعوبات في خضم هذه الأزمة المالية. وفي الوقت الذي تتوالى فيه ضربات الأزمة المالية بشدة على الآخرين استطاعت المصارف الإسلامية زيادة رؤوس أموالها، واستقطاب المزيد من الزبائن.

وعلى الرغم من القيود المفروضة عليها؛ فقد زاد عدد البنوك الإسلامية في لندن التي تعتبر مركز البنوك الإسلامية في غرب أوروبا، وتأسس مصرفان إسلاميان جديدان مؤخرًا».

وفي تصريح خطير لكبير اقتصاديي صندوق النقد الدولي (أوليفر بلانكارد) لصحيفة (فينا نتش أوند فيرتشانت) السويسرية في (٢٣/ كانون الأول / ٢٠٠٨ م) دعا البنوك المركزية إلى خفض أسعار الفائدة باتجاه الصفر!!

هذه الحقائق تزعج الذين في قلوبهم مرض، وتجهض مشروعهم الذي يجري وراء سراب الرأسمالية التي ستهوي عما قريب في واد سحيق... لكنها الحقيقة التي ليلها كنهارها التي يؤكدها الله عز وجل في كتابه: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا﴾ [البقرة:٢٧٦]، ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة:٢٧٩]. =

بنك مصر

(٨٠) ألف جنيه عانى في ذلك أهوالًا، ونحت جبالًا؛ وذلك لِـمَا ران على عقول المسلمين من أنهم لا يقدرون على الاستقلال بعمل اقتصادي، وأن كلَّ عملٍ منهم في هذا السبيل حابط من نفسه على أُمِّ رأسه.

فلما أخذ طلعت باشا حرب يتقاضى أغنياء مصر المشاطرة في هذا المشروع لبّوا نداءه حياءً منه، لا اعتقادًا بأنه سيأتي بثمرة، وبقيت ثقتهم بأجمعها في بنوك الأجانب، وما زال معولهم عليها إلى أن شاهدوا بأعينهم النجاح الذي كاد يكون معجزة في نظرهم، وارتفع رأس مال بنك مصر من (٨٠) ألف جنيه إلى مليون جنيه، واحتوت خزائنه من الودائع على عدة ملايين من الجنيهات، واشتمل على أملاك وسلفات، وشركات متعددة متنوعة تقدر بملايين أخرى من الجنيهات، بحيث زادت الأموال

= تنبيه: معظم البنوك الإسلامية المعاصرة تقوم سياستها المالية المعتمدة من قبل لجانها الشرعية مستشاريها -إلا من رحم ربك- على فقه الحيل، وتلفيق الرخص المذهبية.
وهذا شر مستطير، وبلاء خطير، ستظهر آثاره المدمرة على تلك البنوك، وعلى اقتصاد تلك البلدان، عاجلًا أم آجلًا، إن لم تستيقظ من هذا السراب، وتتقي الله من هذه المخادعة التي تمارسها على عوام المسلمين، ولتعلَمُنَّ نَبأَهُ بعد حين.

التي تحت تصرف البنك على عشرين مليون جنيه، وكل هذا في ثماني عشرة سنة، أنشأ فيها طلعت باشا حرب ومدحت باشا يكن ورفاقهما على حساب بنك مصر: شركة مصر للغزل والنسيج التي معملها في المحلة، هو من أكمل وأعظم الغزل والنسيج في العالم، يعمل فيه (١٨) ألف عامل يندر فيهم غير المصري، ويسد من المنسوجات القطنية ثلث حاجة القطر المصري بأجمعه، فيكون قد وفر على المملكة المصرية ثلاثة ملايين جنيه سنويًا كانت من قبل تخرج من جيوب المصرين لتدخل في جيوب الأوروبيين.

وهناك من توابع بنك مصر: شركة مصر لنسج الحرير، وشركة مصر للتمثيل والسينما، وكلُّ هذه نالت معروضاتها الجوائز الكبرى في المعرض الدولي الباريزي سنة (١٩٣٧م)، ثم شركة مصر لمصايد الأسماك، وشركة مطبعة مصر، وشركة مصر للطيران، وشركة مصر البحرية، وناهيك بشركة مصر للملاحة البحرية، وما أنشأته من المنشآت الجواري كالأعلام؛ مثل: زمزم، والكوثر، والنيل، وغيرها، مما كاد يكون كالأحلام، فصار الحجاج يبلغون الحجاز على بواخر يرون بها أنفسهم في مثل قصور الملوك: فراهة، ورفاهة، وراحة، ونعيمًا، ومقامًا كريمًا، وصار سُيَّاح مصر الكثيرون إلى أوروبا في فصل الصيف يركبون تحت العلم المصري الشريف بواخر لو قرنت ببواخر الأمم الأوروبية؛ لحلت بينها في الصف الأول، هذا بعد أن قضينا كلَّ الدهر نسير ونسري في البواخر الأجنبية، ونؤدي إليها أموالنا بلا سبب سوى قُصُورِ هممنا عن إنشاء بواخر خاصة بأوطاننا بها ركوبنا، وعليها نقل بضائعنا.

وليس هنا محل تفصيل مشروعات طلعت باشا حرب باعث النهضة الاقتصادية في الشرق؛ لنخوض في هذا العباب[1]، ولا مقصدنا تمجيده، والإشادة بمآثرة ولو

(١) الأمواج المتلاطمة.

بالحقيقة، وإنما كان إيرادنا هذه القصة على سبيل المثال لما كان عليه المسلمون من الجبن في المواطن الاقتصادية، إلى أن هبَّ هذا الرجل مدير بنك مصر؛ فأيقظهم من سُباتهم، وأعلمهم أنهم رجال كما الأوروبيون رجال، وأنهم إذا شحذوا غرار عزائمهم، وأعملوا أَسِنَّة قرائحهم قدروا على ما يَقْدِرُ عليه الأجانب من الأعمال الاقتصادية الكبيرة.

وها نحن أولاء الآن نرى العاملين في بنك مصر، وفي الشركات المضافة إليه ثلاثين ألف مستخدم وعامل مصريون إلا النادر الأندر.

وهكذا بدأ المسلمون يقتحمون معارك الحياة الاقتصادية في كل فن من فنونها، وتولدت عندهم في أنفسهم ثقة كانت محجوبة عنهم من قبل؛ بحيث أن أحمد حلمي باشا[1] والسيد عبد الحميد شومان[2] من فلسطين أسَّسا في القدس بنكًا كل رأس ماله خمسة عشر ألف جنيه، وتوفَّقا بحسن إدارتهما إلى أن صيَّرا هذا البنك العربي[3] الوحيد في القطر الشامي من البنوك المعدودة ذوي الفروع الكثيرة صار يشتمل على خمسمائة ألف جنيه.

---

(١) هو أحمد حلمي عبد الباقي، ولد في مدينة صيدا عام (١٨٨٢م)، ونشأ في فلسطين، شغل رئيس عموم حكومة فلسطين (١٩٤٩-١٩٦٣م)، اختارته جامعة الدول العربية لهذا المنصب بعد احتلال فلسطين؛ اشترك مع صهره عبد الحميد شومان في تأسيس البنك العربي، ثم اختلفا؛ فأصبح البنك العربي لصهره، فاشترك في تأسيس صندوق الأمة العربية لمقاومة تسرب الأراضي لليهود، توفي سنة (١٩٦٣م) في لبنان، ثم نقل إلى القدس حيث دفن هناك.

(٢) ولد في بيت حنينا من قرى القدس عام (١٨٨٨م)، هاجر إلى الولايات المتحدة عام (١٩١١م)، وعمل بائعًا متجولًا، ثم عاد إلى فلسطين عام (١٩٢٩م)، وأسس البنك العربي، وتوفي سنه (١٩٧٤م).

(٣) من أشهر البنوك العربية الربوية، انظر ما تقدم (ص ٢٢٠).

وكذلك أسَّسا بنكًا زراعيًّا شاطر في تأسيسه أكثر من خمسة آلاف مساهم من عرب فلسطين، وبلغ رأسماله نيفًا ومائة ألف جنيه، واستغنى ذو الحمية منها عن الالتجاء إلى بنوك الأجانب، وفهم الناس أن هؤلاء ليسوا فوق الشرقيين، وأنهم لا يعجزون.

إنما جئنا بهاتين المسألتين للاستدلال على الأضرار الفظيعة التي كان يحدثها بالمسلمين عدم ثقتهم بأنفسهم.

ولعلهم بدأوا يتعافون الآن من هذا المرض الاجتماعي المهلك، والله غالب على أمره.

هكذا إذا توجهت الهمم

الإصلاحات المعنوية والمادية في البلاد المقدسة

توالت على بلاد الإسلام المقدسة قرون وأحقاب كانت فيها أشدَّ البلاد افتقارًا إلى الإصلاح، وأقربَها إلى الفوضى، وأقلَّها أمنةَ سُبُل، وراحةَ سُكَّانٍ، وأكثرَها عبثًا وفسادًا.

وكانت هذه الحالة فظيعة جدًّا مخجلة لكل مسلم، مرمضة[1] لكل مؤمن، حجة ناصعة للأجانب على المسلمين الذين لا يقدرون أن ينكروا ما في الحجاز من اختلال السبل، واضطراب الحيل، مع كونه هو مهد الإسلام، ومركز الحجيج العام في كلِّ عام إلى بيت الحرام، والمشاعر العظام، ومهوى قلوب يتأجج[2] بها الغرام لزيارة مرقد الرسول -عليه الصلاة والسلام-[3].

كلُّ الأجانب يستظهرون بهذه الحالة على دعوى: أن الإسلام لا يلتئم مع العمران، وأنه هو والفوضى توأمان، وأنه لو كان دينًا عمرانيًّا لما كانت تكون هذه الحالة السيئة في مركزه، ولما عجز عن إقامة العدل والأمن في مأزره[4].

وحقيقة الحال؛ هي: أن تلك الفوضى لم تنشأ إلا عن إهمال العمل بقواعد الشرع

---

(١) غائظة ومؤذية.

(٢) يلتهب ويشتعل.

(٣) انظر ما تقدم (ص٢١٤).

(٤) قوته وكماله.

الإسلامي، وعن إرخاء العنان لبعض الأمراء الذين كانوا يَلُونَ أمر الحجاز، مدلِّسين على الناس بما لهم من النسب النبوي الشريف؛ الذي كان يحول بين سلاطين الإسلام، وبين تشديد الوطأة عليهم، أو إرهاف الحدِّ فيهم، وقد كان هذا من خطل الرأي[1]، ومن التقصير في جانب الشرع؛ فإن الشريعة الإسلامية لا تعرف نسبًا ولا حسبًا: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١].

وإن الله تعالى قد جعل التقوى فوق كلِّ المذاهب والمحامد، وقرَّر أن من قصَّر به عمله لم ينهض به نسبه[2]، ومن المروي عن النبي ﷺ: «إلا أن بعض آل بيتي يرون أنفسهم أولى الناس بي، وليس الأمر كذلك، إنما أوليائي المتقون من كانوا، وحيث كانوا، إلا أني لا أجيز لأهل بيتي أن يفسدوا ما أصلحت»[3].

---

(١) فساده.

(٢) فيه إشارة إلى الحديث: «من بَطَّأَ به عَمَلُه، لم يُسرِع به نَسبُه»: أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ، ولعل أمير البيان نقله بالمعنى، فلم يضبط النص، ولا المعنى؛ فهو ليس من رجال الحديث ولا فقهائه، كما قدمنا (ص١١٢)، وعندئذ يكون المراد: حديث فتنة الأحلاس.

عن عبد الله بن عمر ﷺ؛ قال: كنت عند رسول الله ﷺ قعودًا نذكر الفتن؛ فأكثر ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس، فقال قائل: يا رسول الله! وما فتنة الأحلاس؟ قال: «هي فتنة هرب وحرب، ثم فتنة السراء دخلها -أو: دخنها- من تحت قَدَمَي رجل من أهل بيتي؛ يزعم: أنه منِّي، وليس منِّي، إنما وليي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كَوَرِكٍ على ضِلَعٍ، ثم فتنة الدهيماء، لا تدع أحدًا من هذه الأمة إلا لطمته لطمة؛ فإذا قيل: انقطعت تمادت، يصبح الرجل فيها مؤمنًا، ويمسي كافرًا، حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، إذا كان ذاكم؛ فانتظر الدجال من اليوم أو غدٍ».

أخرجه أحمد (٢/ ١٣٣)، وأبو داود (٤٢٤٢)، والحاكم (٤/ ٤٦٧) بإسناد صحيح.

وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٩٧٤) لشيخنا الإمام الألباني ﷺ. =

هذا حديث نقله لنا خاتمة المحدثين المرحوم السيد بدر الدين الحسني المغربي الدمشقي[1]، وكيف كانت درجة ثبوته[2]؛ فهو مطابق لروح الشرع، تتفجر معانيه من كلِّ ناحية من الكتاب[3].

ولهذا كان سلاطين الإسلام من وقت إلى آخر ينذرون من أمراء الحرمين من كانوا يظلمون الناس، ويبغون في الأرض بغير الحق، ولقد ذهب مثلًا ذلك الكتاب الذي كتبه أحد سلاطين مصر من المماليك إلى أحد أمراء مكة المكرمة؛ وهو: الذي يقول فيه:

= وقد حمله أمير البيان؛ كما هو ظاهر كلامه على الشريف الحسين بن علي ﷺ، وثورته على الأتراك.

وكذلك فعل الخارجي الضال جهيمان بن سيف العتيبي حامل راية فتنة الحرم المكي سنة (١٤٠٠هـ)، ثم حمل قوله ﷺ: «ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع» على ملك الجزيرة وباني دولة التوحيد فيها عبد العزيز آل سعود ﷺ، وأنه ليس جدير بالملك؛ كما زعم هذا المبتدع الضال.

وما ذهب إليه أمير البيان من قبل وجهيمان من بعد رجم بالغيب، وقول بلا علم، ولا هدى، ولا كتاب منير، وطريقته مخالفة لمنهج السلف الصالح في التعامل مع أحاديث الفتن.

(١) هو محمد بدر الدين بن يوسف بدر الدين بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الملك بن عبد الغني الحسني المغربي، ولد في دمشق سنة (١٢٦٧ هـ = ١٨٥٠م)، كان والده من كبار العلماء، حفظ كثيرًا من كتب الحديث المسندة؛ منها: «الكتب الستة»، و«الموطأ»، و«المسند»، وغيرها، وكان له حلقة في مسجد بني أمية بعد صلاة العصر من يوم الجمعة، توفي سنة (١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م) بدمشق ودفن في تربة الباب الصغير.

(٢) الأحاديث لا تثبت إلا إذا صحت أسانيدها، وبعد ذلك ينظر في معانيها، وهذا محل اتفاق بين علماء الحديث وفقهاء الأمة.

(٣) صحة معناه لا تجعلنا ننسبه لرسول الله ﷺ دون إسناد صحيح، أو حسن.

وكذلك صحة معناه لا تخوّلنا حمله على زيد أو عبيد بدون بينة واضحة وبرهان جلي؛ لذلك لا يجوز الخلط في هذه القضية؛ كما وقع لأمير البيان -غفر الله له-.

«اعلم أن الحسنة في نفسها حسنة، وهي بيت النبوة أحسن، والسيئة في نفسها سيئة، وهي من بيت النبوة أسوأ، وقد بلغنا أنك بدَّلت حرم الأمن بالخيفة[1]، وأتيت ما يَحْمَرُّ له الوجوه، وتسوَّد الصحيفة؛ فإن وقفت عند حدك وإلا أغمدنا فيك سيف جدك».

ولا ينبغي أن يفهم من هنا: أن هؤلاء الأمراء لم يكن فيهم إلا من استحق هذا الوصف؛ كلَّا: فقد وُجِدَ فيهم الأمراء العادلون؛ إلا أنه قد بقيت مع الأسف أحوال الحجاز غير مستوية، وأعراب البادية يسطون على الحجاج، وليس لداء معرتهم[2] علاج، وكانت كلٌّ من الدولة العثمانية والدولة المصرية ترسل طوابير من الجند النظامي مصحوبة بالمدافع، وسائر آلات القتال؛ لأجل خفارة[3] قوافل الحج، وتؤدي إلى زعماء القبائل الرواتب الوافرة، وكلُّ هذا لم يكن يمنع الأعراب، ومن لا يخاف الله من الدعار[4] من تخطُّف الحجاج في كلِّ فرصة تلوح لهم.

وكثيرًا ما كانت قافلة الحجِّ تضطر إلى الرجوع وقد فاتها الحجُّ أو الزيارة، بعد أن قصدوا ذلك من مكان سحيق[5]، وتكلَّفوا بذل الأموال، وتجشَّموا مشاق الأسفار في البرِّ والبحر، فكانوا يذوبون من الشوق على ما فاتهم، ويتحرَّقون من الوجد، ويبكون بصيب الدمع[6]، والناس بأجمعهم يحوقلون[7]، ويقولون: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ

---

(١) الخوف.

(٢) العمل المعيب.

(٣) حراسة.

(٤) قطاع الطرق.

(٥) بعيد.

(٦) غزيره.

(٧) يقولون: لا حول ولا قوة إلا بالله.

المدينة قديما

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم:٥٨]، ذاهبين إلى أن سطو الأعراب هؤلاء داء عضال[١]: لا تنفع فيه حيلة ولا وسيلة، وقد عمَّت بهم البلوى، وإلى الله المشتكى.

وهكذا توالت القرون والحقب، والناس على هذا الاعتقاد لا يتزحزحون عنه، إلى أن آل أمرُ الحجاز إلى الملك عبد العزيز بن سعود منذ بضع عشر سنة، فلم تمض سنة واحدة حتى انقلبت الحجاز من مسبعة[٢] تزأر فيها الضواري[٣] في كلِّ يوم -بل في كلِّ ساعة- إلى مَهْدِ أمانٍ، وقَرارَةِ اطمئنانٍ، ينام فيها الأنام بملء الأجفان، ولا يخشون سطوة عاد، ولا غارة حاضر ولا باد، وكأن أولئك الأعراب الذين روعوا[٤] الحجيج مدة قرون وأحقاب لم يكونوا في الدنيا، وكأن هاتيك الذئاب الطلس تحولت إلى حملان، فلا نهب ولا سلب، ولا قتل ولا ضرب، ولو شاءت الفتاة البكر -الآن- أن تذهب من مكة إلى المدينة، أو من المدينة إلى مكة، أو إلى أية جهة من المملكة

---

(١) لا يرجى علاجه.

(٢) مكان السباع المخيف.

(٣) الحيوانات المفترسة.

(٤) أفزعوا وأخافوا.

السعودية، وهي حاملة الذهب والألماس والياقوت والزمرد ما تجرأ أحدٌ أن يسألها عمَّا معها.

ما من يوم إلا وتُحمل فيه إلى دوائر الشرطة لُقَطٌ متعدِّدة، ويؤتى بضوال فقدها أصحابها في الطرق، وأكثر من يأتي بها الأعراب أنفسهم خدمة للأمن العام، وإبعادًا للشبهة عنهم وعن ذويهم.

فسبحان محوِّل الأحوال، ومقلِّب القلوب، والله لا يوجد في هذا العصر أمن يفوق أمن الحجاز، لا في الشرق، ولا في الغرب، ولا في أوروبا، ولا في أمريكا.

وقد تمنى (كراين) الأمريكي صديق العرب الشهير[1] في إحدى خطبه: أن يكون في وطنه أمريكا الأمن الذي رآه في الحجاز واليمن.

وكلُّ من سكن أوروبة وعرف الحجاز في هذه الأيام: يحكم بأن الأمنة على

---

(١) هو تشارلز كراين ولد سنة (١٨٥٨م) في شيكاغو، عرف بمناصرته للقضايا العربية، ولذلك مدحه الشعراء بقصائد؛ منها ما قال معروف الرصافي:

يا محب الزمن أهلا ... بك يا مستر كراين

وتوفي سنة (١٩٣٩م).

وفي يوم الخميس (١٦/ ٢/ ١٩٣٩م) كتب شكيب أرسلان في مذكراته: «مات أمس في مشتاة في بالم سيربع في كالفورنيا صديق العرب والإسلام وخادم الإنسانية الحر المستر كراين؛ مات بذات الرئة، وهو في الثمانين.

كان رجلًا حرًّا كامل المروءة، نقي الضمير، رأى ظلم أوروبا في الشرقيين، فوقف نفسه على انقاذهم.

أهدى الإمام يحيى جسرًا، وأرسل إلى الحجاز مهندسًا؛ لاستخراج المياه والمعادن، وضعه تحت تصرف الملك عبد العزيز بن سعود، وكان يدفع نفقاته مائة جنيه في الشهر، وساعد الكثيرين من السوريين بمساعدات مادية أكبرها للدكتور عبد الرحمن الشهبندر.

يحزنني أن يموت تشالز كراين ومؤتمر فلسطين منعقد في لندن، فقد كان زعيم أنصار فلسطين العربية في بلاده، ولولاه لم يكن لها هناك نصير».

الأرواح والأعراض والأموال في البقاع المقدسة هي أكمل وأشمل وأوثق أوتادًا، وأشد أطنابًا منها في الممالك الأوروبية والأمريكية، فأين أولئك الذين كانوا يقولون: إن الأعراب لا يَقْدِرُ على ضبطها إنسان، وإن سكان الفيافي هم غير سائر البلد، فها هو ذا ابن سعود قد ضبطها بأجمعها في مملكته الواسعة، ومحا أثر الغارات والثارات بين القبائل، وأصبح كلُّ إنسان يقدر أن يجوب[1] الصحارى وهو أعزل، ويدخل أرض كلِّ قبيلة دون أن يعترضه معترض، أو يسأله سائل إلى أين هو غاد، أو رائح.

ولو قيل لبشر: إن بلادًا كان ذلك شأنها من الفزع والهول وسفك الدماء، وقطع الطرق قد مرد أهلها على هذا البغي، وهذا العدوان من سالف الأزمان، وإنه يليها ابن سعود فلا تمضي على ولايته لها سنة واحدة حتى يطهرها تطهيرًا، ويملأها أمنًا وطمأنينة، لظن السامع أنه يسمع أحلامًا، أو خرافات، أو اتهم القائل في صحة عقله.

ولكن هذا قد صار حقيقة كلية، وقضية واقعية في وقت قصير، وما أوجده إلا همَّةٌ عالية، وعَزْمَةٌ صادقةٌ، وإيمانٌ بالله، وثقةٌ بالنفس، وعلم بأن الله تعالى مُؤيِّد من أيَّدَه، ناصر من نصره، يحثُّ على العمل، ويكافئُ العامل، ويكره اليأسَ، ويقول لعباده: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦].

وقد سرت بشرى الأمان الذي شمل البلاد المقدسة الحجازية، فعمَّت أقطار الإسلام، وأثلجت صدور أبنائه، وارتفعت عن الحجاز تلك المعرَّة[2] التي طالما وجم لها المسلمون، وذلك بقوة إرادة الملك عبد العزيز بن سعود، والتزامه حدود الشرع، ولكن ليس هذا كلَّ شيء، وقد بقيت حاجات في الصدور، فلم يزل يعوز الحجاز وسائل كثيرة للراحة والهناء من قبيل الإصلاحات المادية العمرانية التي يتوق إليها

---

(١) يقطع.

(٢) العار.

الحجاج ولا يجدونها، وهي إصلاحات عصرية لا طاقة للحجاز بها مع الوارد إلى بيت المال، وازدياد الخرج على الداخل، وأيضًا مع استئثار أكثر بلاد المسلمين بأوقاف الحرمين الشريفين، وعدم استعمالها فيما وقفت عليه.

وقد كان يتحتم على العالم الإسلامي أن يشاطر[1] منذ زمن طويل في إزاحة هذه العلل المادية التي يعتذر الحجاز بحقٍّ عن أن يقوم بها وحده، لا سيما أنَّ الحرمين الشريفين ليسا للعرب وحدهم، بل لجميع المسلمين[2].

فلم تزل هذه المسألة موضوع الأماني، ومُتَّجه الآمال، والناس ينتظرون فيها الابتداء بعمل من الأعمال، إلى أن عَقدت مصر عزيمتها على هذا الأمر الذي تعتبر

---

(١) يشارك.

(٢) هذه الحال كانت بالأمس في زمن المصنف رحمه الله، وأما الآن؛ فحدِّث عن الأمن والأمان، والراحة والرفاهية، والخدمات الفندقية، التي تُقدَّم للحجاج والمعتمرين ولا حرج.

مصر جِدُّ أمينةٍ بأن تطلع به، وبأن تكون فيه السباقة والقدوة لغيرها.

ولم يطلق على مصر لقب: «كنانة الله في أرضه»[1] عبثًا، بل هي من قديم الدهر موئل الحجاز، وأنبار المُستين[2] من أهله، وحسبك ما قامت به مصر عام الرمادة[3] من ميرة الحجاز بطلب سيدنا عمر إلى سيدنا عمرو ﷺ، ومن بعد ذلك لم تشتد بأهل الحرمين لأواء[4]، ولا عضتهم مسغبة[5] بنابها؛ إلا أسرعت إليهم مصر بالإغاثة، وتفريج الكربة، لم تتخلف مصر عن هذا الواجب في وقت من الأوقات.

وفي هذه الأيام عندما اشتهر الشعور بوجوب إصلاح الحجاز من الناحية العمرانية بعد أن أزيحت عِلَّته من جهة تأمين السوابل كانت مصر هي الناهضة لمدِّ يَدِ المساعدة إليه في هذا الشأن، وكأنما كتب في اللوح المحفوظ: أن يكون محمد طلعت باشا حرب هو الطالع حربًا على الخلل والفوضى والإهمال في عمران الشرق؛ فوجه شطرًا[6] من همته العلياء شطر البيت الحرام الذي قد أمرنا اللهُ بأننا حيث ما

---

(١) حديث: «مصر كنانة الله في أرضه، ما طلبها عدوٌّ إلا أهلكه الله»: لا أصل له؛ كما نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية؛ قال في «أحاديث القصاص» (ص٨٧): «هذا مأثور، لكن ما أعرف إسناده»، وقال الزركشي في «التذكرة» (ص١٩١): «لم أجده»، وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص٦٠٩): «لم أره بهذا اللفظ في مصر»، وقال السيوطي في «الدر المنثور» (ص١٧): «لا أصل له»، وقال الكرمي في «الفوائد الموضوعة» (ص١٠٧): «لا أصل له»، وقال شيخنا الألباني في «الضعيفة» (١٥ و٨٨٨): «لا أصل له».

(٢) الأنبار: بيت التاجر الذي يجمع فيه المتاع والغلال، والمستين: الذين أصابهم القحط والجدب، ومراده: أن مصر كانت تمير الحجاز وقت الشدة والقحط، وهو يشير إلى ما أرسله عمرو بن العاص إلى المدينة النبوية من قوافل سنة الرمادة؛ كما يدل السياق.

(٣) الجوع والحاجة.

(٤) شدة.

(٥) مجاعة شديدة.

(٦) جزءًا.

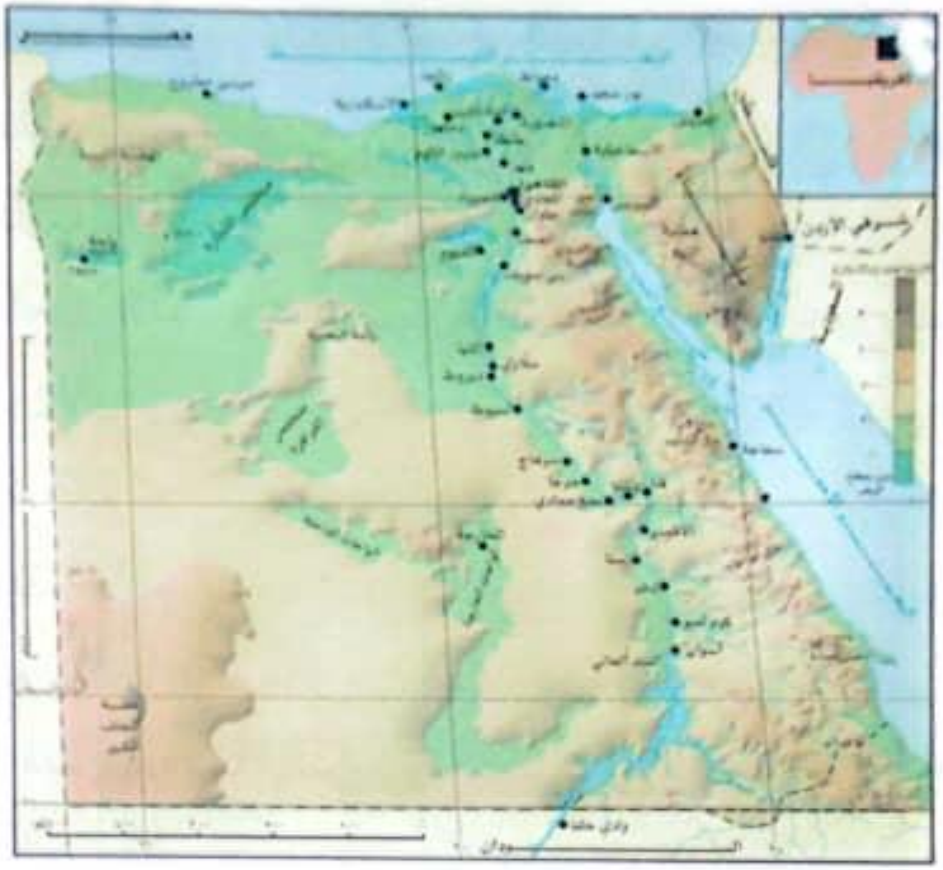

كنا نولي وجوهنا شطره؛ لئلَّا يكون للناس علينا حجة، فكان طلعت باشا حرب في هذه الحلبة -أيضًا- هو المجلي، وكان قد بدأ من بضع سنين بتأسيس شركة الملاحة البحرية، وأنشأ البواخر الجواري كالأعلام[1] البالغة الحد الأقصى من أسباب الراحة والانتظام؛ مثل: زمزم، والكوثر، وغيرهما، مما قد سبق الكلام عليه[2]، وحصل بذلك من الفرج لحجاج بيت الله الحرام ما تحدَّثت به الرُّكبان، وشاع ذكره في البلدان.

ولكن لم يكن هذا كلَّ ما تسمو إليه همَّةُ هذا الرجل من إصلاح عمراني، وتنظيم مادي في الحجاز، فقصد إلى الأرض المقدسة، ونظر في مختلف العلل التي تجب معالجتها، وعرض نتيجة مشاهداته على الحكومة المصرية التي أسرعت في إجابته إلى تقرير اللازم من هذه الإصلاحات الحيوية بالاتفاق مع الحكومة السعودية التي بذلت

(١) الجبال.

(٢) انظر: (ص٢٢٣).

كلّ ما في وسعها؛ لأجل تسهيل الإتفاق، وتيسير الارتفاق، فكان ما ستنفقه الحكومة المصرية والحكومة السعودية في هذه النوبة من إصلاحات الحجاز لإنشاء طرق وإنارة كهربائية، وتوزيع مياه وتطهيرها، وغير ذلك نحوًا من مائتين وأربعين ألف جنيه.

وهكذا تكون الدولة المصرية قد نهجت السبيل لجميع الحكومات الإسلامية في العالم أن تشاطر في القيام على قدر إمكانها بما يستلزمه الحجاز من الإصلاحات المصرية التي لا مندوحة عنها في قطر يؤمه المسلمون من المشارق والمغارب سالكين إليه البر والبحر والجو، وهو مرشح حتمًا بواسطة طرق الانتقال الحديثة لزيادة العمران، وتكاثف السكان، وليكون أنموذجًا للجمال الصوري والمعنوي، ومثالًا لطيب النجعة في الشتاء والصيف، فإن الذي يشتمل عليه الحجاز من المصايف البديعة؛ كالطائف، والهدى، ووادي محرم، ووادي ليته، وجبال الشفا العالية ثلاثة آلاف متر عن سطح البحر يندر وجود أشباهه في المعمور، كما فصلنا ذلك في رحلتنا الحجازية الموسومة بـ: «الارتسامات اللطاف»[1]، لا يعوز هذه الأمكنة الممتازة بطيب

---

(١) هو كتاب «الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف» لأمير البيان شكيب أرسلان، فقد بدأت رحلة الأمير إلى الديار المقدسة في الحجاز لأداء فريضة الحج سنة (١٣٤٨هـ)، حيث قال: «فكان قصدي إلى الحجاز من لوزان بسويسرا عن طريق نابولي بإيطالية، إذ ركبت منها البحر على باخرة إنجليزية إلى بورسعيد حيث نزلت، وفي اليوم التالي ذهبت إلى السويس، ومنها أبحرت إلى الحجاز في باخرة مكتظة بالحجاج، فأحرمنا، ولبّينا من بحر رابغ، ووصلنا جدة من السويس في اليوم الرابع، على ما وصفت في رحلتي الحجازية التي سيقرأها المطالع، وفي المساء يوم وصولي إلى جدة: يسّر اللهُ دخولي إلى البلد الأمين، مبادرًا إلى البيت العتيق بالطواف، وإلى المروة والصفا بالسعي، وبعد ذلك بيومين صعدنا إلى منى؛ فعرفة، ثم أفضنا منها إلى المزدلفة، حيث بتنا ليلة، ثم عُدنا إلى منى حيث لبثنا ثلاث ليالٍ وعدنا إلى البيت الحرام، وتممنا مناسك الحج..».
ورسالته هذه مطبوعة، وهي من نوادر الكتب النفيسة، وقد قام على تصحيحها السيد رشيد رضا، وقد طبعت بمطبعة المنار بمصر سنة (١٣٥٠هـ).

هوائها، وجودة مناخها، وجمال إقليمها سوى الطرق المعبَّدة للسيارات حتى تقترب المسافات.

وقد نشرت شركة بنك مصر عن الإصلاحات اللازمة للحجاز تقارير وافية قيِّمة من أقلام المهندسين البارعين، الذين أنفذتهم شركة البنك إلى الأراضي المقدسة؛ مثل: محمد الجمال بك، نائب المدير العام لمعامل الغزل والنسيج المصرية، الذي تكلم عن حالة الحجاز العمومية، وقابلية أرضها، وما يلزم لهذه البلاد من الأسباب الفنية والمدارس الصناعية، وألَمَّ بمشروع المياه الذي يلزم له بناء خزان في مرتفع تعلو عنه عين زبيدة بحيث يسدُّ كلَّ عَوَزٍ في مكة من جهة المياه، وبمشروع إضاءة مكة بالكهرباء، وبمشروع إنشاء طريق صالحة للسيارات من جدة إلى البلد الحرام، أو سكة حديدية توصل بينهما.

ومشروعات أخرى تضمنها هذا التقرير الواضح المفيد، الذي ليس فيه محل نظر سوى تخمينه عدد مسلمي المعمورة بمائتين وخمسين مليونًا، فهذا خطأ فاحش ناشئ عن متابعة إحصاءات قديمة أوروبية غير نزيهة، أو ثمة خطأ مطبعي تصحيحه (٣٥٠) مليونًا (ثلاثمائة وخمسون مليونًا)، وهذا أيضًا دون الواقع، كما أوضحنا ذلك بالإحصاءات الرسمية والبراهين الساطعة في مجلتنا: «لا ناسيون آراب» ردًّا على الزاعمين: أن عدد المسلمين (٢٦٠) مليونًا، مع أن مسلمي آسية وحدها ينيفون[1] على (٢٦٠) مليونًا، وقد بقي غير داخل في هذا الإحصاء مسلمو إفريقيا الذين يناهزون مائة مليون، ومسلمو أوروبا الذين هم من خمسة إلى ستة ملايين.

ولقد اهتممنا بهذا الموضوع عمدًا لما نحسه من تحرج صدور الأوروبيين بكثرة عدد المسلمين، واجتهاد الدول الاستعمارية بخاصة أن ينقصوا من عددهم، ويخسروا

---

(١) يزيدون.

زمزم قديما

من وزنهم، فمحصنا هذا البحث عدة مرات لما نشعر من نيتهم هذه.

ثم نعود إلى قضية إصلاحات الحجاز؛ فنقول:

إنَّ من جملة التقارير الوافية في هذا الموضوع تقريرًا محررًا بقلم المهندس المحقق السيد حسن البهتيمي الذي يتكلم على تحويل مجرى السيل عن مكة، وعلى تحسين طريق المسعى بين الصفا والمرة، وتحسين طريقة ورود المياه بعرفات من عين زبيدة، وإنارة البلد الأمين بالكهرباء.

وتقريرًا آخر في هذه المسائل نفسها من قلم السيد مصطفى ماهر رئيس مهندسي مياه الجيزة والجزيرة بمصر، ذهب فيه إلى أنه بعد أن يتم إصلاح توزيع عين زبيدة وعين حنين التي يتفرغ منها المجرى المسمى: بعين الزعفران يجب أن يباشر الحفر في سائر الآبار والأودية التي هي مظان مياه غزيرة تفيض عن حاجة مكة من جهة شرب

عين زبيدة

الشفة، وتكفي للزراعة والبساتين؛ قال: ومشروع المياه سيكون مفتاحًا للبحث عن هذه الكنوز الأرضية.

وتكلَّم المهندس المشار إليه عن بئر زمزم، وقال: إن في مائها أملاحًا نافعة كأملاح المياه التي يستشفى بها في أوروبا[1]؛ فهي من هذه الوجهة صالحة لتوضع في زجاجات معقمة مقفلة، وتحمل إلى الخارج، وتابع فيكون منها ربح جزيل.

ثم أشار بالوسائل اللازمة لصيانتها من الجراثيم الضارة، وأن يتولى عالم بكتربولوجي؛ ليكون تعقيمها تامًّا.

وتكلم عن عملية مياه عين زبيدة، وبناء الخزانات اللازمة بتفاصيل ليس هنا مكانها.

وأصحب التقرير بالرسوم التي توضح كلَّ شيء، وأشار إلى إنارة مكة بالقوة

---

(١) أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» (٢٤٧٣) من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ الطويل، وفيه: أن النبي ﷺ قال عن ماء زمزم: «إنها مباركة، إنها طعام طُعم».
وانظر كتابي: «الاستشفاء بالماء في ضوء الكتاب والسنة والطب».

الكهربائية، وما فيها من أرباح وفوائد، وذلك؛ كما قرَّره المهندسون الآخرون، ولكلٍّ وجهة هو مولِّيها.

وفي تقرير المهندس الكبير السيد مصطفى ماهر كلام خاص بالمدينة المنورة التي هي جنَّة من جنان الأرض، وفيه وصف مياهها العذبة الغزيرة، وحدائقها الغناء، وقد ختم تقريره الشائق بقوله:

«وإني أسال الله أن يوفِّق عباده المؤمنين إلى مَدِّ يد المعونة إلى الأراضي المقدسة قبلة المسلمين، كلٌّ فيما يقدر عليه للتيسير على أهلها، والاحتفاظ لهذه البقاع الطاهرة بما يليق بها من الجلال والوقار». اهـ.

وتنتهي مجموعة هذه المباحث التي أعظم اليد في إجرائها لطلعت باشا حرب بالتقارير الصحية الجلية الوافية من قلم العلماء المتخصصين السادة: محمد حسن العبد، ومصطفى ماهر، وحسن حسني راشد الكيمائي بوزارة الصحة المصرية، وحسن البهتيمي وكيل القلم الفني لبنك مصر.

وفي هذه التقارير: التحليلات المفصَّلة الدقيقة لمياه بئر زمزم، ومياه عين زبيدة، ومياه عين الزعفران في مكة، وعين الزرقاء في المدينة المنورة مع التواصي الفنية للاستفادة منها.

ولما كانت هذه المجموعة قد نشرت وتوزَّعت؛ اكتفينا منها بلمحة دالَّةٍ في هذه الرسالة، سائلين الله: أن يوفق كلًّا من الدولتين العزيزتين المصرية والسعودية إلى تمام هذه الإصلاحات الجليلة بحذافيرها؛ فإن الإصلاح واجب في كلِّ مكان، فكيف البقاع المقدسة؟!

❁ ❁ ❁

خلاصة الجواب:

إن المسلمين ينهضون بمثل ما نهض غيرهم

إن الواجب على المسلمين -لينهضوا ويتقدموا ويتعرجوا في مصاعد المجد، ويترقوا كما ترقى غيرهم من الأمم-؛ هو: الجهاد بالمال والنفس الذي أمر به الله في قرآنه مرارًا عديدة، وهو ما يسمونه اليوم: «بالتضحية».

فلن يتمَّ للمسلمين ولا لأُمَّة من الأمم نجاح ولا رقيٌّ إلَّا بالتضحية، وربما كان الشيخ محمد بسيوني عمران -أو: غيره- من السائلين عن رأينا في الموضوع قد ظن أني سأجيبه: أنَّ مفتاحَ الرُّقيِّ هو قراءة نظريات (آينتشتين)[1] في النسبية مثلًا، أو درس أشعة (رونتجين)[2]؛ أو ميكروبات (باستور)[3]، أو التعويل في اللاسلكي على

---

(١) ألبرت أينشتاين، ولد في (١٤ / مارس ١٨٧٩م) وهو ألماني الأصل، أمريكي الجنسية، يهودي الديانة، من أشهر علماء الفيزياء، يشتهر بـ(أبو النسبية) كونه واضع النظرية النسبية الخاصة، والنظرية النسبية العامة الشهيرتين: اللبنة الأولى للفيزياء النظرية الحديثة، حاز في العام (١٩٢١) على جائزة نوبل في الفيزياء، عن ورقة بحثية عن التأثير الكهروضوئي ضمن ثلاثة ورقة علمية أخرى له في تكافؤ المادة والطاقة، وميكانيكا الكم وغيرها، وأدت استنتاجاته المبرهنة إلى تفسير العديد من الظواهر العلمية.

(٢) عالم فيزيائي ألماني الجنسية، اكتشف الأشعة السينية التي تعرف بأشعة أكس، أو أشعة رونتغن عام (١٨٩٥)، درَّس كثيرًا من خصائصها، وقد فتح اكتشافه هذا آفاقًا في مجالي الطب والفيزياء، وحصل على جائزة نوبل في الفيزياء عام (١٩٠١).

(٣) لوي باستير: عالم كيميائي فرنسي، وأحد أهم مؤسسي علم الأحياء الدقيقة في الطب، ويُعرف بدوره المميز في بحث أسباب الأمراض وسبل الوقاية منها.
ساهمت اكتشافاته الطبية بتخفيض معدل وفيات حُمَّى النفاس، وإعداد لقاحات مضادة لداء الكلب والجمرة الخبيثة، كما دعمت تجاربه نظرية جرثومية المرض.

التموجات الصغيرة أكثر من الكبيرة، أو درس اختراعات (أديسون)[1]، وأن سبب حادثة المنطاد الإنكليزي الذي سقط أخيرًا واحترق هو كونه لم ينفخ بالهليوم[2]، وإنما بالهيدروجين، والحال في الهيدروجين -وإن كان أخف في الوزن- قابل للاشتعال، وأنه لا خوف من اشتعال الهليوم -وإن كان أثقل شيئًا من الهيدروجين-، وما أشبه ذلك.

والحقيقة: أن هذه الأمور إنما هي فروع لا أصول، وأنها نتائج لا مقدمات، وأن (التضحية) أو الجهاد بالمال والنفس؛ هو: العلم الأعلى الذي يهتف بالعلوم كلِّها، فإذا تعلمت الأمة هذا العلم، وعملت به؛ دانت لها سائر العلوم والمعارف، وَدَنَت منها جميع القطوف والمجاني.

وليس بضروري أن يكون صاحب الحاجة عالمًا بعلمها حتى يكون عالمًا بالاحتياج إليها.

قال لي مرة حكيم الشرق السيد جمال الدين الأفغاني[3]:

«إن الوالد الشفيق يكون من أجهل الجهلاء، فإذا مرض ابنه اختار له أحذق الأطباء، وعلم أن هناك شيئًا نافعًا هو العلم لا يعلم هو شيئًا منه، ولكنه يعلم بسابق حرصه على حياة ابنه: أنه ضروري».

---

(١) توماس ألفا إديسون (١٨٤٧م)، مخترع أمريكي، اخترع العديد من الأجهزة التي كان لها أثرًا كبيرًا على البشرية حول العالم؛ مثل: الفونوغراف، وآلة التصوير السينمائي، بالإضافة إلى المصباح الكهربائي المتوهج.

(٢) الهليوم: عنصر كيميائي لا لون له ولا رائحة، وعديم الطعم، يأتي بعد الهيدروجين مباشرة في الجدول الدوري للعناصر

(٣) بل هو رافضي ماسوني؛ كما بيَّنت ذلك بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة في كتاب «الجماعات الإسلامية» (ص ٣٤٨-٣٥٥).

ولم يكن محمد علي[1] عالمًا، وربَّما كان أميًّا، ولكنه بعث مصر من العدم إلى الوجود في زمن قصير، وصيَّرها في زمانه من الدول العظام بسائق هذا العلم الأعلى الذي هو العقل السليم والإرادة، وهو الذي يبعث صاحبه إلى التفتيش عن العلوم، وحمل الأمَّة عليها.

فالمسلمون يمكنهم إذا أرادوا بعث العزائم، وعملوا بما حرَّضهم عليه كُتَّابهم: أن يبلغوا مبالغَ الأوروبيين والأمريكيين واليابانيين من العلم والارتقاء، وأن يبقوا على إسلامهم؛ كما بقي أولئك على أديانهم[2]، بل هم أولى بذلك وأحرى، فإن أولئك رجال ونحن رجال، وإنما الذي يعوزنا الأعمال، وإنما الذي يضرنا؛ هو: التشاؤم،

---

(١) هو محمد علي بن إبراهيم آغا، ولد في مقدونيا سنة (١٧٦٩ م) لأسرة ألبانية، يعد باني نهضة مصر الحديثة؛ حيث اعتلى عرشها سنة (١٨٠٥-١٨٤٨م)، فنهض بمصر عسكريًّا، وصناعيًّا، وتعليميًّا، وزراعيًّا، وتجاريًّا؛ لكنه ابتعد بها عن المنهج العربي الإسلامي متجهًا إلى أوروبة، وفتح أبواب مصر لكل ما هو إفرنجي وعَلماني، واستمر الحكم في أسرته حتى أطاحت ثورة الضباط الأحرار سنة (١٩٥٢م) بآخر ملوكها: فاروق، وألغيت الملكية، وأعلن النظام الجمهوري.
وهذا الدور المشبوه الذي قام به محمد من نقل مصر من انتمائها العربي الإسلامي الشامل إلى منهج أخر جعل كثيرًا من المؤرخين يبحثون عن ارتباطه بالماسونية العالمية.
للمزيد انظر: «عجائب الآثار» للجبرتي، و«قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين» لزكريا البسيومي، و«تاريخ الشرق العربي» لعمر عبد العزيز.

(٢) بل لا بد أن نبقى على إسلامنا، ونحرص عليه؛ كما كان في عهد التنزيل، ولا خير ولا نهضة لنا إلا بالإسلام؛ فإن أضعناه: خسرنا الدنيا والآخرة -عياذًا بالله-.
قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء:١٠].
وقال تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١].
فاللهم نسألك الثبات على الكتاب والسنة الصحيحة، وفهم سلف الأمة الصالح ومنهجهم، حتى نلقاك.

آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أبلغها ألفين آمينا

والاستخذاء، وانقطاع الآمال.

فلننفض غبارَ اليأس، ولنتقدم إلى الأمام، ولنعلم: أننا بالغو كلَّ أمنية بالعمل، والدأب، والإقدام، وتحقيق شروط الإيمان التي في القرآن: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

لوزان (١١ نوفمبر / سنة ١٩٣٠م)

شكيب أرسلان

«تم الجواب»

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث والآثار النبوية.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس الدول والمدن المعرف بها.
- فهرس الأديان والمذاهب.
- فهرس القبائل.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات الكريمة

سورة البقرة

الآية	رقمها	الصفحة
﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾	[١٠]	٢٠٥
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾	[٢٩]	١٤٦
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	[٣٠]	١٦٢
﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾	[٣٨]	١٨٨
﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾	[١٢٩]	١٩٣
﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾	[١٤٢]	١٥٨
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾	[١٥٥]	٦٤

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾	[١٧٠]	١٥٨
﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾	[١٩٥]	٦٢ و١١٥
﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾	[٢٠١]	١٤٦
﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ﴾	[٢٤٧]	١٩٣
﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾	[٢٦٩]	١٩٣
﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾	[٢٦٩]	١٣٩
﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾	[٢٧٥]	٢٢٠
﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾	[٢٧٦]	٢٢١
﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾	[٢٧٩]	٢٢١

سورة آل عمران

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾	[٧]	١٩٣
﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ﴾	[١٨]	١٩٣

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾	[٣٠]	١٥٠
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾	[٨٥]	١٨٠
﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾	[١٣٩]	١٠٢ و١٠٧
﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾	[١٤١]	٨٨
﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾	[١٤٦]	١١٥
﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾	[١٦٥]	١٥١
﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾	[١٧٣]	١٠٧
﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	[١٧٥]	٨١
﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾	[١٨٦]	١٩٠
﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم﴾	[١٩٥]	٦٢ و١٥٠

سورة النساء

﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾	[٥٤]	١٩٣
﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾	[١٠٤]	١٠٢

سورة المائدة

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾	[٥١]	٩٠
﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾	[٥٢]	٧٠

سورة الأنعام

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾	[٦٥]	١١١
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾	[١٢٣]	٨٩

سورة الأعراف

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾	[٣٢]	١٤٦
﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	[١٨٠]	١٥١

سورة الأنفال

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	[١]	٩١
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾	[٥٣]	٨ و ٣٣

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾	[٦٠]	١٦٣
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾	[٦٥]	٧٤

سورة التوبة

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾	[١٣]	٨١
﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾	[٢٤]	٩٣
﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾	[٣٧]	١٥٥
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	[٣٨]	١١٤
﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾	[٤٧]	٢٠٦
﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ﴾	[٩١]	٦٧
﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾	[٩٣]	٦٧
﴿لَا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾	[٩٤]	٦٢
﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾	[٩٤]	١٤٩

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾	[١٠٥]	٦٢ و١٤٩
﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾	[١١١]	٥٦

سورة يونس

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾	[٤١]	١٤٩

سورة هود

﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾	[١٥]	١٤٩
﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾	[٤٣]	٩٢
﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾	[١١١]	١٥٠
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾	[١١٧]	٨٨

سورة يوسف

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾	[٢٦]	١٩٠
﴿إِنَّهُ لَا يَايْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾	[٨٧]	٧٦

سورة الرعد

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾	[١١]	٣٣ و٥٥

سورة الحجر

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾	[٢١]	١٥٥
﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾	[٥٦]	٢٣٣

سورة النحل

﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ ﴾	[٣٤]	١٥٠
﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾	[٩٧]	١٥٠
﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾	[١١١]	١٥٠

سورة الإسراء

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾	[٥١]	٦٦
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾	[٧٠]	١٦٢

سورة الكهف

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾	[٥]	١٨٩
﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ﴾	[٤٩]	١٥٠
﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	[٥١]	١٦٢

سورة طه

﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾	[٤٠]	١٥٥
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾	[١٢٤]	١٨٨

سورة الأنبياء

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	[١٠]	٢٤٥
﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾	[٥٢]	١٥٧

سورة الحج

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾	[٤٠]	٦١
﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾	[٤٦]	٩٨

سورة المؤمنون

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾	[١٨]	١٥٥
﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾	[٧١]	٢٤٥

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [١٠١] ٢٢٨

سورة النور

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [٥٥] ٩٢ و١٤٦

سورة الشعراء

﴿ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ [٧١] ١٥٨

سورة القصص

﴿ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ﴾ [٥٥] ١٤٩

﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [٧٧] ١٤٦

سورة العنكبوت

﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ [٤٩] ١٩٣

﴿ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٥٥] ١٥١

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [٦٩] ١٢ و٢٤٦

سورة الروم

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [٤١] ٨٩

﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ [٤١] ١٥٠

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٤٧] ٥٥ و٧١ و١٠٧

سورة السجدة

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [١٧] ١٥١

سورة الأحزاب

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [٢٣] ٥٧

سورة سبأ

﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ [٣٧] ١٥٠

سورة فاطر

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [١٠] ١٥٠

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ [٢٧] ١٩٥

سورة الزمر

﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	[٩]	١٩٣
﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾	[٦٢]	١٦٢
﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾	[٧٠]	١٥٠
﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾	[٧٤]	١٥٠

سورة غافر

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾	[٥١]	٣٣

سورة الشورى

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾	[٣٠]	١٥١

سورة الزخرف

﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾	[٢٣]	١٥٨

سورة الأحقاف

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾	[١٩]	١٥٠

سورة محمد

﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾	[٧]	٦١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾	[٣٣]	١٤٩
﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾	[٣٥]	١٤٩

سورة الحجرات

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾	[١٠]	٦٩ و ٩٠ و ١٩٦
﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾	[١٤]	١٤٩
﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾	[١٥]	٣٣

سورة النجم

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	[٣٨]	١٥٥
﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾	[٣٩]	٦٢
﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾	[٥٨]	٢٣٠

سورة الرحمن

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾	[٢٦]	١٦٢

سورة المجادلة

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [١١] ١٩٣

سورة الممتحنة

﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ [٩] ٩٠

سورة الجمعة

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [٢] ١٩٤

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [٨] ١١٣

سورة المنافقون

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٨] ٣٧ و٥٥

سورة المرسلات

﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [٢٢] ١٥٥

سورة الزلزلة

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [٧] ١٥١

❀ ❀ ❀

فهرس الأحاديث والآثار

إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر	١٨٨
اطلبوا العلم ولو بالصين	١٧٢ و١٩٥
اعملوا؛ فكلٌّ مُيسَّر لما خُلق له	١٥٣
إن إخوانكم قد قُتلوا	٥٧
إن الله زوى لي الأرض؛ فرأيت مشارقها ومغاربها	١١١
إن قامت الساعة، وفي يد أحدكم فسيلة	١٥٢
إنكم في زمان كثير علماؤه، قليل خطباؤه	٥٦
إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق	١٥٨
إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق	١٥٨
إنها مباركة، إنها طعام طُعم	٢٤٠
ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع	٢٢٩
الحكمة ضالة المؤمن؛ فحيث وجدها؛ فهو أحق بها	١٧٢

الحكمة ضالة المؤمن؛ ينشدها ولو في الصين	١٧٢
خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم	١٥٢
شُجَّ رأسُ النبيِّ ﷺ يوم أحد	١٥١
طلب العلم فريضة على كل مسلم	١٩٥
غاب عمِّي أنس بن النَّضر عن قتالِ بدر	٥٧
لا تقوم الساعة حتى يقاتل اليهود، فيقتلهم المسلمون	١٣٩
لتقاتلن اليهود، فلتقتلنهم حتى يقول الحجر: يا مسلم	١٣٩
مصر كنانة الله في أرضه	٢٣٥
من بَطَّأَ به عَملُه، لم يُسْرِع به نَسبُه	٢٢٨
من رأى منكم منكرًا؛ فليغيره بيده	٩١
هي فتنة هرب وحرب، ثم فتنة السراء دخلها	٢٢٨
يا غلام! إنِّي أُعَلِّمُكَ كلماتٍ	٦١
يوشك أن تداعى عليكم الأمم	١٠٢ و١١٠

❁ ❁ ❁

فهرس الأعلام المترجم لهم

ابن رشد	١٦٤
أحمد حلمي عبد الباقي	٢٢٤
أحمد زويل	٢٠٧
أديسون	٢٤٤
الاسكندر المقدوني	١٧٥
آينشتاين	٢٤٣
بدر الدين الحسني	٢٢٩
بطليموس الأول (المخلص)	١٧٦
بطليموس الثالث (المحسن)	١٧٦
بطليموس الثاني (الحكيم)	١٧٦
جمال الدين الأفغاني	٢٤٤
جون كالفن	١٨٥
داروين	١٦١
رونتيجن	٢٤٣
سنرستن الآسوجي	٥٢
غاليله	١٦١

غروسة	١٨٤
فاروق الباز	٢٠٧
فولتير	١٨٥
كراين	٢٣٢
كليوبترا	١٧٦
كنفوشيوس	١٨٧
لُبَد	١٦٤
لوي باستير	٢٤٣
لويس برتران	١٨٣
مارتن لوثر	١٨٥
محمد بن علي بن تركي	١٦٠
محمد طلعت حرب	٢١٨
محمد عبده	٣٤
محمد علي آغا	٢٤٥
المستر شمبرلين	١١٨
منير نايفة	٢٠٧
نابليون بونابرت	٥٠
ولز	١٨٣

فهرس الدول والمدن المعرف بها

استوانيا	١٢٣
الإسكندنافية	١٢٢
ألبانيا	١٢٦
الباشكنس	١٢٠
البرتيون	١٢٠
البلطيق	١٢٤
بلغاريا	١٢٦
البوسنة	٤٢
التشيك	١٢٢
صربيا	١٢٦
الفلمنك	١٢١
الفويهات	٧٣
كرواتيا	١٢٥
الكونغو	٩٧
لندرة (لندن)	٧٠
ليتوانيا	١٢٤
ليتوانيا	١٢٤

فهرس الأديان والمذاهب

البلشفة	٥٩
الدراويش	١٤٧
السلافية	١٢٣
الشنتو	١٣٠
الطاوية	١٨٧
العلوية	١٩٨
معابد زن	١٣٠
النصيرية	١٩٨

فهرس القبائل

الأرنؤوط	١٢٦
البطالسة	١٧٦
الجرمان	١٢٦
حرب	٢١٤
الحضارمة	٤٤
القوط	١٢٠
اللاتين	١٢٦

فهرس الموضوعات

مقدمة التحقيق ٧
أسباب إعادة نشر الكتاب محققًا ١٤
منهج التحقيق ١٧
ترجمة المصنف ١٩
عقيدة المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ ومذهبه ٢٨
مقدمة الكتاب ٣٣
كتاب الشيخ محمد بسيوني عمران ٣٧
جواب الأمير شكيب أرسلان ٤١
أسباب ارتقاء المسلمين الماضي ٤٩
فقد المسلمين السبب الذي ساد به سلفهم ٥٥
المقابلة بين حالي المسلمين والإفرنج اليوم ٥٩
اعتذار المسلمين عن أنفسهم ورده ٦٣
حديث العهد: مسألة فلسطين ٦٥
نتائج إعانة مصر لمجاهدي طرابلس وبرقة ٧١
انشيد الطلياني في التحريض على قتال المسلمين ومحو القرآن ٧٥

خيانة بعض المسلمين لدينهم ووطنهم واعتذارهم الباطل ٧٩
معركة اللد والرملة وباب الواد، واللطرون، والكرامة ٧٩
الموت موتان ٨٢
كلمة الملك سعود في تخاذل المسلمين وتعاديهم ٨٩
الموازنة بين المسلمين والنصارى في البذل لنشر الدين ٩٣
أهم أسباب تأخر المسلمين ٩٩
من أكبر عوامل تقهقر المسلمين ١٠٠
شبهات الجهلاء والجبناء وردها ١٠٥
ضياع الإسلام بين الجامدين والجاحدين ١١٧
محافظة الشعوب الإفرنجية على قوميتها ١١٩
العبرة للعرب وسائر المسلمين برقي اليابانيين ١٢٩
لماذا لا نسمي اليابان وأوروبا رجعيَّة بتدينهما ١٣٣
غوائل الجامدين في الإسلام والمسلمين ١٤٥
آيات العمل المبطلة لتفسير القدر بالجبر والكسل ١٤٩
كون المسلمين الجامدين فتنة لأعداء الإسلام وحجة عليه ١٥٧
مدنية الإسلام ١٦٥
الرَّدُّ على حُسَّاد المدنيَّة الإسلاميَّة المكابرين ١٧١
اليونان والرومان قبل النصرانية وبعدها ١٧٥
سبب تأخُّر أوروبا الماضي ونهضتها الحاضرة ١٨٥

حَثُّ القرآن على العلم، باعث للمسلمين على سبق الأمم في الرُّقِي ... ١٩٣
كلمة لطلاب النهضة القومية دون الدينية ٢٠١
أسباب انحطاط المسلمين في العصر الأخير ٢٠٣
هكذا إذا توجهت الهمم، الإصلاحات المعنوية والمادية في البلاد المقدسة .. ٢٢٧
خلاصة الجواب: إن المسلمين ينهضون بمثل ما نهض غيرهم ٢٤٣
الفهارس العامة ٢٤٧
- فهرس الآيات ٢٤٩
- فهرس الأحاديث والآثار ٢٦٢
- فهرس الأعلام المترجم لهم ٢٦٤
- فهرس الدول والمدن المعرف بها ٢٦٦
- فهرس الأديان والمذاهب ٢٦٧
- فهرس القبائل ٢٦٨
- فهرس الموضوعات ٢٦٩

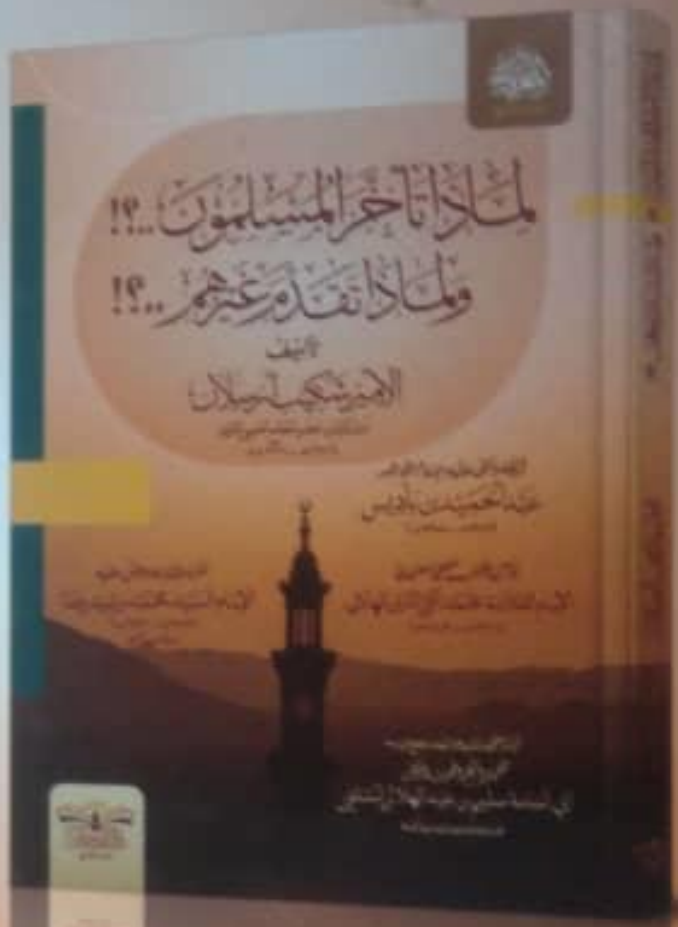

ISBN 978-977-6861-29-9
9 789776 861299

مؤسسة دار ابن عباس للنشر والتوزيع
دار ابن عباس للنشر والتوزيع
00201001697676 00201000423549
t.me/darebn
mailto:anas.elsayed93@yahoo.com
DarEbnAbas1991@hotmail.com

SR 38